
تعظيم الله جل جلاله
تأملاتٌ وقصائد
تأليف
أ.د. أحمد بن عثمان المزيد
أستاذ الدراسات الإسلامية
كلية التربية -جامعة الملك سعود
مصدر هذه المادة :
الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com
دار الوطن للنشر

المقدمة

الحمدُ للهِ الذي رفعَ السماءَ بقدرتِهِ وبسطَ الأرضَ بمشيئتهِ ومهَّدَها للسُّلَّاك، وسَخَّرَ الفُلكَ ومهَّدَ المِلْكَ ودبَّر الأملاك.

الحيُّ القيومُ الذي لا تأخُذُه سِنَةٌ ولا نومٌ، الذي خلقَ الموتَ والحياةَ وقدَّر النجاةَ والهلاكَ.

الذي له الخلقُ والأمرُ، وبيدِهِ الإطلاقُ والإمساكُ، الذي أنشأَ اللوحَ والقلمَ، وعلَّمَ الإنسانَ ما لم يعلمْ ووهبَ له العقلَ الكاملَ والفهمَ والإدراكَ...

والصلاةُ والسلامُ على البشيرِ النذير والسراج المنيرِ، أعظمِ الخلقِ خشيةً لربِّهِ وتعظيمًا له، وتمجيدًا لجلالِهِ، وعبادةً وذكرًا وشكرًا ومحبةً وخوفًا ورجاءً ورغبًا ورهبًا.

واللهُ سبحانه وتعالى هو أهلُ الثناءِ والمجدِ، وصاحبُ الجبروتِ والملكوتِ والكبرياءِ والعظمةِ...

هو عالِمُ السرِّ وأخفى، قيومُ السمواتِ والأرضِ، عالمُ الأسرارِ، مقيلُ العثار، مدبرُ الليلِ والنهارِ.

﴿**هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ**﴾.

هو الأولُ فليس قبلَهُ شيءٌ، وهو الآخرُ فليس بعدَهُ شيءٌ وهو الظاهرُ فليسَ فوقَهُ شيءٌ، وهو الباطنُ فليسَ دونَهُ شيءٌ...

هو خيرُ المسؤولين، وأكرمُ المعطين، ورازقُ الناسَ أجمعين.

يعلمُ حوائجَ السائلين، وضمائرَ الصامتين، وأسرارَ صدورِ العالمين.

لا يزدادُ على كثرةِ السؤالِ إلا جودًا وكرمًا، ولا على كثرةِ الحوائجِ إلا تفضلًا وإحسانًا.

هو العليُّ الكبيرُ، الوليُّ الحميدُ، العزيزُ المجيدُ، المبدئُ المعيدُ، الفعالُ لما يريدُ، الحيُّ القيومُ، القويُّ المتينُ، العظيمُ الجليلُ، له الخلقُ والأمرُ، وبيدهِ النفعُ والضرُّ، وله الحكمُ والتقديرُ، والملكُ والتدبيرُ، ليسَ لهُ في صفاتِهِ شبيهٌ ولا نظيرٌ، ولا له في آلهيتهِ شريكٌ ولا ظهيرٌ، ولا له في سلطانهِ وليٌّ ولا نصيرٌ.

سبحانه من مليكٍ ما أمنَعَه، وجوادٍ ما أوسعَهُ، ورفيعٍ ما أرفَعَه، لا رادَّ لمشيئته، ولا مبدِّل لكلماتهِ، قولهُ حُكْمٌ، وقضاؤه حَتْمٌ، وأمْرُه رشدٌ، باهِرُ الآياتِ، فاطرُ السمواتِ، بارئُ السماتِ، مجيبُ الدعواتِ، مغيثُ اللهفاتِ، مقيلُ العثراتِ. أكبرُ من كلِّ شيءٍ، وأعظمُ من كلِّ شيءٍ، وأعزُّ من كلِّ شيءٍ، وأقدرُ من كل شيءٍ، وأعلمُ من كلِّ شيءٍ، وأحكمُ من كلِّ شيءٍ.

قالَ ابنُ القيِّمِ في صفةِ عظمةِ اللهِ ـ عز وجل ـ :

«يدبِّرُ أمرَ الممالكِ، ويأمرُ وينهى، ويخلقُ ويرزقُ، ويميتُ ويُحْيي، ويقضي وينفِّذُ، ويُعِزُّ ويُذِلُّ، ويقلِّبُ الليلَ والنهارَ، ويُدَاوِلُ الأيامَ بينَ الناسِ، ويُقَلِّبُ الدُّوَلَ، فيذهبُ بدولةٍ، ويأتي بأخرى.

والرسلُ من الملائكةِ عليهم الصلاةُ والسلامُ بين صاعدٍ إليه بالأمرِ، ونازلٍ من عندِهِ به، وأوامرُه ومراسيمُهُ متعاقبةٌ على تعاقبِ الأوقاتِ، نافذةٌ بحسبِ إرادتهِ ومشيئتهِ، فما شاءَ كانَ كما شاءَ في الوقتِ الذي يشاءُ على الوجهِ الذي يشاءُ، من غيرِ زيادةٍ ولا نقصانٍ، ولا تَقَدُّمٍ ولا تأخُّرٍ، وأمرُهُ وسلطانُهُ نافِذٌ في السمواتِ والأرضِ وأقطارِها، وفي

الأرضِ وما عليها وما تحتها، وفي البحارِ والجوِّ، وفي سائرِ أجزاءِ العالمِ وذرَّاتِهِ، يُقَلِّبها ويُصَرِّفها، ويُحدِثُ فيها ما يشاءُ، وقد أحاطَ بكلِّ شيءٍ علمًا، وأحصى كلَّ شيءٍ عددًا، ووسعَ كلَّ شيءٍ رحمةً وحكمةً، ووسعَ سَمْعُهُ الأصوات، فلا تختلفُ عليه ولا تشتبهُ عليه، بل يسمعُ ضجيجَها باختلافِ لغاتِها على تَفَنُّنِ حاجاتِها، فلا يَشغَلُهُ سمعٌ عن سمعٍ، ولا تُغلِطُه كثرةُ المسائلِ، ولا يتبَرَّمُ بإلحاحِ الملِحِّين ذوي الحاجات.

وأحاط بصرُه بجميعِ المرئياتِ، فيرى دبيبَ النملةِ السوداءِ على الصخرةِ الصَّمَّاءِ في الليلةِ الظلماءِ، فالغيبُ عنده شهادةٌ، والسرُّ عنده علانيةٌ، يعلمُ السرَّ وأخفى من السرِّ؛ فالسرُّ ما انطوى عليه ضمير العبدِ، وخطرَ بقلبِهِ، ولم تتحركْ به شفتاه، وأخفى منه: ما لم يخطرْ بقلبِهِ بَعْدُ، فيَعلَمُ أنه سيخطرُ بقلبِهِ كذا وكذا في وقتِ كذا وكذا.

وله الخلقُ والأمرُ، وله الملكُ وله الحمدُ، وله الدنيا والآخرةُ، وله النعمةُ، وله الفضلُ، وله الثناءُ الحسنُ، وله الملكُ كلُّه، وله الحمد كلُّهُ، وبيدِهِ الخيرُ كلُّهُ، وإليه يرجعُ الأمرُ كلُّهُ، شملت قدرتُهُ كلَّ شيءٍ، ووسعتْ رحمتُهُ كلَّ شيءٍ، ووسَعَت نعمتُهُ إلى كلِّ حيّ.

﴿**يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾ [الرحمن:٢٩]: يغفرُ ذنبًا، ويفرِّجُ همًّا، ويكشفُ كربًا، ويجبرُ كسيرًا، ويُغني فقيرًا، ويُعَلِّمُ جاهلًا، ويهدي ضالًّا، ويُرشِدُ حيرانًا، ويغيث لَهْفَانًا، ويَفُكُّ عانيًا، ويُشبع جائِعًا، ويَكْسُو عاريًا، ويشفي مريضًا، ويُعافي مبتلى، ويقبل تائبًا، ويجزي محسنًا، وينصرُ مظلومًا، ويقصمُ جبَّارًا، ويقيل عثرَةً، ويسترُ عورةً، ويُؤَمِّن روعةً، ويرفعُ أقوامًا، ويضع آخرين.

لا ينامُ، ولا ينبغي له أن ينامَ، يخفضُ القسطَ ويرفعُهُ، يُرفَع إليه عملُ الليلِ قبلَ

عملِ النهارِ، وعملُ النهار قبلَ عملِ الليلِ، حجابُه النورُ، لو كشفَهُ لأحرقتْ سُبُحات وجهِهِ ما انتهى إليه بصرُه من خلقه.

يمينُه مَلأى، لا تَغِيضُها نفقة، سحَّاءُ الليلَ والنهارَ، أرأيتم ما أنفقَ منذ خلقَ الخلقَ، فإنه لم يَغِضْ ما في يمينهِ.

قلوبُ العبادِ ونواصيهم بيدهِ، وأزمَّةُ الأمورِ معقودةٌ بقضائهِ وقدرِهِ، الأرضُ جميعًا قبضتُهُ يومَ القيامةِ، والسمواتُ مطوياتٌ بيمينهِ، يقبضُ سمواتِهِ كلِّها بيدِهِ، والأرضَ باليدِ الأخرى، ثم يَهُزُّهنَّ، ثم يقولُ: أنا الملكُ، أنا الملكُ، أنا الذي بدأت الدنيا ولم تكنْ شيئًا، وأنا الذي أعيدُها كما بَدَأتُها.

لا يتعاظمه ذنبٌ أن يغفرَهُ، ولا حاجةٌ يُسأَلُها أن يعطيَها.

لو أن أهلَ سمواتِهِ، وأهلَ أرضِهِ، وأولَ خلقِهِ وآخرَهم، وإنسَهم وجنَّهم، كانوا على أتقى قلبِ رجلٍ منهم، ما زاد ذلك في ملكهِ شيئًا، ولو أنَّ أولَ خلقهِ وآخرَهم، وإنسَّهم وجِنَّهم، كانوا على أفجرِ قلبِ رجلٍ منهم، ما نقصَ ذلك من ملكهِ شيئًا، ولو أن أهلَ سمواتِهِ، وأهل أرضِهِ، وإنسَهم وجِنَّهم، وحيَّهُم وميِّتهم، كانوا على أفجر قلبِ رجلٍ منهم، ما نقص ذلك من ملكهِ شيئًا، ولو أن أهلَ سمواته، وأهلَ أرضه، وإنسَهم وجنَّهم، وحيَّهُم وميِّتهم، ورطَبهم ويابِسهم، قاموا في صعيدٍ واحدٍ، فسألوه فأعطى كلًّا منهم مسألتَهُ، ما نقصَ ذلك مما عندَهُ مثقالَ ذرةٍ.

ولو أنَّ أشجارَ الأرضِ كلَّها . من حين وُجدتْ إلى أن تنقضيَ الدنيا . أقلامٌ، والبحرُ وارءه سبعةُ أبحرٍ تمدُّه من بعده مِدادٌ، فكُتِبَ بتلك الأقلامِ، وذلك المدادِ، لفنيت الأقلامُ ونفدَ المدادُ، ولم تنفدْ كلماتُ الخالقِ تباركَ وتعالى.

وكيفَ تَفْنَى كلماتُه جَلَّ جلالُهُ وهي لا بدايةَ لها ولا نهاية؟! والمخلوقُ له بدايةٌ ونهايةٌ، فهو أحقُّ بالفناءِ والنَّفادِ، وكيف يُفنِي المخلوقُ غيرَ المخلوق؟!

هو الأولُ الذي ليسَ قبلهُ شيءٌ، والآخرُ الذي ليسَ بعده شيءٌ، والظاهرُ الذي ليس فوقه شيءٌ، والباطنُ الذي ليس دونه شيءٌ.

تباركَ وتعالى، أحقُّ من ذُكِر، وأحقُّ من عُبد، وأحقُّ من حُمِد، وأولى من شُكِر، وأنصَرُ من ابتُغِي، وأرأفُ من مَلَك، وأجودُ من سُئِل، وأعفَى من قَدِر، وأكرم من قُصِد، وأعدل من انتَقَم.

حكمُه بعد علمهِ، وعفوهُ بعد قدرتهِ، ومغفرتُه عن عِزَّتِهِ، ومَنْعُه عن حكمتهِ، وموالاتُه عن إحسانهِ ورحمتهِ.

مـا لِلْعِبَـادِ عَلَيْـهِ حَـقٌّ واجـبٌ كَـلَّا ولا سَـعْيٌ لَدَيْـهِ ضَـائِعُ
إن عُـذِّبُوا فَبِعَدْلِـهِ، أو نُعِّمُـوا فَبِفَضْـلِهِ، وهـو الكـريمُ الواسِـعُ

هو الملكُ الذي لا شريكَ له، والفردُ فلا ندَّ له، والغنيُّ فلا ظهيرَ له، والصمدُ فلا ولدَ له، ولا صاحبةَ له، والعليُّ فلا شبيهَ له، ولا سَمِيَّ له، كلُّ شيءٍ هالكٌ إلا وجهَهُ، وكلُّ مُلكٍ زائلٌ إلا ملكهُ، وكلُّ ظلٍّ قَالِصٌ إلا ظِلُّهُ، وكلُّ فضلٍ منقطعٌ إلا فضله.

لن يُطاعَ إلا بفضلهِ ورحمتهِ، ولن يُعصى إلا بعلمهِ وحكمتهِ، يُطاعُ فيَشكرُ، ويُعصَى فيتجاوزُ ويَغْفِرُ، كلُّ نقمةٍ منه عدلٌ، وكلُّ نعمةٍ منه فضلٌ، أقربُ شهيدٍ، وأدنى حفيظٍ، حالَ دون النفوسِ، وأخذَ بالنواصي، ونسَخَ الآثار، وكتبَ الآجالَ، فالقلوبُ له مُفْضِيَةٌ، والسرُّ عنده علانيةٌ، والغيبُ عندَهُ شهادةٌ، عطاؤه كلامٌ، وعذابهُ كلامٌ، ﴿**إِنَّمَا**

أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس:٨٢]»[(١)].

أما بعد:

فإنَّ هذا الكتابَ يهدفُ إلى ترسيخِ أعظمِ قيمةٍ في حياةِ المسلمِ وهي العبوديةُ للهِ عزوجل: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾.

والعبوديةُ هي: الذلُّ والخضوعُ والانقيادُ للهِ عزوجل والافتقارُ التامُّ إليه سبحانهُ، وتحقيقُ أنه لا معبودَ بحقّ إلا اللهُ، وهذا لا يكونُ إلا بتعظيمِ اللهِ عزوجل المتضمنِ للخوفِ والرجاءِ والمحبةِ له تعالى وقد ذمَّ اللهُ لأ من لا يعظمُهُ فقال: ﴿**مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا**﴾.

وقال: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾.

فشأنُ اللهِ أعظمُ من كلِّ شيءٍ، وعظمةُ الله عزوجل فوقَ كلِّ تصدرٍ وتقديرٍ.

وقد جعلتُ هذا الكتابَ . تعظيمُ اللهِ . الأولَ في مكتبةِ اسعد مجتمعك ليترسخَ في الناسِ أنَّ تعظيمَ اللهِ عزوجل هو أعظمُ وسيلةٍ توصلُ إلى سعادةِ الفردِ والأسرةِ والمجتمعِ بل إلى سعادةِ البشريةِ كلِّها خصوصًا في زمنِ العولمةِ وحيث صار العالمُ قريةً واحدةً ضعفَ منه أثر الوسائلِ الخارجيةِ لحمايةِ ووقايةِ المجتمعِ من منعٍ ومراقبةٍ فصار لزامًا الاهتمامُ والتركيزُ التامُّ على تقويةِ تعظيمِ اللهِ في النفسِ بتقويةِ الوازعِ الدينيِّ ومراقبةِ اللهِ في السرِّ والعلنِ.

إنَّ المعظمَ للهِ عزوجل متوازنٌ من جميعِ الجوانبِ يحملُ همَّ الآخرةِ ولا ينسى نصيبهُ

(١) انظر: الوابل الصيب؛ لابن القيم (ص:١٥، وما بعدها).

من الدنيا، معظِّمٌ لأمرِ اللهِ ونهيه في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، محققٌ لتوحيدِ اللهِ على أكملِ وجهٍ سالمٌ من الشركِ بجميعِ صورِه، مؤدٍ واجباتِهِ الدينيةِ على أكملِ وجهٍ، من صلاةٍ وزكاةٍ وصيامٍ وحجٍّ وغيرِها من الفرائضِ والواجباتِ.

وهو كذلك من أعظمِ الناسِ تأديةً للحقوقِ وأعظمِها: حقُّ الوالدين، والأبناءِ والزوجةِ والأرحامِ والجيرانِ والأصدقاءِ والأطفالِ والفقيرِ وغيرِهم.

وكذلك فإنه يجتنبُ المحرماتِ التي نهى اللهُ عنها من مسكراتٍ ومخدراتٍ وانحرافاتٍ جنسيةٍ، واعتداءاتٍ على الأنفسِ والأموالِ بالسرقةِ والرشوةِ وغيرِها.

والمعظمُ لله عزوجل مجتنبٌ لهذه المحرماتِ عبوديةً للهِ عزوجل خوفًا ورجاءً ومحبة للهِ، ولذلك فإنه يجتنبُ المحرَّماتِ في سائرِ الأماكنِ داخل وطنه وخارجه، إذا رآه الناسُ وإذا لم يَرَوْه، لأنه لا يراقبُ إلا اللهَ عزوجل، فسلِمَ بذلك من التناقضِ والازدواجيةِ التي سيطرتْ على كثير من الناسِ.

وكذلك فإنَّ المعظمَ للهِ عزوجل لا يقتصرُ على تركِ المحرماتِ الظاهرةِ فقط، بل يهتمُّ بتطهيرِ قلبِهِ من المحرماتِ الباطنةِ كالكبر والغلِّ والحسدِ والبغضاءِ والرياءِ والسمعةِ والغرورِ وغيرِ ذلك.

وكذلك فإنه يهتمُّ بتحليةِ قلبهِ بالقيمِ والعباداتِ القلبيةِ كالصدقِ والإخلاصِ والمحبةِ والصبرِ والتوكلِ والإنابةِ وغيرِها.

والمعظمُ للهِ عزوجل همُّه إقامةُ العبوديةِ للهِ تعالى في نفسِهِ أولًا، وإسعادُ الآخرين بدخولِهم فيها،.

والمعظمُ للهِ عزوجل معظمٌ لجنابِ النبيِّ ﷺ مدافعٌ عنه محبٌّ له، يشرفُ بالتأسي

به والانضواءِ تحت لوائِهِ ولذلك فإنه يقتدي به في كلِّ الأمورِ، ويدعو إلى سنتهِ، ويبينُ فضائِلَهُ ومحاسِنَهُ وكمالَ أخلاقهِ وآدابِهِ ﷺ ، وهو لا يُقَدِّمُ على الكتابِ والسنةِ شيئًا من الآراءِ والأهواءِ والأقوالِ والعاداتِ.

كما أنه ملتزمٌ بمنهجِ الوسطيةِ في عباداتِهِ وتعاملاتِهِ كلِّها سا لمٌ من التطرفِ والغلوِّ والإرهابِ والبدعِ والضلالات.

والمعظمُ للهِ هو الساعي الحقيقيُّ لإعمار الوطنِ وتنميتِهِ عبادةً للهِ في سائرِ المجالاتِ الاقتصاديةِ والإداريةِ والاجتماعيةِ والسياسيةِ والصحيةِ والتعليميةِ والأمنيةِ وفقَ الكتابِ والسنةِ، حيث يجعلُ من هذه الحياةِ مزرعةً للآخرةِ وممرًّا إليها.

ولذلك فإنه من أكثر الناسِ إتقانًا لعملِهِ وإحسانًا له. كما أنه لا يبخلُ بالخيرِ على الناسِ، بل يدلُّ الناسَ على كلِّ خيرٍ طلبًا لمرضاتِ اللهِ، ويغلقُ كلَّ بابٍ من أبوابِ الضررِ والفسادِ والإيذاءِ وذلك؛ لأنه من أصدقِ الناسِ نصحًا لمجتمعه ووطنه.

المعظمُ للهِ يتفاعلُ مع مجتمعِهِ بأمرِهِ بالمعروفِ ونهيِهِ عن المنكرِ واصلٌ لرحمِهِ، راعٍ لجارِهِ، مساعدٌ للمحتاجِ، زائرٌ للمريضِ، مصلحٌ بين المتخاصمين، مشاركٌ في أفراحِ مجتمعِهِ.

والمعظمُ للهِ يعملُ بشموليةِ الإسلامِ الواسعةِ، ويرسخُ مبادِئَهُ في كلِّ الأمورِ، ويدخلُ في السِّلم كافة، ولا يختزلُ الدينَ في قضايا يحددُها لنفسِهِ، أو يحدُدها له غيرُهُ، وإنما يعظمُ ما عظمَهُ اللهُ ورسولُهُ، لا ما عظمتْهُ الأهواءُ والعاداتُ والتقاليدُ والمجتمعُ والبيئةُ، وما تفرضُهُ العولمةُ في واقعِنا المعاصرِ. وهو من خلال ذلك يقدمُ مصلحةَ الأمةِ والمجتمعِ على مصالحِهِ الشخصيةِ الفرديةِ المحدودةِ.

إنَّ ترسيخَ قيمةِ تعظيمِ اللهِ عزوجل يعالجُ كثيرًا من مشاكلِ المجتمعِ الأمنيةِ والاقتصاديةِ والإداريةِ بأيسرِ السبلِ وأقلِّ التكاليفِ والأعباءِ على الدولةِ.

وكذلك فإنَّ ترسيخَ قيمةِ تعظيمِ اللهِ في النفوسِ تعالجُ كثيرًا من المشكلاتِ الاجتماعيةِ كعقوقِ الوالدينِ وقطيعةِ الرحمِ وظلمِ المرأةِ والعنفِ الأسريِّ وانتهاكِ الأعراضِ وغير ذلك من الاعتداءِ على الأنفسِ والأموالِ الخاصةِ والعامةِ وغيرِ ذلك من المشكلاتِ، حيث لا توجدُ مشكلةٌ إلا ومن أعظمِ أسبابِها ضعفُ تعظيمِ اللهِ عزوجل في النفوسِ، وقد رأينا أنَّ هذه القيمةَ لما ترسَّختْ في نفوسِ الجيلِ الأولِ في عصرِ النبوةِ وعصرِ الخلافةِ الراشدةِ ومنْ بعدَهم أنتجتْ أمةً ضربتْ أروعَ الأمثلةِ في الطهارةِ والاستقامةِ والأمانةِ وأداءِ الواجباتِ والابتعادِ عن المحرماتِ والوصولِ إلى أعظمِ مظاهرِ المدنيةِ والحضارةِ.

وهذا الكتابُ هو تأملاتٌ في تعظيمِ اللهِ عزوجل من خلالِ تدبرِ الآياتِ القرآنيةِ والأحاديثِ النبويةِ في اللهِ وأسمائِهِ وصفاتِهِ، وما سطَّرَهُ العلماءُ الربانيون في بيانِ عظمةِ اللهِ وغناه المطلقِ.

وكذلك ما كتبَهُ الشعراءُ في قصائدَ في تعظيمِ اللهِ عزوجل، وقد جمعتُ ما تيسَّرَ منها في هذا الكتابِ وهذا العملُ هو جزء من مشروع أسعد مجتمعك.

ويحدوني الأملُ أن نشتركَ جميعًا دعاةٌ وخطباءُ ومفكرون وكتابٌ وإعلاميون ورجالُ أعمالٍ في ترسيخِ قيمةِ تعظيمِ اللهِ بكلِّ الوسائلِ المتاحةِ المقروءةِ والمسموعةِ والمرئيةِ ومثلِ ذلك أن نطبقَها في سائرِ مجالاتِ حياتِنا ليقتدوا بنا.

أسألُ اللهَ أنْ يباركَ في الجهودِ وأنْ يسعدَ الجميعَ دنيا وآخرة.

د. أحمد بن عثمان المزيد

أستاذ الدراسات الإسلامية المشارك

كلية التربية –جامعة الملك سعود

aalmazyad@ksu.edu.sa

عبادةُ التعظيمِ

إن تعظيمَ اللهِ عزوجل من أعظمِ العباداتِ التي غفلَ عنها كثيرٌ من الناسِ، فساءتْ أحوالُهم، وانقلبتْ موازينُهم، وتلاعبتْ بهم الشياطينُ والأهواءُ والأنفسُ الأمارةُ بالسوءِ.

فالتوحيدُ الذي هو رأسُ الأمرِ هو الأصلُ في تعظيمِ اللهِ عزوجل فاللهُ عزوجل أعظمُ من أن يُعْبَدَ معَهُ غيرُه قال تعالى في الحديثِ القُدْسِيِّ: «**أنا أغنى الشركاءِ عن الشِّركِ، من عملَ عملًا أشركَ فيه معي غَيْرِي تركتُه وشِرْكَهُ**» [مسلم].

ولما عبدَ قومُ نوحٍ الأصنامَ أنكرَ عليهم نوحٌ عليه السلام وقال لهم: ﴿**مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا**﴾ [نوح:١٣]. قال ابنُ عباسٍ ومجاهدٌ: أي ما لكم لا ترجونَ للهِ عظمةً، وقال سعيدٌ بنُ جبيرٍ: ما لكم لا تُعَظِّمُونَ اللهَ حقَّ عظمتِه، وقال الكلبيُّ: لا تخافونَ للهِ عظمةً(١).

وهدهدُ سليمانَ عليه السلام لما كان معظمًا للهِ عزوجل استنكرَ أن يعبدَ قومٌ الشمسَ من دونِ الله تعالى: ﴿**إِنِّي وَجَدتّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدتّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشّمْسِ مِن دُونِ اللّهِ وَزَيّنَ لَهُمُ الشّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدّهُمْ عَنِ السّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ * أَلاّ يَسْجُدُواْ للّهِ الّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاّ هُوَ رَبّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**﴾ [النمل:٢٣-٢٦].

حتى الجماداتِ فإنها تستبشعُ افتراءَ الكذبِ على اللهِ وادعاءَ أن له ولدًا تعظيمًا

(١) مدارج السالكين (٢/٤٩٥).

لله عزوجل وإجلالًا له: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً *لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً *تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً * وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً﴾ [مريم:٨٨-٩٢].

قال الضحاكُ بنُ مزاحمٍ في قولِه تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ أي: يَتَشَقَّقْنَ من عظمةِ اللهِ عزوجل(١).

فعظمةُ اللهِ تعالى متقرِّرَةٌ لدى هذه الأجرامِ العظيمةِ، ولذلك فإنها لا تطيقُ هولَ تلك الكلمةِ الشنيعةِ وهي نسبةُ الولدِ إلى اللهِ تعالى، ولولا حلمُ اللهِ تعالى لخرَّ العالمُ وتبددْت قوائِمُه غضبًا على من تفوَّه بها.

قال محمدُ بنُ كعبٍ: كادَ أعداءُ اللهِ أن يُقيموا علينا الساعةَ.

وقدْ ذكرَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رحمه الله علاقةَ التعظيمِ بالوحدانيةِ فقالَ: «فمن اعتقدَ الوحدانيةَ في الألوهيةِ للهِ سبحانه وتعالى والرسالةَ لعبدِه ورسولِه، ثم لم يُتْبِعْ هذا الاعتقادَ موجَبَهُ من الإجلالِ والإكرامِ، الذي هو حالٌ في القلبِ يظهرُ أثرُه على الجوارحِ، بل قارنَه الاستخفافُ والتسفيهُ والازدراءُ بالقولِ أو بالفعلِ كانَ وجودُ ذلك الاعتقادِ كعدمِهِ، وكانَ ذلك موجِبًا لفسادِ ذلك الاعتقادِ ومزيلًا لما فيه من المنفعةِ والصلاحِ، إذ الاعتقاداتُ الإيمانيةُ تُزَكِّي النفوسَ وتصلِحُها، فمتى لم توجبْ زكاةَ النفسِ ولا صلاحَها، فما ذاك إلا لأنها لم ترسَخْ في القلبِ»(٢).

ومن دلائلِ تعظيمِ اللهِ عزوجل عبوديةُ الكائناتِ لله تعالى وسجودُها لعظمتِه

(١) الدر المنثور (٥/٥٤٤).
(٢) الصارم المسلول (١/٣٧٥).

سبحانه كما قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ**﴾ [الحج:١٨].

وتعظيمُ اللهِ جل وعلا هو الذي يعطي العبادةَ روحَها وجلالَها، وهو الذي يجعلُها عبادةً مقبولةً خالصةً صحيحةً تامَّةَ الشروطِ والأركانِ، أمَّا عبادةٌ بلا تعظيمٍ فإنها كالجسدِ بلا روحٍ ولذلك قال ابنُ القيمِ رحمه الله: «وروحُ العبادةِ هو الإجلالُ والمحبةُ، فإذا تخلَّى أحدُهما عن الآخرِ فسدَتْ، فإذا اقترنَ بهذين الثناءُ على المحبوبِ المعظَّمِ فذلك حقيقةُ الحمدِ»[1].

والنبيُّ ﷺ لما سألَهُ جبريلُ عن الإحسانِ قال: «**أن تعبدَ اللهَ كأنَّك تراهُ، فإن لم تكن تراهُ فإنه يراك**»[2]، وهذه المراقبةُ في العبادةِ هي طريقُ التعظيمِ والإجلالِ للهِ تعالى قال ابنُ رجبٍ: «فقولُه ﷺ في تفسيرِ الإحسانِ: «**أن تعبدَ اللهَ كأنك تراهُ**» إلخ، يشيرُ إلى أنَّ العبدَ يعبدُ اللهَ على هذه الصفةِ، وهي استحضارُ قربِهِ، وأنه بين يديْهِ كأنَّه يراه، وذلك يوجبُ الخشيةَ والخوفَ والهيبةَ والتعظيمَ»[3].

* * *

---

(١) مدارج السالكين (٢/٤٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٩).

(٣) جامع العلوم والحكم (١/١٢٦).

تعظيم الله في أمهات العبادة

والنبيُّ ﷺ أرشدَ إلى تعظيمِ اللهِ لأ في أمَّهاتِ العبادةِ **فالصلاةُ وهي أعظمُ الشعائرِ التعبديةِ بعد الشهادتينِ كلُّها قائمةٌ على التعظيمِ للهِ** عز وجل ، وكان ﷺ يستفتحُ الصلاةَ بعباراتِ التعظيمِ والتمجيدِ والإجلالِ للهِ عز وجل. ففي السننِ عن عائشةَ وأبي سعيدٍ أن النبيَّ ﷺ كانَ إذا استفتحَ الصلاةَ قال: «**سبحانك اللهمَّ وبحمدِك وتبارَكَ اسمُكَ، وتعالى جدُّك ولا إله غيرُك**»(١).

وفي صحيح مسلمٍ عن عليٍّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه قالَ: كان رسولُ اللهِ ﷺ إذا قامَ إلى الصلاةِ قال: «**وجَّهْتُ وجهِيَ للذي فطرَ السمواتِ والأرضَ حنيفًا وما أنا من المشركينَ إنَّ صَلاتي ونسُكي ومحيايَ ومماتي للهِ ربِّ العالمينَ، لا شريكَ له وبذلكَ أمرتُ وأنا من المسلمينَ، اللَّهُمَّ أنت الملِكُ لا إله إلَّا أنت، أنت ربي وأنا عبدُك، ظلمتُ نفسي، واعترفتُ بذنبي فاغفِرْ لي ذنوبِي جميعًا إنَّه لا يغفرُ الذنوبَ إلَّا أنتَ، واهدني لأحسنِ الأخلاقِ لا يهدي لأحسَنِهَا إلَّا أنتَ، واصرِفْ عني سيئَهَا لا يصرفُ عني سيِّئَهَا إلا أنتَ، لبيك وسعدَيْك، والخيرُ كلُّه في يديْك، والشرُّ ليس إليك، أنا بك وإليك تباركْتَ وتعالَيْتَ، أستغفِرُك وأتوبُ إليك**»(٢).

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة في جوف الليل قال: «**اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرضِ**

(١) أخرجه الترمذي (٢٢٥)، والنسائي (٨٨٩).

(٢) رواه مسلم (١٢٩٠)، والترمذي (٣٣٤٤).

ومَن فيهن ولكَ الحمدُ، أنت قَيَّامُ السمواتِ والأرضِ ومَنْ فيهن، ولكَ الحمدُ، أنت ربُّ السموات والأرض ومن فيهن، أنت الحقُّ، ووَعدُك الحقُّ، وقولُك الحقُّ، ولقاؤُك حَقٌّ، والجنةُ حَقٌّ، والنارُ حَقٌّ، والنبيون حَقٌّ، ومحمد ﷺ حَقٌّ، والسَّاعة حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أسْلمتُ، وبك آمنتُ، وعليكَ توكلتُ، وإليكَ أنبتُ، وبكَ خاصمتُ، وإليكَ حاكمتُ، فاغفر لي ما قدَّمتُ وما أخرّتُ، وما أسررتُ وما أعلنتُ، أنت إلهي لا إله إلَّا أنت»(١).

فهو ﷺ أعظمُ الناسِ تعظيمًا لربِّه تعالى، وأحسنُهم ثناءً عليه وافتقارًا إليه ورغبةً في فضْلِه ورهبةً من عذابِه. وفاتحةُ الكتابِ كذلكَ من أعظمِ ما عُظِّمَ به اللهُ تبارك وتعالى، ولذلكَ جاءَ في الحديثِ القُدْسِيِّ: «**قسمتُ الصلاةَ بيني وبين عبدي نصفينِ، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبدُ: ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله تعالى: حَمِدني عبدي، وإذا قال: ﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ قال الله تعالى: أثنَى عليَّ عبدي، وإذا قال: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال: مَجَّدني عبدي . وقال مرةً فَوَّضَ إليَّ عبدي . فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: هذا بيني وبينَ عبدي ولعبدِي ما سأل، فإذا قال: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ قال: هذا لعبدِي ولعبدِي ما سأَل**»(٢).

والركوعُ كذلكَ من مواضِعِ تعظيمِ اللهِ جل وعلا في الصلاةِ لقولِه ﷺ : «**أما**

---

(١) رواه البخاري (١٠٥٣)، ومسلم (١٢٨٨).

(٢) صحيح مسلم (ح٥٩٨) كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، وسنن الترمذي (٢٨٧٧)، وسنن النسائي (٩٠٠)، وأبي داود (٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧٤)، وأحمد (٩٥٥٢).

الركوعُ فعظِّمُوا فيه الربَّ»[١]. وفي السننِ عن حذيفةَ رضي الله عنه أنه سَمِعَ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ إذا ركعَ: «**سبحانَ ربي العظيمِ**» ثلاث مراتٍ، وإذا سجَدَ قال: «**سبحانَ ربي الأعلى**» ثلاثَ مراتٍ[٢].

وهذا يدلُّ على أن التعظيمَ يكونُ في الركوعِ والسجودِ إلَّا أنَّه في الركوعِ يكونُ الثناءُ والتعظيمُ أكثرُ أما السجودُ فيكونُ فيه التسبيحُ الذي هو تعظيمٌ للهِ لأ ويكونُ فيه الدعاءُ والمسألةُ قال ﷺ: «**أما الركوعُ فعظِّمُوا فيه الربَّ وأما السجودُ فاجتهدُوا في الدعاءِ فَقَمِنٌ أنْ يُستجَابَ لكم**»[٣].

وعن عائشة ل قالت: كان رسولُ الله ﷺ يُكثِرُ أن يَقُولَ في ركوعِه وسجودِه: «**سبحانَكَ اللهمَّ ربَّنا وبحمدِكَ اللهمَّ اغفِرْ لي**»[٤]. وعنها ل قالت: كان رسولُ الله غ يقولُ في ركوعِه وسجودِه: «**سُبوحٌ قُدوسٌ، ربُّ الملائكةِ والروحِ**»[٥].

وكذلك جعلَ النبيُّ ﷺ ذِكْرَ ما بعد الرفعِ من الركوعِ منصبًّا على تعظيمِ اللهِ جلَّ وعلا، فعن أبي سعيدٍ رضي الل عنه قال: كان رسولُ اللهِ ﷺ إذا رفَعَ رأسَه من الركوعِ قال: «**اللهم ربَّنا لك الحمدُ ملْءَ السمواتِ ومِلْءَ الأرضِ، ومِلْءَ ما بينهما، وملءَ ما شئتَ من شيءٍ بعدُ، أهلَ الثناءِ والمجدِ، أحقُّ ما قال العبدُ وكلُّنا لك عبدٌ، اللهمَّ لا مانعَ لما أعطيتَ، ولا معطيَ لما منعتَ، ولا ينفعُ ذا الجدِّ منك**

---

(١) مسند أحمد (١٨٠١)، ومسلم (٤٧٩)، وأبو داود (٧٤٢)، والنسائي (١٠٤٥).

(٢) الترمذي (٢٦١)، وابن ماجه (٨٨).

(٣) مسلم (٤٧٩)، النسائي (١٠٤٥)، أحمد (١٨٠١).

(٤) البخاري (٧٦١)، مسلم (٤٨٤).

(٥) مسلم (٤٨٧)، النسائي (١١٣٤)، أبو داود (٨٧٢).

الجدُّ»[1].

أما الحجُّ فإنه كذلك من العباداتِ التي يَتَجَلَّى فيها تعظيمُ الربِّ جلَّ جلالُه في كلِّ منسكٍ من مناسكِهِ فإن هناك كثيرًا من أفعالِ الحجِّ غيرُ معقولةِ المعنى، غير أنَّ المعنى الذي يجمَعُها جميعًا هو الطاعةُ المطلقةُ والتعظيمُ المطلقُ للهِ تعالى، فالطوافُ يكونُ حولَ البيتِ الذي هو من الحجارةِ، والحجرُ الأسودُ يُقَبَّلُ مع كونِه حجرًا، ورَمْيُ الجِمارِ إنما هو حَجَرٌ يُرمى به حَجَرٌ، فما الذي جعلَ هذا الحجَرَ يُرْمَى وهذا الحَجَرَ يُقَبَّلُ وهذا الحَجَرُ يُطافُ حولَه سِوَى العبوديةِ المحضةِ والتعظيمِ الخالصِ للهِ تعالى!

وفي التلبيةِ التي هي شعارُ الحجِّ أعظمُ عباراتِ الثناءِ والتعظيمِ للهِ جل وعلا: «**لبيك اللهُمَّ لبيك، لبيك لا شريكَ لك لبيك، إن الحمدَ والنعمةَ لك والملكُ، لا شريكَ لك**».

ذكر ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللهُ في معنى التلبيةِ كلامًا جميلًا نذكرُ منهُ ما يدلُّ على تعظيمِ الربِّ تعالى حيثُ ذكرَ من مَعَانيها: إجابةً لك بعدَ إجابةٍ، أو انقيادًا لك بعد انقيادٍ، أي انقدتُ لك، وَسَعَتْ نفسِي خاضعةً ذليلةً، أو حبًّا لك بعد حبٍّ، أو أخلَصْتُ لُبِّي وقَلْبِي لك، فهي شعارُ التوحيدِ ملةِ إبراهيمَ الذي هو روحُ الحجِّ ومقصدُه، بلْ روحُ العباداتِ كلِّها والمقصودُ منها، ولهذا كانت التلبيةُ مفتاحَ هذه العبادةِ التي يُدْخَلُ فيها بها.

وكذلك فإنها مشتملةٌ على الاعترافِ للهِ بالنعمةِ كلِّها ولهذا عَرَّفَها باللامِ المفيدةِ للاستغراقِ أي النعمُ كلُّها لك وأنت مُوليها والمنعمُ بها.

(١) البخاري (١٥٤٩)، مسلم (١١٨٤)، أبو داود (١٧٤٧).

ومشتملةٌ كذلك على الاعترافِ بأن المِلْكَ كلَّه للهِ وحده، فلا مُلْكَ على الحقيقةِ لغيرِه.

واللهُ سبحانه يفرِّقُ في صفاتِه بين الملكِ والحمدِ، وسَوَّغَ هذا المعنى أنَّ اقترانَ أحدُهُما بالآخرِ من أعظمِ الكمالِ والملكِ. والملكُ وحدَه كمالٌ، والحمدُ كمالٌ، واقترانُ أحدِهما بالآخرِ كمالٌ، فإذا اجْتمعَ الملكُ المتضمِّنُ للقدرةِ، مع النعمةِ المتضمِّنةِ لغايةِ النفعِ والإحسانِ والرحمةِ، مع الحمدِ المتضمِّنِ لعامةِ الجلالِ والإكرامِ ا لداعِي إلى محبَّتِه، كان في ذلك من العظمةِ والكمالِ والجلالِ ما هو أولى به وهو أهلُه»[١].

* * *

(١) تهذيب سنن أبي داود (١/٢٢٤-٢٢٩) باختصار.

حقيقةُ تعظيمِ اللهِ تعالى

ذكرَ الهرويُّ رحمهُ الله في (منازلِ السائرينَ) حقيقةَ تعظيمِ اللهِ تعالى فقال: «تعظيمُ الحقِّ سبحانه هو ألا يجعلَ دونَه سببًا، ولا يَرَى عليه حقًّا، أو ينازَع له اختيارًا».

وهذا من دُرَر كلامِه رحمه الله، وقد شَرَحه الإمامُ ابنُ القيمِ فقال: «هذه الدرجةُ تتضمنُ تعظيمَ الحاكمِ سبحانه صاحبَ الخلقِ والأمرِ... وذكر من تعظيمِه ثلاثةَ أشياءَ:

إحداها: أن لا تجعلَ دونَه سببًا، أي لا تجعَلْ للوصْلةِ إليه سببًا غيرَه، بل هو الذي يوصِلُ عبدَه إليه، فلا يوصِلُ إلى اللهِ إلا اللهُ، ولا يقرِّبُ إليه سِوَاه، ولا يُدِنِي إليه غيرُه، ولا يُتَوصلُ إلى رضاهُ إلا به، فما دلَّ على اللهِ إلا اللهُ، ولا هَدَى إليه سِواه، ولا أَدْنَى إليه غيرُه، فإنه سبحانَه هو الذي جعلَ السببَ سببًا، فالسببُ وسببيتُه وإيصالُه كلُّه خلقُه وفعلُه.

الثاني: أن لا يَرى عليه حقًّا، أي لا تَرى لأحدٍ من الخلقِ لا لك ولا لغيرِك حقًّا على اللهِ، بل الحقُّ للهِ على خلقِه وفي أثرٍ إسرائيلي: أن داودَ عليه السلامُ قال: يا ربّ بحقِّ آبائي عليك. فأوْحَى اللهُ إليه: يا داودُ! أيُّ حقٍّ لآبائِك عليَّ؟ ألستُ أنا الذي هديتُهم ومننْتُ عليهم واصطفيتُهم وليَ الحقُّ عليهم.

وأما حقوقُ العبيدِ على اللهِ تعالى؛ من إثابةٍ لمطيعِهم، وتوبتِه على تائِبِهم، وإجابَتِه لسائِلِهم، فتلك حقوقٌ أحقَّها اللهُ سبحانه على نفسِه بحكمِ وعدِهِ وإحسانِه، لا أنَّها حقوقٌ أحقُّوها هم عليه، فالحقُّ في الحقيقةِ للهِ على عبدِه. وحقُّ العبدِ عليه هو ما اقتَضَاه جودُه وبرُّه وإحسانُه إليه بمحضِ جودِه وكرمِه، هذا قولُ أهلِ التوفيقِ والبصائرِ.

الثالث: وأما قولُه: ولا ينازِعُ لهُ اختيارًا، أي إذا رأيتَ اللهَ عزوجل قد اختارَ لك، أو لغيرِك شيئًا؛ إما بأمرِه ودينِه، وإما بقضائِهِ وقدرِه، فلا تنازع اختيارَه، بل ارضَ باختيارِ ما اختارَه لك فإن ذلك من تعظيمِه سبحانه. ولا يَرِدُ عليه قَدَرُه عليه من المعاصي، فإنه سبحانه وإن قَدَّرَها لكنه لم يختَرْها له، فمنازَعتُها غيرُ اختيارِه من عبدِه، وذلك من تمامِ تعظيمِ العبدِ له سبحانه»[1].

والمؤمنُ ـ من تعظيمِ ربّه تبارك وتعالى ـ يرى الخيرَ في كلِّ ما يأتي به اللهُ ـ، ويعلَم أنَّ الله تعالى يريدُ به الخيرَ واليسرَ والفلاحَ الذي قد يأتي في ثَوبِ البلاءِ والشدةِ والضيقِ، ولذلك قال النبيُّ ﷺ : «**عجبًا لأمرِ المؤمنِ إن أمرَه كلَّه خيرٌ، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمنِ، إن أصابتْه سراءُ شَكَرَ فكان خيرًا له، وإن أصابَتْه ضَرَاءُ صَبَرَ فكانَ خيرًا له**»[2].

إن غيرَ المؤمنِ لا يصيبُه من هذا الخيرِ شيءٌ لأنه لا يعظمُ اللهَ تعالى ولا يرضَى بقضائِه، ويرى لنفسِه الحقَّ على اللهِ تعالى، كما قالَ صاحبُ الجنتينِ: ﴿**وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا**﴾ [الكهف:٣٦].

أما المؤمنُ المعظِّمُ لربِّه ـ تبارك وتعالى ـ فإنَّه يرضى بما قدَّرَهُ الله عليه، ويصبِرُ على البلاءِ، ويسألُ ربَّه أن يرفَعَ عنه هذا البلاءَ وأن يثبِّتَه على الحقِّ، كما أنه يعودُ باللائمةِ في نزولِ هذا البلاءِ على نفسِه، ويعلمُ أنه مستحقٌّ له وأن اللهَ عزوجل لم يظلمْهُ وإنما ابتلاهُ بذنوبِه تنبيهًا وإيقاظًا حتى يتدارَكَ أمرَهُ، ويصلحَ شأنَهُ، كلُّ ذلك لأنه لا يرى

(١) مدارج السالكين (٢/٥٠١).

(٢) أخرجه مسلم (٥٣١٨).

لنفسِه حقًّا على الله تعالى كما قال الناظمُ وأحسن:

مـا للعبـادِ عليـه حـقٌّ واجـبُ   كـلَّا ولا سـعيٌ لديـه ضـائعُ
إن عُـذِّبُوا فبعدلِـه أو نُعِّمـوا   فبفَضْـلِهِ وهـو الكـريمُ الواسـعُ

* * *

من معاني اسم الله (العظيم)

من أسمائِه تعالى: (العظيم) قال تعالى: ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقة:٣٣].

قالَ الزجاجُ: العظيمُ: المعظَّمُ في صفةِ اللهِ تعالى يفيدُ عِظَمَ الشأنِ والسلطانِ، وليس المرادُ به وصفَه بعظمِ الأجزاءِ لأن ذلك من صفاتِ المخلوقينَ تعالى الله عن ذلك علوًّا[(١)].

قال الشيخُ السعديُّ رحمه الله تعالى: «العظيمُ الجامعُ لجميعِ صفاتِ العظمةِ والكبرياءِ، والمجدِ والبهاءِ الذي تحبُّه القلوبُ، وتعظِّمُه الأرواحُ، ويعرفُ العارفونَ أنَّ عظمةَ كلِّ شيءٍ، وإن جَلّتْ في الصفةِ، فإنها مُضْمَحِلةٌ في جانبِ عظمةِ العليِّ العظيمِ.

واللهُ تعالى عظيمٌ له كلُّ وصفٍ ومعنىً يوجبُ التعظيمَ، فلا يقدرُ مخلوقٌ أنْ يُثْنِيَ عليه كما ينبغي له، ولا يُحصِي ثناءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسِه، وفوقَ ما يُثْنِي عليه عبادُه.

واعلمْ أن مَعَانِي التعظيمِ الثابتةِ للهِ وحدَه نوعانِ:

أحدُهما: أنه موصوفٌ بكلِّ صفةِ كمالٍ، وله من ذلك الكمالِ أكملُه، وأعظمُه وأوسعُه، فلهُ العلمُ المحيطُ، والقدرةُ النافذةُ والكبرياءُ والعظمةُ، ومن عظمتِه أنَّ السمواتِ والأرضَ في كفِّ الرحمنِ أصغرُ من الخردلَةِ كما قال ابنُ عباسٍ وغيرُه، وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر:٦٧]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص:٤٦).

وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾ [فاطر:٤١]، وقال تعالى وهو العليُّ العظيمُ: ﴿**تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ**﴾ الآية [الشورى:٥].

وفي الصحيحِ عنه ﷺ : «**إنَّ اللهَ يقولُ: الكبرياءُ ردائِي والعظمةُ إزاري، فمن نازَعَني واحدًا منهما عذبتُه**»[1]، فللهِ تعالى الكبرياءُ والعظمةُ، والوصفانِ اللذانِ لا يُقْدَرُ قدرُهما ولا يُبْلَغُ كُنْهَهُمَا.

النوعُ الثاني من معاني عظمتِه تعالى: أنَّه لا يستحقُّ أحدٌ من الخلقِ أن يعظِّمَ كما يعظَّمَ اللهُ؛ فيستحقُّ ـ جلَّ جلالُه ـ من عبادِهِ أن يعظِّمُوه بقلوبِهم، وألسنتِهم، وجوارحِهم؛ وذلك ببذلِ الجهدِ في معرفتِه، ومحبتِه، والذلِّ له، والانكسارِ له، والخضوعِ لكبريائِه، والخوفِ منه، وإعمالِ اللسانِ بالثناءِ عليه، وقيامِ الجوارحِ بشكرِهِ وعبوديتِه. ومن تعظيمِه: أن يُتَّقى حقَّ تقاتِه؛ فيطاعَ فلا يُعْصَى، ويذكرَ فلا يُنسى، ويُشْكَرَ فلا يُكْفَرُ.

ومن تعظيمِه: تعظيمُ ما حرَّمَهُ وشرعَهُ من زمانٍ ومكانٍ وأعمالٍ: ﴿**ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾ [الحج:٣٢]، ﴿**ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ**﴾ [الحج:٣٠].

ومن تعظيمِه: أن لا يُعترضُ على شيءٍ مما خَلَقَهُ أو شَرَعَهُ»[2].

وعظمةُ اللهِ سبحانَه وتعالى لا تكيَّفُ ولا تحدُّ، ولا تمثَّلُ بشيءٍ، ويجبُ على

(١) رواه أبو داود (٣٥٦٧)، وابن ماجه (٤١٦٤).

(٢) الحق الواضح المبين (ص:٢٧-٢٨).

العبادِ أن يعلَمُوا أنه سبحانَهُ عظيمٌ كمَا وصفَ نفسَهُ بذلك، ووصفَهُ به رسولُه ﷺ بلا كيفيةٍ ولا تحديدٍ، وقدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قالَ: «**تفكرُوا في آلاءِ اللهِ ولا تَفَكَّرُوا في اللهِ**»، وفي لفظ: «**تَفكَّروا في خلقِ اللهِ ولا تَفَكَّرُوا في اللهِ**».

* * *

من شواهد العظمة

هذا الكونُ مليءٌ بالشواهدِ التي تدلُّ على عظمةِ الخالقِ سبحانه وتعالى ،، وكل شاهدٍ من هذه الشواهدِ يوصِلُ إلى الذي يليه حتى يصلَ الأمرُ إلى الشاهدِ الأكبرِ، وهو شهودُ جلالِ الربِّ . تبارك وتعالى . وعظمتِهِ، وقديمًا قال الأعرابيُّ: «البعرةُ تدلُّ على البعيرِ، ومسيرُ الأقدامِ يدلُّ على المسيرِ، فسماءٌ ذاتُ أبراجٍ وأرضٌ ذاتُ فجاجٍ، وبحارٌ ذاتُ أمواجٍ، أفلا يدلُّ ذلك على اللطيفِ الخبيرِ».

ولنتأملْ معًا رحلةَ الشواهدِ التي يحكيها لنا الإمامُ ابنُ القيمِ رحمه اللهُ وهي رحلةُ التأملِ والتفكرِ والنظرِ بعينِ البصيرةِ والمعاينةِ لكلِّ ما حولَنا في هذه الدنيا، ولكلِّ ما سيكونُ في الآخرةِ من مشاهدَ وأهوالٍ وصولًا إلى دارِ المتقينَ الجنةِ، ودارِ الكافرينَ النارِ، ثمَّ مشاهدُ عذابِ أهلِ النارِ وأعظمُهُ حجبُهم عن اللهِ تعالى: ﴿**كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**﴾ [المطففين:١٥]، ونعيمِ أهلِ الجنةِ وأعظمُه رؤيةُ الربِّ العظيمِ في يومِ المزيدِ: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ*إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، ثم الانتقالُ بعد ذلك إلى مشاهدِ صفاتِ هذا الإلهِ العظيمِ والربِّ الكريمِ، فيكونُ هذا أعظمَ المشاهدِ في قلبِ المؤمنِ. قال الإمامُ ابن القيم(١):

١- شاهد الدنيا:

فأولُ شواهدِ السائرِ إلى اللهِ والدارِ الآخرةِ: أن يقومَ به شاهدٌ من الدنيا وحقارتِها، وقلةِ وفائِها، وكثرةِ جفائِها، وخسةِ شركائِها، وسرعةِ انقضائِها. ويرى أهلَها

---

(١) مدارج السالكين (٣/٢٥٠).

وعشاقَها صَرَعَى حولَها، قد بَدَّعَتْ بهم[١]، وعذبَتْهم بأنواعِ العذابِ، وأذاقتْهم أمرَّ الشرابِ. أضحكَتْهم قليلًا، وأبكَتْهم طويلًا. سَقَتْهم كؤوسَ سُمِّها، بعد كؤوسِ خمرِها. فسكروا بحبِّها. وماتوا بهجرِها.

٢- شاهد الآخرة:

فإذا قام بالعبدِ هذا الشاهدُ منها: ترحَّل قلبُه عنها، وسافر في طلبِ الدارِ الآخرةِ وحينئذٍ يقومُ بقلبِه شاهدٌ من الآخرةِ ودوامِها، وأنها هي الحيوانُ حقًا. فأهلُها لا يرتحلون منها، ولا يظْعَنون عنها، بل هي دارُ القرارِ، ومحطُّ الرحالِ، ومنتهى السيرِ، وأن الدنيا بالنسبةِ إليها .كما قال النبيُّ ﷺ : «**ما الدُّنيا في الآخرةِ إلا كما يجعلُ أحدُكم إصبعَه في اليمِّ، فلينظُرْ بم ترجعُ؟**»[٢]، وقال بعضُ التابعينَ: ما الدنيا في الآخرةِ إلا أقلُّ من ذرةٍ واحدةٍ في جبالِ الدنيا.

٣- شاهد النار:

ثم يقومُ بقلبِه شاهدٌ من النارِ، وتَوَقُّدِها واضطرامِها، وبُعْدِ قعرِها، وشدةِ حَرِّها، وعظيمِ عذابِ أهلِها. فيشاهدُهم وقد سِيقوا إليها سُودَ الوجوهِ، زُرقَ العيونِ، والسلاسلُ والأغلالُ في أعناقِهم. فلما انتهوا إليها: فُتِّحتْ في وجوهِهم أبوابُها. فشاهدوا ذلك المنظرَ الفظيعَ، وقد تقَطَّعتْ قلوبُهم حسرةً وأسفًا ﴿**وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا**﴾ [الكهف:٥٣]، فأراهم شاهدُ الإيمانِ، وهم إليها يُدفعونَ. وأتى النداءُ من قِبَلِ ربِّ العالمينَ ﴿**وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ**﴾ [الصافات:٢٤]، ثم قيلَ لهم ﴿**هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ. أَفَسِحْرٌ**

---

(١) بدّعت بهم: خذلتهم.

(٢) مسلم (٢٨٥٨)، الترمذي (٢٣٢٣)، ابن ماجه (٤١٠٨).

هَذَا أَمْ أَنتُمْ لا تُبْصِرُونَ. اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور:١٤-١٦]، فيراهم شاهدُ الإيمان. وهم في الحميمِ، على وجوهِهم يُسحبونَ. وفي النارِ كالحطبِ يُسجَرون ﴿**لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ**﴾ [الأعراف:٤١]، فبئسَ اللحافُ وبئسَ الفراشُ.

وإن استغاثوا من شدةِ العطشِ ﴿**يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ**﴾ [الكهف:٢٩]، فإذا شربوه قطَّع أمعاءَهم في أجوافِهم، وصَهَرَ ما في بطونِهم.

شرابُهم الحميمُ، وطعامُهم الزَّقُّومُ ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ**﴾ [فاطر:٣٦-٣٧].

فإذا قام بقلبِ العبدِ هذا الشاهدُ: انخلعَ من الذنوبِ والمعاصي، واتباعِ الشهواتِ. لبسَ ثيابَ الخوفِ والحذرِ، وأخصبَ قلبَهُ من مطرِ أجفانِهِ، وهانَ عليه كلُّ مصيبةٍ تصيبُهُ في غيرِ دينِهِ وقلبِهِ.

وعلى حَسَبِ قوةِ هذا الشاهدِ يكونُ بعدُه من المعاصي والمخالفاتِ. فيذيبُ هذا الشاهدُ من قلبِهِ الفضلاتِ، والموادَّ المهلكةَ، وينضجُها ثم يخرجُها. فيجدُ القلبُ لذةَ العافيةِ وسُرورَها.

٤- شاهد الجنة:

فيقومُ به بعد ذلك: شاهدٌ من الجنةِ، وما أعدَّ اللهُ لأهلِها فيها، مما لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمِعَتْ، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ، فضلًا عمَّا وصَفَه اللهُ لعبادِهِ على لسانِ رسولِه من النعيمِ المفصَّلِ، الكفيلِ بأعلى أنواعِ اللذَّةِ، منَ المطاعمِ والمشاربِ، والملابسِ والصورِ، والبهجةِ والسرورِ. فيقومُ بقلبِهِ شاهدُ دارٍ قد جعلَ اللهُ النعيمَ المقيمَ الدائمَ بحذافِيرِه فيها.

تربتُها المسكُ، وحصباؤُها الدُّرُّ، وبناؤُها لَبِنُ الذَّهبِ والفضةِ، وقَصَبُ اللؤلؤِ، وشرابُها أحلى من العسلِ، وأطيبُ رائحةً من المسكِ، وأبردُ من الكافورِ، وألذُّ من الزنجبيلِ، ونساؤُها لو بَرَزَ وجهُ إحداهُنَّ في هذه الدنيا لغلبَ على ضوءِ الشمسِ، ولباسُهم الحريرُ من السندسِ والإستبرقِ، وخدمُهم ولدانٌ كاللؤلؤِ المنثورِ، وفاكهتُهم دائمةٌ، لا مقطوعةٌ لا ممنوعةٌ، وفُرُشٌ مرفوعةٌ. وغذاؤُهم لحمُ طيرٍ مما يَشْتهونَ، وشرابُهم عليه خمرةٌ لا فيها غَوْلٌ ولا هم عنها يُنزفونَ وخُضْرَتُهُم فاكهةٌ مما يتخيرون، وشاهِدُهم حورٌ عينٌ كأمثالِ اللؤلؤِ المكنونِ، فهم على الأرائكِ مُتكؤونَ، وفي تلك الرياضِ يُحبرونَ، وفيها ما تشتهي الأنفسُ وتلذُّ الأعينُ، وهم فيها خالدونَ.

٥- شاهد يوم المزيد:

فإذا انضم إلى هذا الشاهدِ: شاهدُ يومِ المزيدِ، والنظرُ إلى وجهِ الربِّ جلَّ جلالُه، وسماعُ كلامِهِ منه بلا واسطةٍ. كما قال النبيُّ ﷺ : «**بينما أهلُ الجنةِ في نعيمِهم، إذ سطَعَ لهم نورٌ. فرفَعُوا رؤُوسَهم. فإذا الربُّ تعالى قد أشرَفَ عليهم من فوقِهم. وقال: يا أهلَ الجنةِ، سلامٌ عليكم** . ثم قرأ قولَه تعالى: ﴿**سَلاَمٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ**

رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٨] . **ثم يَتَوارى عنهم. وتبقَى رحمتُه وبركتُه عليهم في ديارِهم»**[١].

فإذا انضمَّ هذا الشاهدُ إلى الشواهدِ التي قبلَه: فهناك يسيرُ القلبُ إلى ربِّه أسرعَ من سيرِ الرياحِ في مهابِّها، فلا يلتفتُ في طريقِه يمينًا ولا شمالًا.

٦- شاهدُ جلالِ الربِّ وعظمتِهِ:

هذا، وفوقَ ذلك: شاهدٌ آخرَ تضمحِلُّ فيه هذه الشواهدُ، ويغيبُ به العبدُ عنها كلِّها. وهو شاهدُ جلالِ الربِّ تعالى، وجمالِه وكمالِه، وعزِّه وسلطانِه، وقيوميتِه وعلوِّه فوقَ عرشِه، وتكلُّمِه بكتبِه وكلماتِ تكوينِه، وخطابِه لملائكتِه وأنبيائِه.

فإذا شاهدَه شاهدَ بقلبِه قيومًا قاهرًا فوقَ عبادِه، مستويًا على عرشِه، منفردًا بتدبيرِ مملكتِه، آمرًا ناهيًا، مرسِلًا رسلَه، ومُنْزِلًا كتبَه. يرضَى ويغضَبُ، ويثيبُ ويعاقبُ. ويعطِي ويمنعُ، ويعزُّ ويذلُّ. ويحبُّ ويغضبُ. ويرحمُ إذا استُرحِمَ، ويغفرُ إذا استُغفِرَ، ويعطِي إذا سُئِلَ، ويجيبُ إذا دُعِيَ، ويقيلُ إذا استُقيلَ.

أكبرُ من كلِّ شيءٍ، وأعظمُ من كلِّ شيءٍ، وأعزُّ من كلِّ شيءٍ، وأقدرُ من كلِّ شيءٍ، وأعلمُ من كلِّ شيءٍ، وأحكمُ من كلِّ شيءٍ.

فلو كانت قُوى الخلائقِ كلِّهم على واحدٍ منهم، ثم كانوا كلُّهم على تلك القوةِ، ثم نُسبت تلك القوى إلى قوةِ اللهِ تعالى لكانتْ دونَ قوةِ البعوضةِ بالنسبةِ إلى قوةِ الأسدِ.

ولو قُدِّرَ جمالُ الربِّ تعالى لكان دونَ سراجٍ ضعيفٍ بالنسبةِ إلى عينِ الشمسِ.

---

(١) ابن ماجه (١٨٤)، باب (١٣) فيما أنكرت الجهمية.

ولو كانَ علمُ الأولينَ، والآخرينَ على رجلٍ منهم، ثم كان كلُّ الخلقِ على تلكَ الصفةِ، ثم نُسبَ إلى علمِ الربِّ تعالى لكانَ ذلك بالنسبةِ إلى علمِ الربِّ كنقرةِ عُصفورٍ في بحرٍ.

وهكذا سائرُ صفاتِهِ، كسمعِه وبصرِه، وسائرِ نعوتِ كمالِه. فإنَّه يسمعُ ضجيجَ الأصواتِ باختلافِ اللغاتِ، على تفننِ الحاجاتِ. فلا يشغَلُه سمعٌ عن سمعٍ. ولا تُغلطُه المسائلُ. ولا يتبرمُ بإلحاحِ الملِحِّينَ.

سواءٌ عندَه من أسرَّ القولَ ومن جهرَ به. فالسِّر عنده علانيةٌ. والغيبُ عنده شهادةٌ.

يرى دبيبَ النملةِ السوداءِ، على الصخرةِ الصماءِ، في الليلةِ الظلماءِ. ويرى نياطَ عروقِها، ومجاري القوتِ في أعضائِها.

يضعُ السماواتِ على إصبعٍ من أصابعِ يدِه، والأرضَ على إصبعٍ، والجبالَ على إصبعٍ، والشجرَ على إصبعٍ، والماءَ على إصبعٍ. ويقبضُ سماواتِه بإحْدَى يديه، والأرضينَ باليدِ الأخرى. فالسماواتُ السبعُ في كفِّه كخردلةٍ في كفِّ العبدِ.

ولو أنَّ الخلقَ كلَّهم من أولِهم إلى آخرِهم قاموا صفًّا واحدًا ما أحاطُوا باللهِ عزوجل. لو كشفَ الحجابَ عن وجهِه لأحرقَتْ سُبحاتُه ما انتهى إليه بصرُه من خلقِه.

فإذا قامَ بقلبِ العبدِ هذا الشاهدُ: اضْمَحَلَّتْ فيهِ الشواهدُ المتقدمةُ، من غيرِ أنْ تعدَمَ. بل تصيرُ الغلبةُ والقهرُ لهذا الشاهدِ، وتندرجُ فيه الشواهدُ كلُّها. ومَنْ هذا شاهِدُه: فله سلوكٌ وسيرٌ خاصٌّ، ليسَ لغيرِه ممن هو عن هذا في غفلةٍ، أو معرفةٍ مجملةٍ.

فصاحبُ هذا الشاهدِ: سائرٌ إلى اللهِ في يقظتِهِ ومنامِهِ، وحركتِهِ وسكونِهِ وفطرِهِ

وصيامِهِ، لهُ شأنٌ وللناسِ شأنٌ. هو في وادٍ والنَّاسُ في وادٍ.

٧- شاهدُ التوحيدِ:

فإذا طلعتْ شمسُ التوحيدِ، وباشَرَتْ جوانُبَها الأرواح، ونورُها البصائِرَ، تجلَّتْ بها ظلماتُ النفسِ والطبعِ، وتحركتْ بها الأرواحُ في طلبِ من ليس كمثلِه شيءٌ وهو السميعُ البصيرُ، فسافرَ القلبُ في بيداءِ الأمرِ، ونَزَلَ منازلَ العبوديةِ، منزلًا منزلًا، فهو ينتقلُ من عِبادةٍ إلى عبادةٍ، مُقيم على معبود واحد.

فلا تزالُ شواهدُ الصفاتِ قائمةً بقلبِهِ، توقظُه إذا رقدَ، وتذكِّرُهُ إذا غفلَ، وتحدُو به إذا سارَ، وتقيمُهُ إذا قعدَ.

إن قام بقلبِه شاهدٌ من الربوبيةِ والقيوميةِ رأى أنَّ الأمرَ كلَّهُ للهِ. ليس لأحدٍ معه من الأمرِ شيءٌ ﴿**مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**﴾ [فاطر:٢-٣]. ﴿**وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [يونس:١٠٧]، ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ**﴾ [الزمر:٣٨]، ﴿**قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ**

الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

إن قامَ بقلبِه شاهدٌ من الإلهيةِ: رأى في ذلك الشاهدِ الأمرَ والنهيَ، والنبواتِ، والكتبَ والشرائعَ، والمحبةَ والرضى، والكراهةَ والبغضَ، والثوابَ والعقابَ، وشاهدَ الأمرَ نازلًا ممن هو مستوٍ على عرشِهِ، وأعمالُ العبادِ صاعدةٌ إليهِ، ومعروضة عليه. يجزي بالإحسانِ منها في هذه الدارِ وفي العقبى نضرةً وسرورًا، ويقدمُ إلى ما لم يكنْ عن أمرِهِ وشرعِهِ منها فيجعلُهُ هباءً منثورًا.

وإن قامَ بقلبِه شاهدٌ من الرحمةِ: رأى الوجودَ كلَّه قائمًا بهذهِ الصفةِ، قدْ وَسِعَ من هي صفتُه كلَّ شيءٍ رحمةً وعلمًا، وانتهتْ رحمتُهُ إلى حيثُ انتهى علمُه، فاستوى على عرشِه برحمتِهِ، لتسعَ كلَّ شيءٍ، كما وَسِعَ عرشُهُ كلَّ شيءٍ.

وإنْ قامَ بقلبه شاهدُ العِزَّة والكبرياءِ، والعظمةِ والجبروتِ: فله شأنٌ آخر.

وهكذا جميعُ شواهدِ الصفاتِ، فما ذكرنا إنما هو أدنى تنبيهٍ عليها. فالكشفُ والعيانُ والمشاهدةُ لا تتجاوزُ الشواهدَ البتةَ.

أإله مع الله؟

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ(١): «لا ريبَ أن اللهَ ربُّ العالمينَ، ربُّ السمواتِ والأرضينَ وما بينهما وربُّ العرشِ العظيمِ، ربُّ المشرقِ والمغربِ لا إله إلا هو فاتخذْه وكيلًا، ربُّكم وربُّ آبائِكم الأولين، ربُّ الناسِ مَلِكُ الناسِ إلهُ الناسِ. وهو خالقُ كلِّ شيءٍ وهو على كلِّ شيءٍ وكيلٌ.

خلقَ الزوجينِ الذكرَ والأنثى، من نطفةٍ إذا تُمنى، وهو ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكُه، وهو مالكُ الملك؛ يُؤتي الملكَ من يشاءُ، وينزعُ الملكَ ممَّنْ يشاءُ، ويعزُّ من يشاءُ، ويذلُّ من يشاءُ، بيدِه الخيرُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

له ما في السمواتِ وما في الأرضِ وما بينهما وما تحتَ الثرى، الرحمنُ على العرشِ استوى، له الملكُ وله الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ ﴿**إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [هود:٥٦].

قلوبُ العبادِ ونواصِيهم بيدِه، وما منْ قلبٍ إلَّا وهو بينَ إصبعينِ من أصابعِ الرحمنِ، إن شاء أن يُقيمَهُ أقامَه، وإن شاء أن يُزيغَهُ أزاغَهُ.

وهو الذي أضحَكَ وأبكَى، وأغنَى وأقنَى، وهو الذي يُرسلُ الرياحَ بشرًا بين يديْ رحمتِه، ويُنزلُ من السماءِ ماءً فيُحيي به الأرضَ بعدَ موتِها، ويبُثُّ فيها من كلِّ دابَّةٍ. وهو ﴿**الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**﴾ [الأنعام:١]، ﴿**فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ**

(١) مجموع الفتاوى (٢/٣٩٨-٤٠٠) دار الوفاء.

وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام:١٢٥]، ﴿**وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [القصص:٧٠].

وهو الحيُّ القيومُ الذي لا تأخذُهُ سِنةٌ ولا نومٌ، وهو القائمُ بالقسطِ، القائمُ على كلِّ نفسٍ بما كسَبَتْ، الخالقُ البارئُ المصورُ. ﴿**وَمَا** مِن **دَابَّةٍ** فِي **الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا**﴾ [هود:٦]، ما شاءَ اللهُ لا قوةَ إلا باللهِ، فما شاء اللهُ كان، وما لم يشأْ لم يكنْ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ، ولا ملجأَ منه إلا إليه.

فهذه المعاني وما أشبهَها من معاني ربوبيتِه ومُلكِه، وخلقِه ورزقِه، وهدايته ونصرِه، وإحسانِه وبرِّه، وتدبيرِه وصنعِه، ثمَّ ما يتصلُ بذلك من أنه بكلِّ شيءٍ عليمٌ، وعلى كلِّ شيءٍ قديرٌ، وأنَّه سميعٌ بصيرٌ، لا يشغَلُه سمعٌ عن سمعٍ، ولا تُغلِطُه المسائلُ، ولا يتبرمُ بإلحاحِ الملحِّينَ، يُبصرُ دبيبَ النملةِ السوداءِ، في الليلةِ الظلماءِ، على الصخرةِ الصماءِ.

فهذا كلُّه حقٌّ، وهو محضُ توحيدِ الربوبيةِ؛ وهو مع هذا قد أعطى كلَّ شيءٍ خلقَه ثمَّ هَدَى، وأحسنَ كلَّ شيءٍ خَلَقَهُ، وبدأَ خلقَ الإنسانِ من طينٍ.

وهذا صنعُ اللهِ، الذي أتقنَ كلَّ شيءٍ، والخيرُ كلُّه بيديْهِ، وهو أرحمُ الراحمينَ، وهو أرحمُ بعبادِهِ من الوالدةِ بولدِهَا، كما أقسمَ على ذلك النبيُّ ﷺ فقالَ: «**واللهِ للهُ أرحمُ بعبادِه من هذه الوالدةِ بولَدِها**»[1] إلى نحوِ هذه المعاني، التي تقتضي شمولَ حكمتِه وإتقانِه وإحسانِه خَلْقَ كلِّ شيءٍ وسعةَ رحمتِه وعظمتَها وأنها سبقتْ غضبَه كلُّ

---

(١) البخاري (٥٩٩٩)، مسلم (٢٧٥٤).

هذا حقٌّ»[1].

فاللهُ عزوجل هو مالكُ الملكِ الذي ﴿**لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾ [سبأ:٣]، وإذا نظر العبدُ في تدبيرِ اللهِ تعالى لهذا الكونِ كاد عقلُه يطيشُ من هذه القدرةِ الباهرةِ، والقوةِ القاهرةِ، والرحمةِ الظاهرةِ، والإتقانِ والإحسانِ والحكمةِ في كلِّ شيءٍ.

* * *

(١) مجموع الفتاوى (٢/٤٠٠).

الطريق إلى تعظيم الله تعالى

إن تعظيمَ اللهِ تعالى لا يكونُ إلَّا بعدَ معرفةِ اللهِ سبحانه وتعالى بأسمائِه وصفاتِه وأفعالِه ونعوتِ جلالِه، قال تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ إِلَهَ إِلا اللَّهُ**﴾ [محمد:١٩]، فلا بدَّ من العلمِ والمعرفةِ، فهي النورُ الذي يضيءُ لك طريقَ التعظيمِ والإجلالِ.

فاللهُ سبحانه وتعالى عظيمٌ في ذاتِه، عظيمٌ في أسمائِه، عظيمٌ في صفاتِه، عظيمٌ في ملكِه وسلطانِه، عظيمٌ في خلقِه وأمرِه، عظيمٌ في دينِه وشرعِه، عظيمٌ في علمِه وكلماتِه قال تعالى: ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً**﴾ [الكهف:١٠٩]، وقال: ﴿**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [لقمان:٢٧]، هذا علمُ الله تعالى فماذا عن قدرته؟ قال تعالى بعد هذه الآية: ﴿**مَّا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**﴾ [لقمان:٢٨-٣١].

إنها العظمةُ المطلقةُ والقدرةُ المطلقةُ والعلوُّ المطلقُ، والجلالُ المطلقُ، والقهرُ المطلقُ: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [الزمر:٦٧].

قال الإمامُ ابنُ القيمِ في ارتباطِ التعظيمِ بالمعرفةِ: «وهذه المنزلةُ . أي منزلةُ تعظيمِ

قال الإمامُ ابنُ القيمِ في ارتباطِ التعظيمِ بالمعرفةِ: «وهذه المنزلةُ . أي منزلةُ تعظيمِ الله عزوجل تابعةٌ للمعرفةِ، فعلى قدرِ المعرفةِ يكونُ تعظيمُ الربِّ تعالى في القلبِ، وأعرفُ الناسِ به أشدُّهم له تعظيمًا وإجلالًا، وقد ذمَّ اللهُ تعالى من لم يعظِّمْهُ حقَّ عظمَتِهِ، ولا عَرَفَهُ حقَّ معرفتِهِ، ولا وَصَفَهُ حقَّ وصفِهِ، فقال تعالى: ﴿**مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا**﴾ [نوح:١٣]»(١).

وقال أبو القاسمِ إسماعيلُ الأصبهانيُّ في صفةِ العظمةِ: «العظمةُ صفةٌ من صفاتِ اللهِ، لا يقومُ لها خلقٌ، واللهُ تعالى خلقَ بين الخلقِ عظمةً يعظِّمُ بها بعضُهم بعضًا، فمن الناسِ من يعظَّم لمالٍ، ومنهم من يعظَّم لفضلٍ، ومنهم من يعظَّم لعلمٍ، ومنهم من يعظَّم لسلطانٍ، ومنهم من يعظَّم لجاهٍ، وكلُّ واحدٍ من الخلقِ إنما يعظَّمُ لمعنى دونَ معنىً واللهُ عزوجل يعظَّمُ في الأَحوالِ كلِّها، فينبغي لمن عَرَفَ حقَّ عظمةِ اللهِ أن لا يتكلمَ بكلمةٍ يكرهُها اللهُ، ولا يرتكبَ معصيةً لا يرضاها اللهُ، إذ هو القائمُ على كلِّ نفسٍ بما كسبتْ»(٢)، يشير بذلك رحمه اللهُ إلى أنَّ المعصيةَ تُضْعِفُ من تعظيمِ العبدِ لربِّه، وقد تذهبُ التعظيمَ من قلبِه بالكليةِ.

* * *

(١) مدارج السالكين (٢/٤٩٥).

(٢) الحجة في بيان المحجة (١/١٤١، ١٤٢).

تعظيمُ الأمرِ والنهيِ

وهذا يدلُّ على أن أولَ مراتبِ التعظيمِ هي تعظيمُ الأمرِ والنهيِ، وقد ذكر ذلك ابنُ القيمِ فقال: «تعظيمُ الأمرِ والنهيِ هو ناشئٌ عن تعظيمِ الآمرِ الناهي فإن اللهَ تعالى ذمَّ من لا يعظِّمهُ ولا يعظِّمُ أمرَهُ ونَهيَهُ، قال سبحانه وتعالى .: ﴿**مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا**﴾ [نوح:١٣]، قالوا في تفسيرِها: ما لكم لا تخافونَ للهِ تعالى عظمةً.

وما أحسنَ ما قالَه شيخُ الإسلامِ في تعظيمِ الأمرِ والنهيِ: «هو ألا يُعَارَضَا بترخصٍ جافٍ، ولا يُعرَّضا لتشديدٍ غالٍ ولا يُحْمَلَا على علةٍ توهنُ الانقيادَ».

ومعنى كلامِه: أن أولَ مراتبِ تعظيمِ الحقِّ عزوجل : تعظيمُ أمرِهِ ونهيِه، وذلك لأن المؤمنَ يعرِفُ ربَّه لأ برسالتِه التي أرسلَ بها رسولَ اللهِ ﷺ إلى كافةِ الناسِ، ومقتضاها: الانقيادُ لأمرِهِ ونهيِهِ، وإنما يكونُ ذلك بتعظيمِ أمرِ اللهِ عزوجل واتباعِه، وتعظيمِ نهيِه واجتنابِه، فيكون تعظيم المؤمن لأمر الله تعالى ونهيه واجتنابه دالًّا على تعظيمِه لصاحبِ الأمرِ والنهيِ، ويكونُ بحسبِ هذا التعظيمِ من الأبرارِ المشهودِ لهم بالإيمانِ والتصديقِ وصحةِ العقيدةِ، والبراءةِ من النفاقِ الأكبرِ. فإن الرجلَ قد يتعَاطَى فعلَ الأمرِ لنظرِ الخلقِ وطلبِ المنزلةِ والجاهِ عندَهم، ويتَّقِي المناهِيَ خشيةَ سقوطِه من أعينِهم، وخشيةَ العقوباتِ الدنيويَّةِ من الحدودِ التي رتَّبَها الشارعُ على المناهِي، فهذا ليس فعلُه وتركه صادرًا عن تعظيمِ الأمرِ والنهيِ، ولا عن تعظيمِ الآمرِ الناهِي»[١].

---

(١) الوابل الصيب (ص:١٧-١٨).

كيف نعرف الله؟[1]

الربُّ تعالى يدعُو عبادَه في القرآنِ إلى معرفتِه من طريقينِ:

أحدُهما: النظرُ في مفعولاتِه.

والثاني: التفكُّرُ في آياتِه وتدبُّرُها.

فتلكَ آياتُه المشهودَةُ، وهذه آياتُه المسموعَةُ المعقولَةُ.

فالنوعُ الأولُ: كقولِه: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ**﴾ [البقرة:١٦٤]، إلى آخرها. وقوله: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ**﴾ [آل عمران:١٩٠].. وهو كثيرٌ في القرآنِ.

والثاني: **كقولِه**: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ**﴾ [النساء:٨٢]. وقوله: ﴿**أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ**﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وقوله: ﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ**﴾ [ص:٢٩].. وهو كثيرٌ أيضًا.

فأمَّا المفعولاتُ، فإنها دالَّةٌ على الأفعالِ، والأفعالُ دالَّةٌ على الصفاتِ؛ فإنَّ المفعولَ يدلُّ على فاعلِ فعلِه، وذلكَ يستلزِمُ وجودَه وقدرتَه ومشيئتَه وعلمَه لاستحالةِ صدورِ الفعلِ الاختياريِّ من معدومٍ أو موجودٍ لا قدرةَ له ولا حياةَ ولا علمَ ولا إرادةَ.

ثم ما في المفعولاتِ من التخصُّصَاتِ المتنوعةِ دالٌّ على إرادةِ الفاعلِ، وأنَّ فعلَه ليس بالطبعِ بحيثُ يكونُ واحدًا غيرَ متكررٍ.

---

(١) الفوائد لابن القيم (ص:٤٠-٤٢).

وما فيها من المصالحِ والحِكمِ والغاياتِ المحمودةِ دالٌّ على حكمتِه تعالى.

وما فيها من النفعِ والإحسانِ والخيرِ دالٌّ على رحمتِه.

وما فيها من البطشِ والانتقامِ والعقوبةِ دالٌّ على غضبِه.

وما فيها من الإكرامِ والتقريبِ والعنايةِ دالٌّ على محبتِه.

وما فيها من الإهانةِ والإبعادِ والخذلانِ دالٌّ على بُغضِه ومَقتِه.

وما فيها من ابتداءِ الشيءِ في غايةِ النقصِ والضعفِ ثم سَوْقِهِ إلى تمامِه ونهايتِه دالٌّ على وقوعِ المعادِ.

وما فيها من أحوالِ النباتِ والحيوانِ وتصرُّفِ المياهِ دليلٌ على إمكانِ المعادِ.

وما فيها من ظهورِ آثارِ الرحمةِ والنعمةِ على خلقِه دليلٌ على صحةِ النبوَّاتِ.

وما فيها من الكمالاتِ التي لو عَدِمَتْها كانتْ ناقصةً دليلٌ على أنَّ معطي تلكَ الكمالاتِ أحقُّ بها.

فمفعولاتُه من أدلِّ شيءٍ على صفاتِه وصِدْقِ ما أخبرَتْ به رُسُلُه عنه؛ فالمصنوعاتُ شاهدةٌ تُصَدِّقُ الآياتِ المسموعاتِ، منبهةٌ على الاستدلالِ بالآياتِ المصنوعاتِ. قال تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾ [فصلت:٥٣]، أي أنَّ القرآنَ حقٌّ، فأخبرَ أنَّه لا بدَّ أن يُرِيَهُم من آياتِه المشهودَةِ ما يبيِّنُ لهم أنَّ آياتِه المتلوَّةَ حقٌّ. ثم أخبرَ بكفايةِ شهادتِه على صحةِ خَبَرِه بما أقامَ من الدلائلِ والبراهينِ على صدقِ رسولِه. فآياتُه شاهدةٌ بصدقِه، وهو شاهدٌ بصدقِ رسولِه بآياتِه. فهو الشاهدُ والمشهودُ له، وهو الدليلُ والمدلولُ عليه. فهو الدليلُ

بنفسِه على نفسِه كما قالَ بعضُ العارفينَ: كيفَ أطلبُ الدليلَ على من هو دليلٌ لي على كلِّ شيءٍ؟ فأيُّ دليلٍ طلبتَه عليه فوجودُه أظهرُ منه. ولهذا قال الرُّسُلُ لقومِهم: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾؟ [إبراهيم: ١٠]؛ فهو أعرفُ من كلِّ معروفٍ، وأبينُ من كلِّ دليلٍ. فالأشياءُ عُرِفَتْ به في الحقيقةِ، وإنْ كانَ عُرِفَ بها في النَّظَرِ، والاستدلالِ بأفعالِه وأحكامِه عليه.

* * *

معرفةُ جمالِ اللهِ عزوجل[١]

من أعزِّ أنواعِ المعرفةِ: معرفةُ الربِّ سبحانه بالجمالِ، وهي معرفةُ خواصِّ الخلقِ، وكلُّهم عَرَفَهُ بصفةٍ من صفاتِه، وأتمُّهم معرفةً من عَرَفَهُ بكمالِه وجلالِه وجمالِه سبحانه، ليسَ كمثلِه شيءٌ في سائرِ صفاتِه، ولو فَرَضْتَ الخلقُ كلُّهم على أجملِهم صورةً، وكلُّهم على تلكَ الصورةِ، ونَسَبْتَ جمالَهم الظاهرَ والباطنَ إلى جمالِ الربِّ سبحانَه لكانَ أقلَّ من نسبةِ سراجٍ ضعيفٍ إلى قرصِ الشمسِ، ويكفِي في جمالِه أنَّه لو كَشَفَ الحجابَ عن وجْهِه لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُه[٢] ما انتهى إليه بصرُه من خلقِه. ويكفِي في جمالِه أنَّ كلَّ جمالٍ ظاهرٍ وباطنٍ في الدنيا والآخرةِ فمن آثارِ صنعَتِه، فما الظنُّ بمَنْ صدرَ عنه هذا الجمالُ؟!

ويكفِي في جمالِه: أنَّه لَهُ العزَّةُ جميعًا، والقوَّةُ جميعًا، والجودُ كلُّه، والإحسانُ كلُّه، والعلمُ كلُّه، والفضلُ كلُّه، ولِنُورِ وجهِه أَشْرَقَتِ الظلماتُ، كما قالَ النبيُّ ﷺ في دعاءِ الطائفِ: «**أعوذُ بنورِ وجهِكَ الذي أشرقَتْ لهُ الظلماتُ وصلُحَ عليه أمرُ الدنيا والآخرةِ**»[٣].

وقال عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ: ليسَ عندَ ربِّكُم ليلٌ ولا نهارٌ، نورُ السمواتِ والأرضِ من نورِ وجهِه، فهو سبحانَه نورُ السمواتِ والأرضِ، ويومَ القيامةِ إذا جاء لفصلِ القضاءِ تُشْرِقُ الأرضُ بنُوره.

---

(١) الفوائد (ص:٢٥٨).

(٢) (سُبُحاتُ) وجهِ الله تعالى بضمتين: جلالتُه.

(٣) رواه الطبراني في (الكبير) عن عبد الله بن جعفر. وهو ضعيف. انظر: تخريج فقه السيرة (١٣١).

ومن أسمائِه الحسنى (الجميلُ). وفي الصحيح عنه ﷺ : «**إن اللهَ جميلٌ يحبُّ الجمالَ**»(١).

وجمالُه سبحانَه على أربعِ مراتِبٍ: جمالُ الذاتِ، وجمالُ الصفاتِ، وجمالُ الأفعالِ، وجمالُ الأسماءِ. فأسماؤُه كلُّها حُسْنَى، وصفاتُه كلُّها صفاتُ كمالٍ، وأفعالُه كلُّها حكمةٌ ومصلحةٌ وعدلٌ ورحمةٌ. وأمَّا جمالُ الذَّاتِ، وما هو عليه، فأمرٌ لا يُدْرِكُهُ سِوَاهُ، ولا يعلمُه غيرُه، وليسَ عندَ المخلوقينَ منه إلا تعريفاتٌ تَعَرَّفَ بها إلى مَنْ أَكْرَمَهُ من عبادِه، فإنَّ ذلكَ الجمالَ مصونٌ عن الأغيارِ محجوبٌ بسترِ الرداءِ والإزارِ، كما قال رسوله ﷺ فيما يُحْكَى عنه: «**الكبرياءُ رِدَائي، والعظمةُ إزاري**»(٢). ولما كانت الكبرياءُ أعظمُ وأوسعُ كانتْ أَحَقَّ باسمِ الرداءِ؛ فإنه سبحانَه الكبيرُ المتعالِ، فهو سبحانَه العليُّ العظيمُ.

قال ابنُ عباسٍ: حجبَ الذاتَ بالصفاتِ، وحجبَ الصفاتِ بالأفعالِ، فما ظنُّكَ بجمالٍ حُجِبَ بأوصافِ الكمالِ وسُتِرَ بنعوتِ العظمةِ والجلالِ؟!

ومن هذا المعنى يُفْهَمُ بعضُ معانِي جمالِ ذاتِه؛ فإنَّ العبدَ يترقَّى من معرفةِ الأفعالِ إلى معرفةِ الصفاتِ، ومن معرفةِ الصفاتِ إلى معرفةِ الذاتِ. فإذا شاهدَ شيئًا من جمالِ الأفعالِ، استدلَّ به على جمالِ الصفاتِ، ثم استَدَلَّ بجمالِ الصفاتِ على جمالِ الذاتِ.

ومن ههنا يتبينُ أنَّهُ سبحانَه لهُ الحمدُ كلُّه، وأنَّ أحدًا من خَلْقِهِ لا يُحصِي ثناءً

---

(١) رواه مسلم (١٤٧)، والترمذي (١٩٩٩).

(٢) مسلم (٦٢٠)، وأبو داود (٣٥٦٧).

عليه، بل هو كما أَثْنَى على نفسِه، وأنه يستحقُّ أن يُعْبَدَ لذاتِه، ويُحَبَّ لذاتِه، ويُشْكَرَ لذاته، وأنه سبحانَه يُحِبُّ نفسَه ويُثني على نفسِه ويحمدُ نفسَه، وأن محبَّتَه لنفسِه وحمدَه لنفسِه وثناءَه على نفسِه وتوحيدَه لنفسِه، هو في الحقيقةِ الحمدُ والثناءُ والحبُّ والتوحيدُ؛ فهو سبحانه كما أَثْنَى على نفسِه، وفوقَ ما يُثْنِي به عليه خلقُه.

وهو سبحانه كما يُحِبُّ ذاتَه يحبُّ صفاتِه وأفعالَه، فكلُّ أفعالِه حسنٌ محبوبٌ، وإن كانَ في مفعولاتِه ما يُبْغِضُهُ ويكرهُه، فليس في أفعالِه ما هو مكروهٌ مسخوطٌ، وليسَ في الوجودِ ما يُحَبُّ لذاتِه ويُحْمَدُ لذاتِه إلا هو سبحانَه. وكل ما يُحَبُّ سواهُ، فإنْ كانَتْ محبَّتُه تابعةٌ لمحبتِه سبحانَه بحيثُ يُحَبُّ لأجلِه، فمحبَّتُه صحيحةٌ، وإلا فهي محبةٌ باطلةٌ. وهذا هو حقيقةُ الإلهيةِ؛ فإنَّ الإلهَ الحقَّ هو الذي يُحَبُّ لذاتِه ويُحْمَدُ لذاتِه. فكيفَ إذا انضافَ إلى ذلكَ إحسانُه وإنعامُه وحلمُه وتجاوزُه وعفوُه وبرُّه ورحمتُه؟

فعلى العبدِ أنْ يعلَمَ أنَّه لا إلهَ إلا اللهُ، فيحبُّه ويحمدُه لذاتِه وكمالِه، وأنْ يعلمَ أنَّه لا مُحْسِنَ على الحقيقةِ بأصنافِ النعمِ الظاهرةِ والباطنةِ إلا هو ، فيحبُّه لإحسانِه وإنعامِه، ويحمَدُه على ذلكَ؛ فيحبُّه من الوجهينِ جميعًا.

وكما أنَّه ليسَ كمثلِه شيءٌ، فليسَ كمحبَّتِه محبةٌ. والمحبَّةُ معَ الخضوعِ هي العبوديةُ التي خُلِقَ الخلقُ لأجلِها؛ فإنَّها غايةُ الحبِّ بغايةِ الذُّلِّ، ولا يصلحُ ذلكَ إلَّا له سبحانَه. والإشراكُ به في هذا، هو الشركُ الذي لا يَغْفِرُه اللهُ، ولا يقبلُ لصاحِبِه عملًا.

وحمدُه يتضمَّنُ أصلينِ: الإخبارُ بمحامدِه وصفاتِ كمالِه، والمحبةُ له عليها. فمَنْ أخبرَ بمحاسنِ غيرِه من غيرِ محبةٍ له لم يَكُنْ حامدًا. ومن أحبَّه من غير إخبارٍ بمحاسنِه لم يَكُنْ حامدًا حتى يجمَعَ الأمرينِ.

وهو سبحانَه يحمدُ نفسَه بنفسِه، ويحمدُ نفسَه بما يُجْرِيهِ على ألسنةِ الحامدينَ له من ملائكتِهِ وأنبيائِه ورُسلِه وعبادِه المؤمنينَ؛ فهو الحامدُ لنفسِه بهذا وهذا؛ فإن حمدَهم له بمشيئتِهِ وإذنِه وتكوينِه؛ فإنَّه هو الذي جعلَ الحامدَ حامدًا، والمسلمَ مسلمًا، والمصلِّيَ مصليًا، والتائبَ تائبًا؛ فمنه ابتدأتِ النعمُ وإليه انتهَتْ، فابتدأَتْ بحمدِه وانتهَتْ إلى حمدِه.

وهو الذي ألهمَ عبدَه التوبةَ، وفرحَ بها أعظمَ فرحٍ، وهي من فَضْلِه وجُودِه. وألهمَ عبدَه الطاعةَ، وأعانَه عليها، ثم أثابَه عليها، وهي من فَضْلِهِ وجودِه.

وهو سبحانَه غنيٌّ عن كلِّ ما سواهُ بكلِّ وجهٍ، وما سواهُ فقيرٌ إليه بكلِّ وجهٍ، والعبدُ مفتقرٌ إليه لذاتِهِ في الأسبابِ والغاياتِ؛ فإنَّ ما لا يكونُ به لا يكونُ، وما لا يكونُ له لا يَنْفَعُ.

* * *

أعرفُ الناسِ باللهِ[١]

من الناسِ من يعرفُ اللهَ بالجودِ والإفضالِ والإحسانِ، ومنهم من يعرِفُه بالعفوِ والحلمِ والتجاوزِ، ومنهم من يعرفُه بالبطشِ والانتقامِ، ومنهم من يعرفُه بالعلمِ والحكمةِ، ومنهم من يعرفُه بالعزَّةِ والكبرياءِ، ومنهم من يعرفُه بالرحمةِ والبرِّ واللطفِ، ومنهم من يعرفُه بالقهرِ والملكِ، ومنهم من يعرفُه بإجابةِ دعوتِه وإغاثةِ لهفتِه وقضاءِ حاجتِه.

وأعظمُ هؤلاءِ معرفةً: من عَرَفَه من كلامِه؛ فإنَّه يعرِفُ ربًّا قد اجتمعَتْ له صفاتُ الكمالِ ونعوتُ الجلالِ، منزَّهٌ عن المثالِ، بريءٌ من النقائص والعيوبِ، له كلُّ اسمٍ حسنٍ وكلُّ وصفِ كمالٍ، فعَّالٌ لما يريدُ، فوقَ كلِّ شيءٍ، ومع كلِّ شيءٍ، وقادرٌ على كلِّ شيءٍ، ومقيمٌ لكلِّ شيءٍ، آمرٌ ناهٍ، متكلمٌ بكلماتِه الدينيةِ والكونيةِ، أكبرُ من كلِّ شيءٍ، وأجملُ من كلِّ شيءٍ، أرحمُ الراحمينَ، وأقدرُ القادرينَ، وأحكمُ الحاكمينَ. فالقرآنُ أُنْزِلَ لتعريفِ عبادِه به، وبصراطِه الموصلِ إليه، وبحالِ السالكينَ بعد الوصولِ إليه.

* * *

---

(١) الفوائد (ص:٢٥٧).

الحمدُ من طرقِ تعظيمِ اللهِ تعالى

ومن الوسائلِ التي تُفضِي إلى تعظيمِ اللهِ تعالى وإجلالِه: كثرةُ حمدِه سبحانه وتعالى والثناءِ عليه سبحانه وشكرِه على نعمِه. وقدْ روى البخاريُّ عن أبي أمامةَ أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ إذا رَفَعَ مائدتَه قال: «**الحمدُ للهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، غيرَ مكفيٍّ، ولا مودَّعٍ، ولا مستغنًى عنه**».

فاللهُ تعالى لا يستطيعُ أحدٌ أن يكافِيه على إنعامِه أبدًا، لأنَّ شكرَه سبحانه هو نعمةٌ من نِعَمِه كما قيل:

إذا كـان شُـكري نعمـةَ اللهِ نعمـةً … علـيَّ لـه فـي مثلِهـا يجـبُ الشـكرُ
فكيـف وقـوعُ الشـكرِ إلا بفضـلِه … وإنْ طالـتِ الأيـامُ واتَّصـلَ العمـرُ
إذا مـسَّ بالسـرَّاءِ عـمَّ سـرورُها … وإن مـسَّ بالضـرَّاءِ أعقَبَهـا الأجـرُ
فمـا منهمـا إلا لـهُ فيـه نعمـةٌ … تضـيقُ بهـا الأوهـامُ والسِّرُّ والجهـرُ

فالمعظِّمُ لربِّه عزوجل يعترفُ بقلبِه أنَّه لو أنفقَ جميعَ عمرِه في قيامِ الليلِ وصيامِ النهارِ ولم يَزَلْ لسانُه رطبًا بذكرِ اللهِ، فإنَّه لا يستطيعُ تأديةَ شكرِ نعمةٍ واحدةٍ منْ نعمِ اللهِ عليه. ومعَ ذلكَ فإنَّه يَجِبُ على العبدِ أن يَلْهَجَ بحمدِ اللهِ تعالى وشكرِه والثناءِ عليهِ وأن يقدِّمَ ذلكَ بين يَدَيْ دُعائِهِ وسؤالِه.

فإنَّ الحمدَ يتضمَّنُ مدحَ المحمودِ بصفاتِ كمالِه، ونعوتِ جلالِه، معَ محبَّتِه والرِّضَا عنه، والخضوعِ له. فلا يكونُ حامدًا من جَحَدَ صفاتِ المحمودِ، ولا من أعرضَ عن محبَّتِه والخضوعِ له. وكلَّما كانت صفاتُ كمالِ المحمودِ أكثرَ كان حمدُه أكملَ، وكلما نقصَ من صفاتِ كمالِه نقصَ من حمدِه بحَسَبِها. ولهذا كانَ الحمدُ كلُّه للهِ حمدًا لا

يحصِيهِ سِوَاهُ، لكمالِ صفاتِه وكثرتِها. ولأجلِ هذا لا يُحْصِي أحدٌ من خلقِه ثناءً عليه، لما له من صفاتِ الكمالِ، ونعوتِ الجلالِ التي لا يحصِيها سِوَاهُ.

ومعلومٌ بالفِطَرِ والعقولِ السليمةِ والكُتُبِ السماويَّةِ: أنَّ فاقدَ صفاتِ الكمالِ لا يكونُ إلهًا، ولا مدبِّرًا، ولا ربًّا، بل هو مذمومٌ، معيبٌ ناقصٌ، ليسَ له الحمدُ، لا في الأولى ولا في الآخرةِ. وإنَّما الحمدُ في الأولى والآخرةِ لمن له صفاتُ الكمالِ، ونعوتُ الجلالِ، التي لأجلِها استحَقَّ الحمدَ.

وكذلكَ حمدُه لنفسِه على عدمِ اتِّخَاذِ الولدِ المتضمِّنِ لكمالِ صَمَدِيَّتِه وغِنَاه وملكِه، وتعبيدِ كلِّ شيءٍ له. فاتِّخَاذُ الولدِ يُنَافِي ذلكَ، كما قال تعالى: ﴿**قَالُواْ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ**﴾ [يونس:٦٨].

وحمدُ نفسِه على عدمِ الشريكِ، المتضمِّنِ تفرُّدِه بالربوبيَّةِ والإلهيَّةِ، وتوحُّدِه بصفاتِ الكمالِ التي لا يوصَفُ بها غيرُه، فيكونُ شريكًا له. فلو عَدِمَها لكانَ كلُّ موجودٍ أكملَ منه. لأنَّ الموجودَ أكملُ من المعدومِ. ولهذا لا يحمدُ نفسَه سبحانه بعدمٍ، إلا إذا كانَ متضمِّنًا لثبوتِ كمالٍ. كما حَمِدَ نفسَه بكونِه لا يموتُ لتضمُّنِه كمالَ حياتِه.

وحَمِدَ نفسَه بكونِه لا تأخُذُه سنةٌ ولا نومٌ، لتضمُّنِ ذلك كمالَ قيوميَّتِه.

وحَمِدَ نفسَه بأنَّه لا يعزُبُ عن علْمِهِ مثقالُ ذرةٍ في الأرضِ ولا في السماءِ، ولا أصغرُ من ذلك ولا أكبرُ، لكمالِ علمِه وإحاطتِه.

وحَمِدَ نفسَه بأنَّه لا يظلِمُ أحدًا، لكمالِ عدلِه وإحسانِه.

وحَمِدَ نفسَه بأنَّه لا تدركُه الأبصارُ، لكمالِ عظمَتِه، يُرى ولا يُدْرَكُ، كما أنه يُعْلَمُ

ولا يُحَاطُ به علمًا. فمجرَّدُ نفْيِ الرؤيةِ ليسَ بكمالٍ. لأنَّ العدمَ لا يُرى. فليسَ في كونِ الشيءِ لا يُرَى كمالٌ ألبتةَ. وإنَّما الكمالُ في كونِهِ لا يحاطُ به رؤيةً ولا إدراكًا، لعظمَتِه في نفسِه، وتعلِّيهِ عن إدراكِ المخلوقِ له. وكذلكَ حَمِدَ نفسَه بعدمِ الغفلةِ والنسيانِ، لكمالِ علمِه.

فكلُّ سَلْبٍ في القرآنِ حَمِدَ اللهُ به نفْسَه فلمضادَتِه لثبوتِ ضِدِّه، ولتضمُّنِه كمالَ ثبوتِ ضِدِّهِ.

فعلمت أنَّ حقيقةَ الحمدِ تابعةٌ لثبوتِ أوصافِ الكمالِ، وأنَّ نفيَها نفيٌ لحمدِه، ونفيُ الحمدِ مستلزمٌ لثبوتِ ضدِّه[1].

* * *

---

(١) مدارج السالكين (٢٦/١).

التفكرُ من طرقِ تعظيمِ اللهِ تعالى

فمن تعظيمِ اللهِ تباركَ وتعالى: التفكرُ في آياتِه وآلائِه وبديعِ صُنْعِه كما قالَ تعالى: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

قال ابنُ كثير رحمه الله: «ومعنى الآيةِ أن اللهَ تعالى يقولُ: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ أي هذه في ارتفاعِها واتساعِها، وهذه في انخفاضِها وكثافَتِها واتضاعِها، وما فيها من الآياتِ المشاهَدَةِ العظيمةِ من كواكبَ سياراتٍ، وثوابتَ وبحارٍ وجبالٍ وقفارٍ وأشجارٍ ونباتٍ، وزروعٍ وثمارٍ، وحيوانٍ ومعادنَ، ومنافعَ مختلفةِ الألوانِ والروائحِ والطعومِ والخواصِّ، ﴿**وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**﴾ أي تعاقُبُهما وتقارضُهما الطولَ والقِصَرَ، فتارةً يطولُ هذا ويقصرُ هذا، ثم يعتدلانِ ثم يأخذُ هذا من هذا فيطولُ الذي كان قصيرًا، ويقصرُ الذي كانَ طويلًا. وكلُّ ذلك تقديرُ العزيزِ العليمِ، ولهذا قال تعالى: ﴿**لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ**﴾ أي العقولِ التامةِ الذكيةِ التي تُدركُ الأشياءَ بحقائِقِها على جليَّاتِها، وليسُوا كالصُمِّ البُكْمِ الذين لا يعقلونَ، الذين قال الله فيهم: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ آَيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ * وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ**﴾ [يوسف: ١٠٥-١٠٦]، ثم وصف تعالى أولي الألباب، فقال: ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ**﴾. كما ثبت في صحيحِ البخاريِّ عن عمرانَ بن حصينٍ: أن رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**صلِّ قائمًا،**

فإن لم تستطعْ فقاعدًا، فإن لم تستطعْ فعلى جَنْبٍ»[١] أي لا يقطعونَ ذكرَه في جميعِ أحوالِهم بسرائرِهم وضمائرِهم وألسنتِهم، ﴿**وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ أي يفهمونَ ما فيهما من الحِكَمِ الدالةِ على عظمةِ الخالقِ وقدرتِه وعلمِه وحكمتِه واختيارِه ورحمتِه.

وقال الشيخُ أبو سليمانَ الدارانيُّ: إني لأخرجُ من منزلي فما يقعُ بصري على شيءٍ إلا رأيتُ للهِ عليَّ فيه نعمةً ولي فيه عبرةٌ. رواه ابنُ أبي الدنيا في كتابِ التوكلِ والاعتبارِ.

وعن الحسنِ البصريِّ أنه قالَ: تفكُّرُ ساعةٍ خيرٌ من قيامِ ليلةٍ، وقال الفضيلُ: قال الحسنُ: الفكرةُ مرآةٌ تريك حسناتِك وسيئاتِك.

وقال سفيانُ بن عيينةَ: الفكرةُ نورٌ يدخلُ قلبَك وربَّما تمثَّل بهذا البيتِ:

إذا المرءُ كانت له فكرةٌ ففي كلِّ شيءٍ لهُ عبرةٌ

وعن عيسى عليه السلام أنه قال: «طُوبى لمن كانَ قيلُه تذكُّرًا وصمتُه تفكرًا، ونظرُه عِبَرًا».

قال لقمانُ الحكيمُ: «إن طولَ الوحدةِ ألهمُ للفكرةِ، وطولَ الفكرةِ دليلٌ على طرقِ بابِ الجنةِ».

وقال وهبُ بنُ منبهٍ: «ما طالت فكرةُ امرئٍ إلا فَهِمَ، ولا فَهِمَ امرؤٌ قطُّ إلا عَلِمَ، ولا عَلِمَ امرؤٌ قطُّ إلا عَمِلَ». وقال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ: «الكلامُ بذكرِ اللهِ عزوجل حسنٌ، والفكرةُ في نعمِ اللهِ أفضلُ العبادةِ».

---

(١) رواه البخاري (١٠٥٠)، وأبو داود (٨١٥).

وقال مغيثٌ الأسودُ: «زورُوا القبورَ كلَّ يومٍ تُفَكِّرُكم، وشاهدُوا الموقفَ بقلوبِكم، وانظرُوا إلى ا لمنصرفِ بالفريقينِ إلى الجنةِ أو النارِ، وأشعِرُوا قلوبَكم وأبدانَكُم ذكرَ النارِ ومقامِعَها وأطباقَها».

وعنِ ابن عباسٍ أنه قال: «ركعتانِ مقتصدتانِ في تفكرٍ، خيرٌ من قيامِ ليلةٍ والقلبُ ساهٍ».

وقال الحسنُ البصريُّ: «يا ابنَ آدمَ، كلْ في ثلثِ بطنِك، واشربْ في ثلثِه، ودعْ ثلثَه الآخرَ تتنفسُ للفكرةِ».

وقال بعضُ الحكماءِ: «من نظرَ إلى الدنيا بغيرِ العبرةِ، انطمس من بصرِ قلبِه بقدرِ تلك الغفلةِ».

وقال بشرُ بنُ الحارثِ الحافي: «لو تفكَّر الناس في عظمةِ اللهِ تعالى لما عَصَوْهُ».

وقال الحسنُ عن عامرِ بنِ عبدِ قيسٍ، قال: «سمعتُ غيرَ واحدٍ ولا اثنينِ ولا ثلاثةٍ من أصحابِ النبيِّ ﷺ يقولونَ: إن ضياءَ الإيمانِ أو نورَ الإيمانِ التفكُّرُ».

وعن عيسى عليه السلام أنه قال: «يا ابنَ آدمَ الضعيفَ اتقِ اللهَ حيثما كنتَ، وكن في الدنيا ضيفًا، واتخذ المساجدَ بيتًا، وعلِّم عينَيْك البكاءَ، وجسدَك الصبْرَ، وقلبَكَ الفِكْرَ، ولا تهتمّ برزقِ غدٍ».

وعن أميرِ المؤمنينَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ، أنه بكى يومًا بين أصحابِه، فسُئل عن ذلك، فقال: «فكرتُ في الدنيا ولذاتِها وشهواتِها، فاعتبرتُ منها بها، ما تكادُ شهواتُها تنقضي حتى تكدِّرَها مرارتُها، ولئن لم يكن فيها عبرةٌ لمن اعتبر إنَّ فيها مواعظَ لمن ادَّكَرَ».

وقال ابنُ أبي الدنيا: «أنشدني الحسين بن عبد الرحمن:

نزهةُ المؤمنِ الفِكَر … لذةُ المؤمنِ العِبَر
نحمدُ اللهَ وحدَه … نحنُ كلٌّ على خَطَر
ربَّ لاهٍ وعمرُه … قد تقضَّى وما شَعَر
رُبَّ عيشٍ قد كان فو … قَ المنى مونَقَ الزَّهَر
في خريرٍ من العُيو … نِ وظلٍ من الشَّجَر
وسرورٍ من النَّبَا … تِ وطيبٍ من الثَمَر
غيَّرتْه وأهلَه … سرعةُ الدهرِ بالغِيَر
نحمدُ الله وحدَه … إن في ذا لمعتبَر
إنَّ في ذا لعِبْرةٌ … للَّبيبِ إن اعتبَر

وقد ذم الله تعالى من لا يعتبرُ بمخلوقاتِه الدالةِ على ذاتِه وصفاتِه وشرعِه وقدرِه وآياتِه، فقال: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ * وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ**﴾ [يوسف:١٠٥-١٠٦]، ومدح عبادَه المؤمنينَ: ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ قائلين: ﴿ **رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً**﴾ أي ما خلقْتَ هذا الخلقَ عبثًا، بل بالحقِّ لتجْزِيَ الذي أساؤوا بما عمِلوا، وتجزي الذين أحسَنوا بالحسْنى، ثم نَزَّهُوهُ عن العبثِ وخلقِ الباطلِ، فقالوا: ﴿**سُبْحَانَكَ**﴾ أي عن أن تخلقَ شيئًا باطلًا ﴿**فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ أي يا من خلق الخلقَ بالحقِّ والعدلِ، يا من هو منزَّهٌ عن النقائصِ والعيبِ والعبثِ. قِنَا من عذابِ النارِ بحولِك وقوتِك وقَيِّضْنَا لأعمالٍ ترضَى بها عنا. ووفِّقْنَا لعملٍ صالحٍ تهدينا به إلى جناتِ النعيمِ، وتجيرنا به من عذابِك

الأليم»[١].

* * *

(١) تفسير ابن كثير (١/٥٧٠-٥٧٢) باختصار.

وفي أنفسِكم أفلا تُبصرون

تفكَّرْ في نفسِك أيُّها الإنسانُ.. أين كنتَ؟ وكيف جئتَ؟ ومم خلقتَ؟ قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مّن طِينٍ* ثُمّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مّكِينٍ* ثُمّ خَلَقْنَا النّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ**﴾ [المؤمنون:١٢-١٦].

فالإنسانُ إذا تفكَّر بعقلِه في نفسِه رآها مدبَّرةً وعلى أحوالٍ شتَّى مُصَرَّفة.. كان نطفةً، ثم علقةً، ثم مضغةً، ثم لحمًا وعظمًا.. فيعلمُ. بهذا الفكرِ. أنه لم ينتقِلْ من حالِ النقصِ إلى حالِ الكمالِ، لأنَّه لا يقدرُ على أن يحدثَ لنفسِه في الحالِ الأفضلِ التي هي كمالُ عقلِه وبلوغِ أشدِّه عُضْوًا من الأعضاءِ، ولا يمكنُه أن يزيد في جوارحِه جارحةً، فيدلُّه ذلك على أنه في حالِ نقصِه وأوانِ ضعفِه على فِعل ذلك أعجزُ.

وقد يرى نفسَه شابًّا ثم كهلًا، ثم شيخًا وهو لم ينقِلْ نفسَه من حالِ الشبابِ والقوةِ إلى حالِ الشيخوخةِ والهرمِ، ولا اختارَه لنفسِه، ولا في وُسْعِه أن يزايلَ حالَ المشيبِ ويراجعَ قوةَ الشبابِ.

فيعلمُ بذلك أنه ليس هو الذي فعلَ تلكَ الأفعالَ بنفسِه، وأنَّ له صانعًا صنَعَه، وناقلًا نَقَلَهُ من حالٍ إلى حالٍ، ولولا ذلك لم تتبدلْ أحوالُه بلا ناقلٍ ولا مدبرٍ.

وقالَ بعضُ الحكماءِ: إن كلَّ شيءٍ في العالمِ الكبيرِ له نظيرٌ في العالمِ الصغيرِ الذي هو بدنُ الإنسانِ ولذلك قال تعالى: ﴿**وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ**﴾ [الذاريات:٢١].

- والسمعُ والبصرُ منها بمنزلةِ الشمسِ والقمرِ في إدراكِ المدركاتِ بها.
- وأعضاؤُه تصيرُ عند البِلى ترابًا من جنسِ الأرضِ.
- وفيه من جنسِ الماءِ العرقُ وسائرُ رطوباتِ البدنِ.
- ومن جنسِ الهواءِ فيه الروحُ والنفسُ.
- ومن جنسِ النارِ فيه المرةُ الصفراءُ.
- وعروقُه بمنزلةِ الأنهارِ في الأرضِ.
- وكَبِدُه بمنزلةِ العيونِ التي تستمدُّ منها الأنهارُ لأن العروقَ تستمدُّ من الكبدِ.
- ومثانَتُه بمنزلةِ البحرِ؛ لانصبابِ ما في أوعيةِ البدنِ إليها، كما تنصبُّ الأنهارُ إلى البحرِ.
- وعظامُه بمنزلةِ الجبالِ التي هي أوتادُ الأرضِ.
- وأعضاؤُه كالأشجارِ، فكما أنَّ لكلِّ شجرةٍ ورقًا وثمرًا، فَلِكُلِّ عضوٍ فعلٌ أو أثرٌ.
- والشعرُ على البدنِ بمنزلةِ النباتِ والحشيشِ على الأرضِ.
- ثمَّ إنَّ الإنسانَ يحكي بلسانِه كلَّ صوتِ حيوانٍ، ويحاكِي بأعضائِه صنعَ كلِّ حيوانٍ.

فهو العالمُ الصغيرُ مع العالمِ الكبيرِ، مخلوقٌ مُحدَثٌ لصانعٍ واحدٍ لا إلهَ إلا هُو[1].

قال قتادةُ في قولِه تعالى: ﴿**وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ**﴾ قالَ: «من تفَكَّرَ

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠٢/٢).

في نفسِه علِمَ أنَّه خُلِقَ ليَعْبُدَ اللهَ»، وقال ابنُ الزبيرِ ومجاهدٌ: «المرادُ: سبيلُ الخلاءِ والبولِ».

وقال السائبُ بنُ شريكٍ: «يأكلُ ويشربُ من مكانٍ واحدٍ ويُخْرِجُ من مكانينِ».

ولو شَرِبَ لبنًا محضًا لخرجَ منه الماءُ ومنهُ الغائطُ.

وقال ابنُ زيدٍ: «المعنى أنَّه خلقَكُم من ترابٍ وجعلَ لكمُ السمعَ والأبصارَ والأفئدةَ ﴿**ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ**﴾ [الروم:٢٠]».

وقال السدِّيُّ: ﴿**وَفِي أَنْفُسِكُمْ**﴾ أي: «في حياتِكُم وموتِكم وفيما يدخلُ ويخرجُ من طعامِكم».

وقال الحسنُ: «في الهرمِ بعدَ الشبابِ، والضعفِ بعدَ القوَّةِ، والشيبِ بعدَ السوادِ».

وقيلَ المعنى: وفي خلقِ أنفسِكم من نطفةٍ وعلقةٍ ومُضْغةٍ ولحمٍ وعظمٍ إلى نفخِ الروحِ، وفي اختلافِ الألسنةِ والألوانِ والصورِ إلى غيرِ ذلكَ من الآياتِ الباطنةِ والظاهرةِ، وحسبُكَ بالقلوبِ وما رَكَزَ فيها من العقولِ، وما خُصَّت به من أنواعِ المعاني والفنونِ، وبالألسنِ والنطقِ ومخارجِ الحروفِ، والأبصارِ والأطرافِ، وسائرِ الجوارحِ، وتأتيها لما خُلقتْ له، وما سوَّى في الأعضاءِ من المفاصلِ للانعطافِ والتثَنِّي ﴿**فَتَبَارَكَ اللّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾ [المؤمنون:١٤]، وقوله: ﴿**أَفَلا تُبْصِرُونَ**﴾ يعني بَصَرَ القلبِ، ليعرِفُوا كمال قدرة الخالق[1].

أراد رجلٌ أن يحاججَ الإمامَ عليًّا رضي الله عنه فوقفَ وقال: «يا عليّ! إني

(١) انظر: المصدر السابق (١٧/٤٠).

سائلُك.. فقال الإمام: سلْ تفقهًا ولا تسأل تعنُّتًا. فقالَ الرجلُ: أنت حَمَلْتني على ذلك ثم قال: هل رأيتَ ربَّك يا عليّ؟ قال: ما كنتُ أعبد ربًّا لم أرَه! فقال الرجلُ: كيف رأيته؟ قال: لم تَرَهُ العيونُ بمشاهدةِ العيانِ، ولكن رأتْه القلوبُ بحقيقةِ الإيمانِ، ربي واحدٌ لا شريكَ له، أحدٌ لا ثانيَ له، فردٌ لا مِثلَ له، لا يحويه مكانٌ، ولا يداولُه زمانٌ، لا يُدْرَكُ بالحواسِّ، ولا يُقَاسُ بالقِيَاسِ»(١).

قال عليّ رضي الله عنه:

دواؤُك فيــــكَ ومــــا تبصــــرُ ... وداؤُك منــــكَ ومــــا تشــــعرُ
وتــزعمُ أنَّــك جــرمٌ صــغيرٌ ... وفيـكَ انطَـوَى العـالمُ الأكبـرُ

فمن تأمل في ذاتِه، وتفكَّرَ في صفاتِه ظهرت له عظمةُ باريه، وآياتُ مُبْدِيه..

فسبحانه من ربٍّ لا يُضَاهَى، ومنانٍ لا يُحصَى كرمُهُ ولا يتناهى، ونحن في تيارِ بحرِ جودِه سابحونَ، وعن إقامةِ مراسمِ شُكْرِهِ قاصرونَ. وما أحسنَ قولَ بعضِ العارفينَ: أنه تعالى يملكُ عبادًا غيرَك، وأنت ليس لك ربٌّ سواه ثم إنك تتساهلُ في خدمَتِهِ، والقيامِ بوظائفِ طاعتِهِ، كأنَّ لك ربًّا بل أربابًا غيرَه، وهو سبحانه يعتني بتربيتِك حتى كأنه لا عبدَ له سواك، فسبحانَه ما أتمَّ تربيتَه، وأعظمَ رحمتَه(٢).

إليــك إلــهَ الخلــقِ أرفــعُ رغبتــي ... وإن كنتُ ياذا المنِّ والجودِ مجرمًا
ولمـا قَسَـا قلبـي وَضَـاقَتْ مـذَاهبي ... جعلـتُ الرَّجـا مِنـي لعفـوكَ سُـلَّمًا
تعــاظَمَنِي ذنبــي فلمــا قرنتُــه ... بعفْـوكَ ربِّـي كـان عفـوُكَ أعظَمَـا
وما زلتَ ذا عفوٍ عن الذنبِ لم تَزَلْ ... تجُـــودُ وتعفُـــو مِنَّـــةً وتكرُّمــا

---

(١) تفسير روح البيان (١٢٨/٩).

(٢) (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) لأبي الفضل محمود الألوسي.

ولـولاكَ لـم يصـمدْ بـإبليسَ عابـدٌ فكيـفَ وقـد أغْـوَى صـفيَّكَ آدمَـا
فيـا ليـتَ شِـعْرِي هـل أصـيرُ لجنـةٍ فَأَهْنَـــا وأمـــا للســـعيرِ فأنْـــدَمَا
وإنــي لآتِــي الــذنبَ أعــرفُ قــدرَه وأعلـــمُ أن اللهَ يعفُـــو ويرحَمَـــا
فـإن تعـفُ عنـي تعـفُ عـن متمـردٍ ظلُـــومٍ غشُـــومٍ لا يزايـــلُ مأْثَمَـــا
وإن تنــتقِمْ منــي فلســتُ بــآيسٍ ولو أُدْخِلَـتْ نفسي بجُرمي جهنَّمَا

* * *

عنايةُ اللهِ بالإنسانِ

جاء في بعضِ الآثارِ: يا ابن آدم! أنَّ تعجزُني وقد خلقتُك من نطفةٍ، ثم من علقةٍ، ثمَّ من مضغةٍ، ثم نفختُ فيك الروحَ، وجعلتُ لك مُتَّكأً عن يمينِك، ومتَّكأً عن شمالِك. فالذي عن يمينِك الكبدُ، والذي عن شمالِك الطحالُ، وجعلتُ وجهك إلى ظهرِ أمِّك حتى لا تفزَعَ من الرَّحِمِ، وغشَّيتُ وجهَك بغشاءٍ حتى لا تؤذيكَ رائحةُ الطعامِ، ورزقتُك وأنتَ في بطنِ أمِّك. حتى إذا جاءَ وقتُ خروجِك إلى الدنيا، أمرتُ الملكَ الموكَّلَ، فأخرجَك إلى الأرضِ، ليسَ لكَ يدٌ تبطِشُ، ولا رِجْلٌ تسعَى بها، ولا سنٌّ يقطَعُ. وأنبتُّ لك في صَدْرِ أمِّك عرقَيْنِ رقيقينِ يُغَذِّيَانِكَ بلبنٍ سائغٍ، باردٍ في الصيفِ، دافئٍ في الشتاءِ. وقذفتُ محبَّتَك في قلبِ والدَيْكَ، فلا يأكلانِ حتى تأكلَ، ولا يشربانِ حتى تشربَ، ولا يرقدانِ حتى ترقدَ، حتى إذا اشتدَّ عودُك، وقَوِيَ جسمُك بارَزْتَني بالمعاصي، ولم تستحِ منِّي! ومعَ ذلك إن تبتَ إليَّ قبلتُك، وإن سألتَني أعطيتُك، وإن استَغْفَرْتَني غفرتُ لكَ، وأنا الرحمنُ الرحيمُ.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الإنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ* وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ* قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيم﴾ [يس:٧٧-٧٩].

عن بُسرِ بن جِحَاشٍ القرشيِّ أنَّ النبيَّ ﷺ بزقَ يومًا في كفِّهِ، فوضَع عليها أصبعَه، ثم قالَ: «**قالَ اللهُ: ابنَ آدمَ! أنَّى تُعجِزُني، وقد خلقْتُك من مثلِ هذه.. حتى إذا سوَّيتُك وعدَّلتُك مشيتَ بين بردين، وللأرضِ منك وئيدٌ، فجَمعتَ ومنعتَ.. حتى إذا بلغَتِ التراقِيَ قلتَ: أتصدَّقُ، وأنَّى أوانُ الصدقةِ**» [رواه أحمد].

قال ابنُ الجوزيِّ: « وجميعُ الموجوداتِ من آثارِ قدرتِه.. وأعجبُ آثارِ الآدميّ، فإنك إذا تفكرتَ في نفسِك كَفَى، وإذا نظرتَ في خلقِك شَفَى! أليس قد فعلَ في قطرةٍ من ماءٍ ما لو انقَضَتِ الأعمارُ في شرحِ حكمَتِه ما وفَّتْ؟

كانتِ النقطةُ مغموسةً في دمِ الحيضِ ومقياسُ القدرةِ يشقُّ السَّمْعَ والبصرَ!

خلق منها ثلاثمائةٍ وستينَ عظمًا، وخمسمائةٍ وتسعًا وعشرينَ عَضَلَةً، كلٌّ من ذلك تحتَه حكمةٌ.

فالعينُ سبعُ طبقاتٍ، وأربعةٌ وعشرينَ عضلةً لتحريكِ حَدَقَةِ العينِ وأجفانِها، لو نُقِصَتْ منها واحدةٌ لاختلَّ الأمرُ.

وأظهرَ في سوادِ العينِ على صِغَرِه صورةَ السماءِ مع اتساعِها.

وخالفَ بينَ أشكالِ الحناجرِ في الأصواتِ.

وسخَّر المعدةَ لإنضاجِ الغذاءِ.

والكبدَ لإحالتِه إلى الدمِ.

والطحالَ لجذبِ السوداءِ.

والمرارةَ تناولُ الصفراءَ كلَّها.

والعروقَ كالخدمِ للكبدِ، تنفذُ منها الدماءُ إلى أطرافِ البدنِ.

فيا أيُّها الغافلُ! ما عندكَ خبرٌ منك، فما تعرفُ من نفسِكَ إلا أن تجوعَ فتأكلَ، وتشبعَ فتنامَ، وتغضبَ فتخاصِمَ، فبماذَا تميزتَ على البهائمِ؟!

انظر حولَك.. تأملاتٌ في الكونِ والآفاقِ

ارفعْ بصرَ فِكْرِكَ إلى عجائبِ السمواتِ، فتلمَّح الشمسَ في كلِّ يومٍ في منزلٍ، فإذا انخفَضَتْ بَرَدَ الهواءُ وجاءَ الشتاءُ، وإذا ارتفَعَتْ قَوِيَ الحرُّ، وإذا كانت بين المنزلتينِ اعتدلَ الزمانُ.

ثم اخفِضْ بَصَرَكَ إلى الأرضِ، ترى فِجَاجَها مذلَّلةً للتسخيرِ، ﴿**فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا**﴾ [الملك:١٥]، وتفكَّروا في شُربِها بعد جَدْبِها بكأسِ القطرِ.

وتلمَّحْ خروجَ النباتِ يرفُلُ في ألوانِ الحُللِ على اختلافِ الصورِ والطعومِ والأراييحِ.

وانظرْ كيفَ نَزَلَ القطرُ إلى عِرقِ الشَّجَرِ، ثم عاد ينجذبُ إلى فروعِها، ويجري في تجاويفِها بعروقٍ لا تفتقِرُ إلى كُلْفَةٍ.

فلا حظَّ للغافلِ في ذلك إلا سماعُ الرعدِ بأذنِه، ورؤيةِ النباتِ والمطرِ بعينيه.. كلا! لو فُتح بصرُ البصيرةِ لقرأَ على كلِّ قطرةٍ خطًّا بالقلمِ الإلهيِّ: أنَّها رزقُ فلانٍ في وقتِ كذا!!

ثم انظُرْ إلى المعادنِ لحاجاتِ الفقيرِ إلى المصالحِ، فمنها مودعٌ كالرصاصِ والحديدِ، ومنها مصنوعٌ بسببِ غيرِه كالأرضِ السبخةِ، يُجمعُ فيها ماءُ المطرِ فيصيرُ مِلْحًا.

وانظرْ إلى انقسامِ الحيواناتِ ما بين طائرٍ وماشٍ وإلهامِها ما يُصلِحُها.

وانظرْ إلى بُعْدِ ما بين السماءِ والأرضِ، كيف ملأَ ذلكَ الفراغَ هواءً، لتستنشقَ منه الأرواحُ، وتَسْبَحَ الطير في تيَّارِه إذا طارَتْ.

وانظرْ بفكرِك إلى سَعَةِ البحرِ وتسخيرِ الفُلكِ فيه، وما فيه من دابةٍ.

قال يحيى بنُ أبي كثيرٍ: خلقَ اللهُ ألفَ أمةٍ، فأسْكَنَ ستمائةٍ في البحرِ، وأربعمائةٍ في البرِّ.

واعجبًا لك! لو رأيتَ خطًّا مستحسَنَ الرَّقْمِ، لأدرَكَك الدهشُ من حكمةِ الكاتبِ، وأنت تَرَى رقومَ القدرةِ ولا تعرفُ الخالقَ، فإن لم تَعْرِفْهُ بتلك الصنعةِ، فتَعَجَّبْ كيف أعْمَى بصيرتَك مع رؤيةِ بصرِك![1].

فسبحانَك يا ربَّنا.. يا من سبحتْ له الكائناتُ.. وسجدَ له الصخرُ والنباتُ.. وتدكدَكَتْ لخشيتِه الجبالُ الراسياتُ..

ويهتفُ حمدًا جمالُ الصباحِ ... وسِحرُ الربيعِ الشهيُّ العَطِر
وسِحْرُ السماء الشَّحيُّ الوديعُ ... وهمسُ النسيمِ ولحنُ المَطَر
تُسبِّحُه نغماتُ الطيورِ ... يُسبِّحُه الظلُّ تحتَ الشَّجَر
يُسبِّحه النبعُ بين المروجِ ... يسبِّحُ دومًا أريجُ الزَّهَر
يسبِّحه النورُ بين الغصونِ ... وسِحْرُ المساءِ وضوءُ القَمَر

قال الإمامُ ابنُ الجوزيِّ: عَرض لي في طريقِ الحجِّ خوفٌ من العربِ، فَسِرْنَا على طريقِ خيبرٍ، فرأيتُ من الجبالِ الهائلةِ والطرقِ العجيبةِ ما أذهَلَنِي.. وزادتْ عظمةُ الخالقِ عزوجل في صَدْرِي، فصارَ يعرِضُ لي عند ذكرِ تلك الطرقِ نوعُ تعظيمٍ لا أجدُه عند ذكرِ غيرِهَا.

فصحتُ بالنفسِ: ويحكِ! اعبُرِي إلى البحرِ، وانظري إليه وإلى عجائبِه بعينِ الفكْرِ، تُشاهدِي أهوالًا هي أعظمُ من هذه.. ثم اخرُجي عن الكونِ، والتفتي إليه،

(١) انظر: التبصرة لابن الجوزي (/٥٩-٦١).

فإنكِ ترينَه بالإضافةِ إلى السمواتِ والأفلاكِ كذرَّةٍ في فلاةٍ..

ثم جُولي في الأفلاكِ.. وطوفي حولَ العرشِ.. وتلمَّحِي ما في الجنانِ والنيرانِ.. ثم اخرُجِي عن الكلِّ والتَفِتِي إليه.. فإنكِ تشاهدينَ العالَمَ في قبضةِ القادرِ الذي لا تَقِفُ قدرَتُه عندَ حدٍّ.. ثم التفِتِي إليكِ.. فتلمَّحِي بدايتكِ ونهايتَكِ.. وتفكَّرِي فيما قبل البدايةِ وليس إلا العدمُ.. وفيما بعدَ البِلَى وليس إلا الترابُ!!

فكيف يأنسُ بهذا الوجودِ من نَظَرَ بعينِ فكرِهِ المبدأَ والمنتَهَى؟ وكيف تغفلُ القلوبُ عن ذكرِ هذا الإلهِ العظيمِ؟

باللهِ لو صَحَّت النفوسُ عن سُكْرِ هواها لذابتْ من خوفِه.. أو لغابَتْ في حبِّه.. غيرَ أنَّ الحسَّ غَلَبَ .. فعظُمَتْ قدرةُ الخالقِ عندَ رؤية جبلٍ.. وإن الفطنةَ لو تلمَّحتْ المعانِيَ لدلَّت القدرةُ عليه أوفى من دليلِ الجبلِ. فسبحانَ من شغلَ أكثرَ الخلقِ بما هم فيه عما خُلِقوا له.. سبحانَه» [صيد الخاطر].

الفجرُ بدَّده الضحى وعلى الضحى شدَّ الأصِيل
والليلُ يدنو زحفُه فكأنما انَهَمَرَتْ سُيُول
أرخَى على الدنيا دُجَاهُ فعمَّ في الدنيا الذُّهُول
الصمتُ لوَّن هذه الدنيا وغطَّاها خُمُول
والريحُ أعياها السُّرى والبدرُ من ضعفٍ خَجُول
ونظرتُ من يَحْمِي الأنامَ وعزَّ في الناسِ السبيلُ!
ونظرتُ من للنَّجْمِ يُمْسِكُه فلا يخشَى أُفُول!!
ونظرتُ ثم نظرتُ ثم رأيتُ كم حَارَتْ عُقُول
ونَظَرْتُ ثم نَظَرْتُ يا سبحانَ ربِّي ما أقُول

وضحَ الدليلُ وغابَ عنا أنه وَضَحَ الدَّلِيل
ولربما تَحْوِي يَدِي وأنا بما تَحْوِي جَهُول!!

ذكر الحافظُ ابنُ رجبٍ عن بعضِ السلفِ أنه قرأَ في بعض الكتب المنزلةِ: «يقولُ اللهُ عزوجل: يؤمَّلُ غيري للشدائدِ.. والشدائدُ بيدِي.. وأنا الحيُّ القيومُ.. ويُرجَى غيري.. ويُطرقُ بابُه بالبُكرَاتِ! وبيدي مفاتيحُ الخزائنِ.. وبابي مفتوحٌ لمن دعاني!!

من ذا الذي أمَّلني لنائبةٍ فقطعتُ به..

أو من ذا الذي رَجَاني لعظيمٍ فَقَطَعْتُ رَجَاءَه!!..

ومن ذا الذي طرقَ بابي فلم أَفْتَحْ له؟

أنا غايةُ الآمالِ.. فكيف تَنْقِطُعُ الآمالُ دوني؟!

أبخيلٌ أنا؟ فيبخِّلُني عَبْدِي!!

أليس الدنيا والآخرةُ والكرمُ والفضلُ كلُّه لي؟!

فما يمنعُ المؤمِّلينَ أن يؤمّلوني؟!

لو جمعتُ أهلَ السمواتِ وأهلَ الأرضِ.. ثم أعطيتُ كلَّ واحدٍ منهم ما أعطيتُ الجميعَ.. وبلّغتُ كلَّ واحدٍ منهم أمَلَه.. لم يُنْقِصْ ذلك من مُلكي ذرةً.. وكيف يَنْقُصُ مُلكٌ أنا قيّمُهُ؟!

فيا بؤسًا للقَانِطِينَ من رَحْمَتِي!!

ويا بؤسًا لمن عَصَاني.. وتوثَّب على محَارِمي!!

* * *

تعظيمُ اللهِ تعالى من خلالِ أسمائِه وصفاتِه

لا شكَّ أنَّ من أعظمِ أسبابِ تعظيمِ الله سبحانه وتعالى: تدبُّرُ معانِي أسمائِهِ الحسْنَى وما تدلُّ عليه من صفاتٍ وما توجِبُهُ من آثارٍ عظيمةٍ، ولذلكَ نَبَّهَ اللهُ سبحانه وتعالى على التأمُّلِ والتدبُّرِ في تلكَ الآثارِ فقالَ في صفةِ «الرحمةِ»: ﴿**فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [الروم:٥٠].

فإذا جَهِلَ الإنسانُ معانِيَ تلكَ الأسماءِ الحسْنَى، وجَهِلَ ما تدلُّ عليه من صفاتٍ، كيفَ له أن يَعْرِفَ آثارَ هذهِ الأسماءِ ويَنْتَفِعَ بها فقد قال سبحانه: ﴿**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾ [الإسراء:١١٠]، وقال: ﴿**ولِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾ [الأعراف:١٨٠].

والدعاءُ هنا يَتَضَمَّنُ نوعينِ:

أولًا: دعاءُ المسألةِ والطلبِ: وذلك بأن تُقَدِّمَ بين يَدَيْ دعائِك من أسماءِ اللهِ ما يكونُ مناسبًا للمطلوبِ، كما قال ابنُ القيمِ: يسألُ في كلِّ مطلوبٍ بما يكونُ مقتضيًا لذلك المطلوبِ، فيكونُ السائلُ متوسِّلًا إليه بذلك الاسمِ، ومن تأمَّلَ أدعيةَ الرسلِ وجدَها مطابقةً لهذا.

ثانيًا: دعاءُ الثناءِ والعبادةِ: وذلكَ بأنْ تُمَجِّدَهُ وتُثْنِيَ عليه بأسمائِهِ الحسْنَى وأن تَتَعَبَّدَ للهِ تعالَى بمقتَضَى هذهِ الأسماءِ.

ولا شكَّ أن الجهلَ بمعانِي هذه الأسماءِ الحسْنَى يمْنَعُ من الانتفاعِ بها في هذا البابِ.

وقدْ أكثرَ الإمامُ ابنُ القيمِ وأطابَ في ذكرِ معانِي أسماءِ اللهِ الحسْنَى، وتَبِعَهُ في ذلكَ الشيخُ عبدُ الرحمنِ بنِ سَعْدِيٍّ رحمهما الله[1]، وكان مما قالا:

* * *

(١) انظر: (ص:١٣٠) من هذا الكتاب.

نظراتٌ في الأسماءِ والصفاتِ وآثارِها

قال ابنُ القيمِ عن هذا المشهدِ: «وهو من أجلِّ المشاهدِ.

والمطَّلِعُ على هذا المشهدِ: معرفةُ تعلقِ الوجودِ خلقًا وأمرًا بالأسماءِ الحُسْنَى، والصفاتِ العُلَى، وارتباطُه بها. وإن كان العَالَمُ ـ بما فيه ـ من بعضِ آثارِها ومقتضياتِها.

وهذا من أجلِّ المعارفِ وأشرفِها، وكلُّ اسمٍ من أسمائِه سبحانَه له صفةٌ خاصَّةٌ.

فإن أسماءَه أوصافُ مدحٍ وكمالٍ.

وكلُّ صفةٍ لها مقتضَىً وفِعْلٌ: إمَّا لازمٌ وإما مُتَعَدٍّ، ولذلكَ الفعلِ تعلُّقٌ بمفعولٍ هو من لوازِمِهِ. وهذا في خلقِهِ وأمرِهِ، وثوابِهِ وعقَابِهِ. كلُّ ذلكَ آثارُ الأسماءِ الحسنَى وموجِبَاتُها.

ومن المحالِ تعطيلُ أسمائِه عن أوصافِها ومعانِيها، وتعطيلُ الأوصافِ عما تقتضِيهِ وتستَدْعِيه من الأفعالِ، وتعطيلُ الأفعالِ عن المفعولاتِ، كما أنه يستحيلُ تعطيلُ مفعولِه عن أفعالِه وأفعالِه عن صفاتِه، وصفاتِه عن أسمائِه. وتعطيلُ أسمائِه وأوصافِه عن ذاتِه.

وإذا كانتْ أوصافُه صفاتِ كمالٍ، وأفعالُه حكمًا ومصالحَ، وأسماؤُه حُسْنَىً: ففرضُ تعطيلِها عن موجباتِها مستحيلٌ في حقِّه.

ولهذا ينكرُ سبحانه على من عطَّلَهُ عن أمرِهِ ونهيِه، وثوابِه وعقابِه، وأنه بذلكَ نسبَهُ إلى ما لا يليقُ به وإلى ما يتنزَّهُ عنه، وأنَّ ذلكَ حُكْمٌ سيِّئٌ ممن حكمَ به عليه، وأنَّ من

نسَبَه إلى ذلكَ فما قدَرَهُ حقَّ قَدْرِه، ولا عظَّمَهُ حقَّ تعظِيمِه، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ**﴾ [الأنعام:٩١]، وقال تعالى في حقِّ مُنْكِرِي المعادِ والثوابِ والعقابِ: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ** ﴾ [الزمر:٦٧]، وقالَ في حقِّ من جوَّزَ عليهِ التسويةَ بينَ المختلفَيْنِ، كالأبرارِ والفجارِ، والمؤمنينَ والكفارِ: ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾ [الجاثية:٢١]، فأخبرَ أنَّ هذا حكمٌ سيِّئٌ لا يليقُ به، تَأْبَاهُ أسماؤُه وصفاتُه. وقال سبحانه: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ*فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**﴾ [المؤمنون:١١٥-١١٦]، عن هذا الظنِّ والحسبانِ، الذي تَأْبَاهُ أسماؤُه وصفاتُه.

ونظائرُ هذا في القرآنِ كثيرةٌ. يَنْفِي فيها عن نفسِهِ خلافَ موجبِ أسمائِه وصفاتِه. إذ ذلك مستلزمٌ تعطيلَها عن كمالِها ومقتضياتِها.

فاسمُهُ (**الحميدُ، المجيدُ**) يمنعُ تركَ الإنسانِ سُدًى مُهملًا معطَّلًا، لا يُؤمرُ ولا يُنهَى. ولا يثابُ ولا يعاقبُ.

وكذلك اسمُه (**الحكيمُ**) يأبَى ذلكَ. وكذلكَ اسمُه (**الملكُ**) واسمُه (**الحيُّ**) يمنعُ أنْ يكونَ معطَّلًا من الفعلِ. بلْ حقيقةُ (الحياةِ) الفعلُ. فكلُّ حيٍّ فعَّالٌ.

وكونُه سبحانَهَ (**خالقًا قيومًا**) من موجباتِ حياتِه ومقتضياتِها.

واسمُه (**السميعُ البصيرُ**) يوجبُ مسموعًا ومرئيًا.

واسمُهُ (**الخالقُ**) يقتضِي مخلوقًا. وكذلكَ (**الرزَّاقُ**).

واسمُهُ (**المَلِكُ**) يقتضي مملكةً وتصرُّفًا وتدبيرًا، وإعطاءً ومنعًا، وإحسانًا وعدْلًا، وثوابًا وعقابًا.

واسمُهُ (**البَرُّ المُحسنُ، المُعطِي، المنَّانُ**) ونحوُها تقتضِي آثارَهَا وموجباتِهَا.

إذا عُرِفَ هذا. فمن أسمائِه سبحانَهُ (**الغفَّارُ، التوَّابُ، العفُوُّ**) فلا بدَّ لهذه الأسماءِ من متعلقاتٍ، ولا بدَّ من جنايةٍ تُغْفَرُ، وتوبةٍ تُقْبَلُ، وجرائمَ يُعْفَى عنها.

ولا بدَّ لاسمِهِ (**الحكيمِ**) من متعلَّقٍ يظهرُ فيه حُكمُهُ، إذ اقتضاءُ هذه الأسماءِ لآثارِها كاقتضاءِ اسمِ (**الخالقِ، الرزَّاقِ، المعطِي،المانعِ**) للمخلوقِ والمرزوقِ والمعطى والممنوعِ. وهذه الأسماءُ كلُّها حسْنَى.

والربُّ تعالى يحبُّ ذاتَه وأوصافَه وأسماءَه. فهو عَفُوٌّ يُحِبُّ العفوَ، ويحبُّ المغفرةَ، ويحبُّ التوبةَ، ويفرحُ بتوبةِ عبدِه حينَ يتوبُ إليهِ أعظَمَ فَرَحٍ يخطُرُ بالبالِ.

وكان تقديرُ ما يغفِرُه ويعفُو عن فاعِلِه، ويحلمُ عنه، ويتوبُ عليه ويسامِحُه: من موجبِ أسمائِه وصفاتِه، وحُصولُ ما يحبُّه ويرضَاهُ من ذلك. وما يحمدُ به نفسَه، ويحمَدُه به أهلُ سمواتِه وأهلُ أرضِه: ما هو من موجباتِ كمالِه ومقتَضَى حمدِه.

وهو سبحانَه: (**الحميدُ المجيدُ**) وحمدُه ومجدُه يقتضِيَانِ آثارَهُمَا.

ومن آثارِهِمَا: مغفرةُ الزلَّاتِ، وإقالَةُ العَثَرَاتِ، والعَفْوُ عن السيئاتِ، والمسامحةُ على الجناياتِ، مع كمالِ القدرةِ على استيفاءِ الحقِّ، والعلمُ منه سبحانه بالجنايةِ ومقدارِ عقوبَتِها، فحِلمُهُ بعدَ علمِهِ، وعفوُهُ بعدَ قدرَتِهِ، ومغفرَتُهُ عن كمالِ عزَّتِهِ وحكمَتِهِ، كما

قال المسيح عليه السلام: ﴿**إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [المائدة:١١٨]، أي فمغفرتُك عن كمالِ قدرتِكَ وحكمتِكَ، لستَ كمن يغفرُ عَجْزًا، ويسامحُ جَهْلًا بقدرِ الحقِّ، بلْ أنت عليمٌ بحقِّكَ، قادرٌ على استيفائِه، حكيمٌ في الأخذِ به.

فمن تأملَ سريانَ آثارِ الأسماءِ والصفاتِ في العالمِ، وفي الأمرِ، تبيَّنَ له أن مصدرَ قضاءِ هذه الجناياتِ من العبيدِ، وتقديرَها: هو من كمالِ الأسماءِ والصفاتِ والأفعالِ. وغاياتُها أيضًا: مقتَضَى حمدِه ومجدِه، كما هو مقتَضَى ربوبيَّتِهِ وإلهيَّتِهِ.

فله في كلِّ ما قَضَاهُ وقَدَّرَهُ الحكمةُ البالغةُ، والآياتُ الباهرةُ، والتعرفاتُ إلى عبادِه بأسمائِه وصفاتِه، واستدعاءُ محبتِهم له، وذكرِهم له، وشكرِهم له، وتعبدِهم له بأسمائِه الحُسْنَى. إذ كلُّ اسمٍ فله تعبُّدٌ مختصٌّ به، علمًا ومعرفةً وحالًا.

وأكملُ الناسِ عُبوديةً: المتعبِّدُ بجميعِ الأسماءِ والصفاتِ التي يطلعُ عليها البشرُ، فلا تحجُبُه عبوديةُ اسمٍ عن عبوديةِ اسمٍ آخرَ، كمنْ يَحْجُبُهُ التعبدُ باسمِ (**القديرِ**) عن التعبُّدِ باسمِ (**الحليمِ الرحيمِ**) أو يحجُبُهُ عبوديةُ اسمِه (**المُعطِي**) عن عبوديةِ اسمِه (**المَنَّاعِ**) أو عبوديةِ اسمِهِ (**الرَّحيمِ والعفوِّ والغفورِ**) عن اسمِه (**المنتقمِ**) أو التعبُّدُ بأسماءِ (التودُّدِ، والبِرِّ، واللُّطفِ، والإحسانِ) عن أسماءِ (العدلِ، والجبروتِ، والعظمةِ، والكبرياءِ) ونحو ذلك.

وهذه طريقةُ الكُمَّلِ من السائرينَ إلى اللهِ. وهي طريقةٌ مشتقةٌ من قلبِ القرآنِ. قال الله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**﴾ [الأعراف:١٨٠]، والدعاءُ بها يتناولُ دعاءَ المسألةِ، ودعاءَ الثناءِ، ودعاءَ التعبدِ.

وهو سبحانَه يدعُو عبادَه إلى أن يعرفُوه بأسمائِه وصفاتِه، ويُثْنُوا عليه بها، ويأخذُوا بحظِّهِم من عبوديَّتِها.

وهو سبحانَه يحبُّ موجبَ أسمائِه وصفاتِه.

فهو (**عليمٌ**) يحبُّ كلَّ عليمٍ (**جَوادٌ**) يُحبُّ كلَّ جوادٍ (**وترٌ**) يحبُّ الوترَ (**جميلٌ**) يحبُّ الجمالَ (**عَفُوٌّ**) يحبُ العَفْوَ وأهلَهُ (**حَيِيٌّ**) يحبُّ الحياءَ وأهلَهُ (**بَرٌّ**) يحبُّ الأبرارَ (**شكُورٌ**) يحبُّ الشاكرينَ (**صبورٌ**) يحبُّ الصابرينَ (**حليمٌ**) يحبُّ أهلَ الحلمِ.

فلمحبتِه سبحانَه للتوبةِ والمغفرةِ، والعفوِ والصفحِ: خلقَ من يغفرُ له، ويتوبُ عليهِ، ويعفُو عنه، وقدَّرَ عليه ما يقتَضِي وقوعَ المكروهِ والمبغوضِ له، ليترتبَ عليهِ المحبوبُ لهُ المرضِي له، فتوسُّطُه كتوسُّطِ الأسبابِ المكرُوهَةِ المفضِيَةِ إلى المحبوبِ.

فرُبَّما كان مكرُوهُ العبادِ إلى محبوبِها سببٌ ما مِثلُه سببُ

والأسبابُ . مع مسبَّباتِها . أربعةُ أنواعٍ:

محبوبٌ يُفضِي إلى محبوبٍ.

ومكروهٌ يُفضِي إلى محبوبٍ.

وهذانِ النوعانِ عليهما مدارُ أقضيتِهِ وأقدارِهِ سبحانه بالنسبةِ إلى ما يحبُّه وما يكرَهُهُ.

والثالثُ: مكروهٌ يفضِي إلى مكروهٍ.

والرابعُ: محبوبٌ يفضِي إلى مكروهٍ.

وهذانِ النوعانِ ممتنعانِ في حقِّه سبحانَه، إذ الغاياتُ المطلوبةُ من قضَائِهِ وقدَرِهِ .

الذي ما خَلَقَ ما خَلَقَ، ولا قَضَى ما قَضَى إلَّا لأجْلِ حُصُولِها . لا تكونُ إلا محبوبةً للربِّ مرضيةً له. والأسبابُ الموصِّلَةُ إليها مُنقسمَةٌ إلى محبوبٍ له ومكروهٍ له.

فالطاعاتُ والتوحيدُ: أسبابٌ محبوبةٌ له، مُوصِلَةٌ إلى الإحسانِ، والثوابِ المحبوبِ له أيضًا.

والشركُ والمعاصي: أسبابٌ مسخوطةٌ له، مُوصِلَةٌ إلى العدلِ المحبوبِ له، وإنْ كانَ الفضلُ أحبَّ إليه من العدلِ. فاجتماعُ العدلِ والفضلِ أحبُّ إليه من انفرادِ أحدِهما عن الآخرِ، لما فيهما من كمالِ المِلكِ والحمدِ، وتنوعِ الثناءِ، وكمالِ القدرةِ.

فإن قيل: كان يمكنُ حصولُ هذا المحبوبِ من غيرِ توسُّطِ المكروهِ.

قيلَ: هذا سؤالٌ باطلٌ، لأنَّ وجودَ الملزومِ بدونِ لازمِه ممتنعٌ. والذي يقدَّرُ في الذهنِ وجودُه شيءٌ آخرَ غيرُ هذا المطلوبِ المحبوبِ للربِّ. وحكمُ الذهنِ عليه بأنه محبوبٌ للربِّ حكمٌ بلا علمٍ، بل قد يكونُ مبغوضًا للربِّ تعالى لمنافاتِه حكمتَه، فإذا حَكَمَ الذهنُ عليه بأنه محبوبٌ له. كان نسبةً له إلى ما لا يليقُ به. ويتعالى عنه.

فليُعْطِ اللبيبُ هذا الموضِعَ حقَّه من التأملِ. فإنه مزلَّةُ أقدامٍ، ومضلَّةُ أفهامٍ. ولو أمسكَ عن الكلامِ من لا يعلمُ لقلَّ الخلافُ.

وهذا المشهدُ أجلُّ من أن يحيطَ به كتابٌ أو يستوعِبَهُ خطابٌ، وإنما أَشَرْنَا إليه أدنىَ إشارةٍ تُطْلِعُ على ما وراءِها. واللهُ الموفقُ والمعينُ[1].

* * *

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٥٠).

تعظيم الله تعالى في القرآن

ومن وسائلِ تعظيمِ الله تعالى: تدبرُ القرآنِ وتحديقُ النظرِ في سُوَرِهِ وآياتِه، فالقرآنُ كلُّه ينطقُ بالتعظيمِ والتمجيدِ والإجلالِ لربِّ العالمينَ حتى قال أحدُ الباحثِينَ الغربيينَ ليس هناك كتابٌ حَوَى من التعظيمِ والثناءِ والحمدِ والتقديسِ للهِ تعالى مثلَ ما حواه القرآنُ وهذا يثبتُ أنه من عندِ اللهِ تعالى، لأنه لو كان من افتراءِ محمدٍ لجعلَ محمدٌ لنفسه شيئًا من هذا التعظيمِ الإلهيِّ وهو ما لا نَجِدْه أبدًا في القرآنِ.

فانظرْ كيف يحمدُ اللهُ تعالى نفسه: ﴿**الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الفاتحة:١]،﴿**الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ**﴾ [الأنعام:١]، وانظر كيف أثبتَ لنفسِه كمالَ العلم: ﴿**وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ**﴾ [الأنعام:٣]، وانظر كيف أثبتَ لنفسِه القدرةَ التامَّةَ والقهرَ التامَّ: ﴿**وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ**﴾ [الأنعام:١٧-١٨].

ومع ذلك فهو يثبتُ لنفسِه الرحمةَ: ﴿**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [الأنعام:٥٤]،

وهكذا لا نجدُ آيةً من القرآنِ إلا وهيَ تدلُّ على عظمةِ اللهِ تعالى بلفظِها ومعناها، ولذلك فقد وصفَ اللهُ تعالى هذا الكتابَ بالعظمةِ فقال: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**﴾ [الحجر:٨٧]. وقال سبحانه: ﴿**لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ**﴾ [الحشر:٢١].

فإذا كان هذا حالُ الجبلِ الصخرِ الأصمِّ إذا أُنزلَ عليه القرآنُ فكيف بحالِ الإنسانِ الضعيفِ؟!

وقد وصف اللهُ تعالى أهلَ الإيمان بالخشيةِ والرقةِ والقشعريرةِ عند سماعِ القرآنِ كما في قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ**﴾ [الزمر:٢٣]، وقال تعالى: ﴿**وَقُرْءانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً * قُلْ ءَامِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُوٓاْ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً * وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا**﴾ [الإسراء:١٠٦-١٠٩]، وما ذلك إلا لما سَمِعُوهُ وشَاهَدُوهُ في آياتِ اللهِ تعالى المتلوةِ من شواهدِ العظمةِ والقدرةِ والكبرياءِ والجلالِ.

* * *

وما قدروا الله حق قدره

قال تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [الزمر:٦٧].

هذا ذمٌّ للمشركينَ الذينَ لم يخلِصُوا العبادةَ للهِ فعبدُوا مع اللهِ آلهةً أخرى وذلكَ لجهلِهِم بعظمةِ اللهِ عزَّ وجلَّ وما يستحِقُّه منَ العبادةِ والتعظيمِ. وهذه الآيةُ تشملُ كلَّ من عبدَ مع اللهِ غيرَه في كلِّ زمانٍ ومكانٍ فهؤلاءِ جميعًا ما قدروا اللهَ حقَّ قدرِه.

قالَ ابنُ كثيرٍ في تفسيرِه: «يقولُ تعالى: وما قدرَ المشركونَ اللهَ حقَّ قدرِه، حينَ عبدُوا معه غيرَه، وهو العظيمُ الذي لا أعظمَ منه، القادرُ على كلِّ شيءٍ، المالكُ لكلِّ شيءٍ، وكلُّ شيءٍ تحتَ قهرِه وقدرتِه.

وقال السُّدِّيُّ: ما عظَّموه حقَّ عَظَمَتِهِ.

وقال محمدُ بنُ كعبٍ: لو قَدَرُوه حقَّ قَدْرِه ما كَذَّبوه.

وقال عليُّ بنُ أبي طلحةَ، عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ همُ الكفارُ الذين لم يؤمنوا بقدرةِ اللهِ تعالى عليهم، فمن آمنَ أنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ فقد قَدَرَ اللهَ حقَّ قدرِه، ومن لم يؤمنْ بذلك فلم يَقْدُرِ اللهَ حقَّ قدرِه»[(١)].

وقال السعديُّ في تفسيرِه: « يقولُ تعالى: وما قدرَ هؤلاءِ المشركونَ ربَّهم حقَّ قدرِه، ولا عظَّموه حقَّ تعظيمِه، بل فعلوا ما يناقضُ ذلك، من إشراكِهم به مَنْ هو

---

(١) تفسير ابن كثير (١١٣/٧).

ناقصٌ في أوصافِه وأفعالِه، فأوصافُه ناقصةٌ من كلِّ وجهٍ، وأفعالُه ليس عنده نفعٌ ولا ضرٌ، ولا عطاءٌ ولامنعٌ، ولا يملكُ من الأمرِ شيئًا.

فَسَوَّوْا هذا المخلوقَ الناقصَ بالخالقِ الربِّ العظيمِ، الذي من عظمَتِهِ الباهرةِ، وقدرتِه القاهرةِ، أنَّ جميعَ الأرضِ يومَ القيامةِ قبضةٌ للرحمنِ، وأنَّ السماواتِ . على سَعَتِها وعِظَمِها . مطوياتٌ بيمينِه، فلا عظَّمَه حقَّ عَظَمَتِهِ من سَوَّى به غيرَه، ولا أظلمَ منه.

﴿**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ أي: تنزَّهَ وتعاظَمَ عن شركِهم به»[1].

وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ: «واللهُ سبحانَه بعثَ الرسلَ وأنزلَ الكتبَ؛ بأنْ يكونَ هو المعبودَ وحدَهُ لا شريكَ له وإنَّما يعبدُ بما أَمَرَ به على أَلْسُنِ رسلِه.

وأصلُ عبادتِه: معرفتُهُ بما وصفَ به نفسَه في كتابِه وما وصفَه به رسلُه؛ ولهذا كانَ مذهبُ السلفِ أنهم يصفُونَ اللهَ بما وصفَ به نفسَه وما وصفَه به رسلُه من غيرِ تحريفٍ ولا تعطيلٍ ومن غيرِ تكييفٍ ولا تمثيلٍ والذينَ يُنكرونَ بعضَ ذلكَ ما قدرُوا اللهَ حقَّ قدرِهِ وما عَرَفُوهُ حقَّ مَعْرفتِهِ ولا وَصفُوه حقَّ صفتِه ولا عبدُوهُ حقَّ عبادَتِهِ.
واللهُ سبحانه قد ذكرَ هذه الكلمةَ ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ في ثلاثِ مواضعٍ؛ ليثبتَ عظمتَه في نفسِه وما يستحقُّه من الصفاتِ وليثبتَ وحدانيَّتَه وأنَّه لا يستحقُّ العبادةَ إلا هو وليثبتَ ما أنزَلَهُ على رسلِه فقالَ في الزمرِ: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ [الزمر:٦٧] الآية، وقال في الحجِّ: ﴿**ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ [الحج:٧٣-٧٤]، وقال في الأنعامِ:

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٧٢٩).

﴿وَمَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١].

وفي المواضعِ الثلاثةِ ذمَّ الذين ما قدرُوه حقَّ قدرِه منَ الكفارِ فدلَّ ذلك على أنه يجبُ على المؤمنِ أن يقدُرَ اللهَ حقَّ قدرِه كما يجبُ عليه أن يتقِيَهُ حقَّ تقاتِه وأن يجاهدَ فيه حقَّ جهادِه قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج:٧٨]، وقال: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران:١٠٢]، والمصدرُ هنا مضافٌ إلى مفعولٍ والفاعلُ مرادٌ أي حقَّ جهادِه الذي أمرَكُم به وحقَّ تقاتِه التي أمرَكُم بها واقدرُوه قدرَه الذي بيَّنَه لكم وأمرَكم به فصدِّقُوا الرسولَ فيما أخبرَ وأطيعُوه فيما أوجبَ وأمرَ.

وأما ما يخرجُ عن طاقةِ البشرِ، فذلك لا يُذَمُّ أحدٌ على تركِه قالتْ عائشةُ: فاقدرُوا قدرَ الجاريةِ الحديثةِ السنِّ الحريصةِ على اللهوِ. ودلت الآيةُ على أنَّ له قدرًا عظيمًا؛ لا سيّما قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ وفي تفسيرِ ابنِ أبي طلحةَ عن ابنِ عبَّاسٍ قال: من آمنَ بأنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ فقدْ قَدَرَ اللهَ حقَّ قدْرِه.

وقدْ ثبتَ في الصحيحينِ من حديثِ ابنِ مسعودٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قرأَ هذه الآيةَ لما ذكرَ له بعضُ اليهودِ أنَّ اللهَ يحملُ السمواتِ على أصبعٍ والأرضينَ على أصبعٍ والجبالَ على أصبعٍ والشجرَ والثرى على أصبعٍ وسائرَ الخلقِ على أصبعٍ؛ فضحِكَ رسولُ اللهِ ﷺ تعجبًا وتصديقًا لقولِ الحبرِ وقرأَ هذهِ الآيةَ.

وعن ابن عباسٍ قال: مرَّ يهوديٌّ بالنبيِّ ﷺ فقال: يا أبا القاسِمِ ما تقولُ إذا وضعَ اللهُ السماءَ على ذِهِ؟ والأرضَ على ذِهِ والجبالَ والماءَ على ذِهِ وسائرَ الخلقِ على

ذِهِ؟ فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**﴾ رواهُ الإمامُ أحمدُ بن حنبلٍ والترمذيُّ من حديثِ أبي الضحى عنِ ابنِ عباسٍ وقال غريبٌ حسنٌ صحيحٌ.

وهذا يقتضي أنَّ عظمَتَه أعظمُ ممَّا وصفَ ذلكَ الحبرُ فإنَّ الذي في الآيةِ أبلغُ كما في الصحيحينِ عن أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ قالَ: «**يقبضُ اللهُ الأرضَ يومَ القيامةِ ويطوي السماءَ بيمينِه ثم يقولُ: أنا الملكُ أين ملوكُ الأرضِ**».

وفي الصحيحينِ عن ابنِ عمرَ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**يطوي اللهُ السمواتِ يومَ القيامةِ ثمَّ يأخُذُهُنَّ بيدِه اليمنى. ثم يقول: أينَ الملوكُ؟ أين الجبارونَ؟ أين المتكبرونَ؟**». ورواهُ مسلمٌ أبسطَ من هذا وذكرَ فيه أنَّه يأخذُ الأرضَ بيدِه الأخرى. وقدْ روى ابنُ أبي حاتمٍ: حدثنا أبي ثنا عمرُو بن رافعٍ ثنا يعقوبُ بن عبدِ اللهِ عن جعفرَ عن سعيدٍ بن جبيرٍ قال: تكلَّمَتِ اليهودُ في صفةِ الربِّ ـ تبارك وتعالى ـ فقالُوا ما لم يعلَمُوا ولم يَرَوْا فأنزلَ اللهُ على نبيِّه: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ فجعلَ صفتَه التي وصفُوه بها شِرْكًا. وقال: حدثنا أبي ثنا أبو نعيمٍ ثنا الحكمُ يعني أبا معاذٍ عن الحسنِ قال: عَمَدَتِ اليهودُ فنظرُوا في خلقِ السمواتِ والأرضِ والملائكةِ فلما فرَغُوا أخذُوا يقدرُونَه فأنْزَلَ اللهُ تعالى على نبيِّه: ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ وهذا يدلُّ على أنَّه أعظمُ مما وصفُوه وأنهم لم يقدُرُوه حقَّ قدرِه.

وقوله: ﴿**عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ فكلُّ من جعلَ مخلوقًا مثلًا للخالقِ في شيءٍ من الأشياءِ فأحَبَّه مثلَ ما يحبُّ الخالقَ أو وصَفَه بمثلِ ما يوصَفُ به الخالقُ فهو مشركٌ سوَّى بينَ اللهِ وبينَ المخلوقِ في شيءٍ من الأشياءِ فعَدَلَ بِرَبِّه.

والربُّ تعالى لا كُفْؤَ لهُ ولا سَمِيَّ لَهُ ولا مِثْلَ له ومَنْ جعَلَهُ مثلَ المعدومِ والممتنعِ فهو شرٌّ من هؤلاءِ فإنَّه معطِّلٌ ممثِّلٌ والمعطِّلُ شرٌّ من المشركِ.

واللهُ ثَنَّى قصةَ فرعونَ في القرآنِ في غيرِ موضعٍ؛ لاحتياجِ الناسِ إلى الاعتبارِ بها فإنه حَصَلَ له من الملكِ ودعوى الربوبيةِ والإلهيةِ والعلوِّ ما لم يحصُلْ مثلَهُ لأحدٍ من المعطِّلِينَ وكانتْ عاقِبَتُه إلى ما ذَكَرَ اللهُ تعالى وليسَ للهِ صفةٌ يماثِلُهُ فيها غيرُه؛ فلهذا لم يَجُزْ أن يُستَعْمَلَ في حقِّهِ قياسُ التمثيلِ ولا قياسُ الشمولِ الذي تَستَوِي أفرادُه فإنَّ ذلك شركٌ؛ إذ سُوِّيَ فيه بالمخلوقِ؛ بل قياسُ الأولى.

فإنَّه سبحانه له المثلُ الأعلى في السمواتِ والأرضِ فهو أحقُّ من غيرِه بصفاتِ الكمالِ وأحقُّ من غيرِه بالتَّنْزِيهِ عن صفاتِ النقصِ[١].

ويدعو ابنُ القيمِ رحمهُ اللهُ إلى التأملِ في القرآنِ بهدفِ الوصولِ إلى تعظيمِ اللهِ تعالى ومحبَّتِه وإفرادِه بالعبادةِ والطاعةِ، قالَ رحمهُ اللهُ: «تأمل خطابَ القرآنِ تجدْ ملكًا له الملكُ كلُّه، وله الحمدُ كلُّه، أزِمَّةُ الأمورِ كلُّها بيدِه، ومصدَرُها منه، ومردُّها إليه، لا تَخْفَى عليه خَافِيةٌ في أقطارِ مملكتِهِ، عليمًا بما في نفوسِ عبيدِه، مُطَّلِعًا على أسرارِهم وعلانِيَتِهم، منفَرِدًا بتدبيرِ المملكةِ، يسمعُ، ويرى، ويعطي، ويمنعُ، ويثيبُ، ويعاقبُ، ويُكرِمُ، ويُهينُ، ويخلقُ، ويرزقُ، ويُميتُ، ويُحيي، ويقدِّرُ، ويقضي، ويدبِّرُ. الأمورُ نازلةٌ من عندِه دقيقُها وجليلُها، وصاعدةٌ إليه لا تَتَحَرَّكُ في ذرَّةٍ إلا بإذْنِه، ولا تسقُطُ ورقةٌ إلا بعلْمِه.

فتأملْ كيفَ تجِدُهُ يثني على نفسِه، ويمجِّدُ نفسَه، ويحمَدُ نفسَهُ، وينصَحُ عبادَه، ويدُلُّهم على ما فيه سعادَتُهم وفلاحُهم ويرغبُهم فيه، ويحذِّرُهم مما فيه هلاكُهم. ويتعرَّضُ

(١) الفرقان (ص:٧٥).

إليهم بأسمائِه وصفاتِه، ويتحبَّبُ إليهم بنعمِهِ وآلائِه. فيذكِّرُهم بنعَمِهِ عليهم، ويأمرُهم بما يَسْتَوْجِبُون به تمامَها، ويحذِّرُهم من نِقَمِهِ، ويذكِّرُهم بما أعدَّ لهم من الكرامةِ إن أطاعُوه، وما أعدَّ لهم من العقوبةِ إن عَصَوْهُ. ويخبِرُهم بصُنْعِه في أوليائِهِ وأعدائِهِ، وكيفَ كانتْ عاقبةُ هؤلاءِ وهؤلاءِ. ويثني على أوليائِهِ بصالحِ أعمالِهم، وأحسنِ أوصافِهِم، ويذمُّ أعداءَه بسيِّئِ أعمالِهم، وقبيحِ صفاتِهم.

ويضربُ الأمثالَ، وينوِّعُ الأدلةَ والبراهينَ، ويجيبُ عن شُبهِ أعدائِه أحسنَ الأجوبَةِ، ويصدِّقُ الصادق، ويكذِّبُ الكاذبَ، ويقولُ الحقَّ، ويهدي السبيلَ.

ويدعو إلى دارِ السلامِ، ويذكرُ أوصافَها وحسنَها ونعيمَها، ويحذِّرُ من دارِ البوارِ، ويذكُرُ عذابَها وقبْحَها وآلامَها، ويُذَكِّرُ عبادَه فقرَهم إليهِ، وشدةَ حاجَتِهم إليه من كلِّ وجهٍ، وأنهم لا غنىً لهم عنه طرفةَ عينٍ، ويذكُرُ غنَاهُ عنهم وعن جميعِ الموجوداتِ، وأنه الغنيُّ بنفسِه عن كلِّ ما سوَاهُ، وكلُّ ما سوَاهُ فقيرٌ إليه بنفسِه، وأنه لا ينَالُ أحدٌ ذرةً من الخيرِ فما فوقَها إلا بفضْلِه ورحمَتِه، ولا ذرَّةً من الشَّرِّ فما فوقَها إلا بعدْلِه وحكمَتِه.

ويشهدُ من خطابِه عتابَه لأحبابِه ألطفَ عتابٍ، وأنَّه معَ ذلك مُقيلُ عثراتِهم، وغافرُ زلاتِهم، ومقيمُ أعذارِهم، ومصلحُ فسادِهم، والدافعُ عنْهُم، والمحامِي عنهُم، والناصرُ لهم، والكفيلُ بمصالحِهم، والمنجي لهم من كلِّ كربٍ، والموفِّي لهم بوعدِه، وأنه وليُّهم الذي لا وليَّ لهم سوَاهُ، فهو مولاهُم الحقُّ، ونصيرُهم على عدوِّهم؛ فنعمَ المولى ونعمَ النصيرُ.

فإذا شهدتِ القلوبُ من القرآنِ ملكًا عظيمًا، رحيمًا، جوادًا، جميلًا، هذا

شأنُه؛ فكيفَ لا تحبُّه، وتُنافِسُ في القربِ منه، وتنفِقُ أنفاسَها في التودُّدِ إليه، ويكونُ أحبَّ إليها من كلِّ ما سوَاهُ، ورضَاهُ آثَرُ عندَها من رضَا كلِّ ما سوَاهُ؟! وكيفَ لا تَلْهَجُ بِذِكْرِهِ، ويصيرُ حبُّه، والشوقُ إليه، والأنسُ به، هو غذاؤُها وقوتُها ودواؤُها؛ بحيثُ إن فَقَدَتْ ذلكَ فَسَدَتْ وهلكَت ولم تَنْتَفِعْ بحياتِها؟!

* * *

تجلياتُ اللهِ تعالى في القرآن[١]

القرآنُ كلامُ اللهِ، وقدْ تجلَّى اللهُ فيه لعبادِهِ بصفاتِهِ، فتارةً يتجلَّى في جلبابِ الهيبةِ والعظمةِ والجلالِ؛ فتخضَعُ الأعناقُ، وتنكَسِرُ النُّفوسُ، وتخْشَعُ الأصواتُ، ويذوبُ الكِبْرُ كما يذوبُ الملحُ في الماءِ. وتارةً يتجلَّى في صفاتِ الجمالِ والكمالِ، وهو كمالُ الأسماءِ، وجمالُ الصفاتِ، وجمالُ الأفعالِ الدالُّ على كمالِ الذاتِ؛ فيستنفذُ حُبُّه من قلبِ العبدِ قُوةَ الحبِّ كلِّها، بحسبِ ما عَرَفَهُ من صفاتِ جمالِه ونعوتِ كمالِه، فيصبحُ فؤادُ عبدِه فارغًا إلَّا من محبَّتِه، فإذا أرادَ منه الغيرُ أن يُعلِّقَ تلكَ المحبةِ به أَبَى قلبُه وأحشاؤُه ذلكَ كلَّ الإباءِ، كما قيلَ:

يُرادُ من القلبِ نسيانُكُم وتَأْبَى الطباعُ على النَّاقِلِ

فتبقَى المحبةُ له طبعًا لا تكلفًا..

وإذا تجلَّى بصفاتِ الرحمةِ والبرِّ واللُّطفِ والإحْسانِ، انبعثَتْ قوَّةُ الرجاءِ من العبدِ، وانبَسَطَ أمَلُهُ ، وقويَ طمعُهُ، وسارَ إلى ربِّه وحادِي الرجاءِ يحدُو ركابَ سيرِه. وكلَّما قوِيَ الرَّجاءُ، جدَّ في العملِ، كما أنَّ الباذرَ كلَّما قويَ طمعُه في المغلِّ[٢] غلقَ أرضَه بالبذرِ، وإذا ضَعُفَ رجاؤُه قصَّرَ في البَذْرِ.

وإذا تجلَّى بصفاتِ العدلِ والانتقامِ والغضبِ والسخطِ والعقوبةِ، انقمعتِ[٣] النفسُ الأمَّارةِ، وبطلتْ أو ضعفتْ قُوَاها: من الشهوةِ، والغضبِ، واللهوِ، واللعبِ،

(١) الفوائد (ص:١٠٥-١٠٨).

(٢) المغلّ: هنا بمعنى ناتج الأرض.

(٣) قمعه وأقمعه: أي قهره وأذله (فانقمع).

والحرصِ على المحرماتِ، وانقبضتْ أعِنَّةُ[١] رعوناتِها[٢]؛ فأحضَرَت المطيةُ حظَّها من الخوفِ والخشيةِ والحذرِ.

وإذا تجلَّى بصفاتِ الأمرِ والنهيِ والعهدِ والوصيةِ وإرسالِ الرسلِ وإنزالِ الكتبِ وشرعِ الشرائعِ، انبعثَ منها قوةُ الامتثالِ والتنفيذِ لأوامرِه، والتبليغِ لها، والتواصي بها، وذكرِها، وتذكُّرِها، والتَّصديقِ بالخبرِ، والامتثالِ للطلبِ، والاجتنابِ للنهيِ.

وإذا تجلَّى بصفاتِ السمعِ والبصرِ والعلمِ، انبعثتْ منَ العبدِ قوةُ الحياءِ؛ فيستحيِ من ربِّه أن يرَاهُ على ما يكرَهُ، أو يسمَعُ منه ما يكرَهُ، أو يخفِي في سريرَتِهِ ما يمقتُهُ عليه؛ فتبقى حركاتُه وأقوالُه وخواطرُه موزونةٌ بميزانِ الشرعِ، غيرَ مهملةٍ ولا مرسَلَةٍ تحتَ حكمِ الطبيعةِ والهوى.

وإذا تجلَّى بصفاتِ الكفايةِ والحسْبِ، والقيامِ بمصالحِ العبادِ، وسوقِ أرزاقِهم إليهم، ودفعِ المصائبِ عنهم، ونصرِهِ لأوليائِه، وحمايتِه لهم، ومعيَّتِه الخاصةِ لهم، انبعثَ من العبدِ قوةُ التوكلِ عليه، والتفويضُ إليه، والرضَا به وبكلِّ ما عَلِمَ العبدُ بكفايةِ اللهِ وحسنِ اختيارِهِ لعبدِهِ وثقتِه به ورضَاهُ بما يفعَلُهُ به ويختارُه له.

وإذا تجلَّى بصفاتِ العزِّ والكبرياءِ، أعطَتْ نفسُهُ المطمئنةُ ما وصلتْ إليه من الذلِّ لعظمتِه، والانكسارِ لعزَّتِه، والخضوعِ لكبريائِه، وخشوعِ القلبِ والجوارحِ له؛ فتعلُوه السكينةُ والوقارُ في قلبِه ولسانُه وجوارحُه وسمتُه[٣]، ويذهبُ طَيشُه وقوتُه وحدتُه.

(١) أعِنة: جمع (عِنان)، وهو سير اللجام الذي يمسك.
(٢) الرُّعُونة: الحمق والاسترخاء.
(٣) سمته: هيئته.

وجماعُ ذلك: أنه سبحانه يتعرفُ إلى العبدِ بصفاتِ إلهيَّتِهِ تارةً، وبصفاتِ ربوبيَّتِهِ تارةً؛ فيوجبُ له شهودُ صفاتِ الآلهيةِ المحبةَ الخاصَّةَ، والشوقَ إلى لقائِه، والأنسَ والفرحَ به، والسرورَ بخدمتِه، والمنافسةَ في قربِه، والتودُّدَ إليه بطاعتِه، واللَّهَجَ بذكْرِه، والفرارَ من الخلقِ إليه، ويصيرُ هو وحدَهُ همَّهُ دونَ ما سوَاهُ. ويوجبُ له شهودُ صفاتِ الربوبيةِ التوكلَ عليه، والافتقارَ إليه، والاستعانةَ به، والذلَّ والخضوعَ والانكسارَ له.

وكمالُ ذلكَ أن يشهدَ ربوبيَّتَهُ في إلهيتِه، وآلهيَّتَه في ربوبيَّتِه، وحمدَه في ملْكِهِ، وعزَّه في عفْوِه، وحكمَتَه في قضائِه وقدرِه، ونعمتَه في بلائِه، وعطاءَه في منعِه، وبرَّه ولطفَه وإحسانَه ورحمتَه في قيُّوميَّتِه، وعدلَه في انتقامِه، وجودَه وكرمَه في مغفرتِه، وسترِه وتجاوُزِه. ويشهدَ حكمتَه ونعمتَه في أمرِه ونهيِه، وعزَّه في رضَاهُ وغضبِه، وحِلمَه في إمهالِه، وكرمَه في إقبالِه، وغنَاهُ في إعراضِه.

* * *

تعظيمُ النبيِّ ﷺ لربِّه

إذا كان التعظيمُ ثمرةً من ثمراتِ المعرفةِ فقد كان النبيُّ ﷺ أعرفَ الخلقِ بربِّه، وكيفَ لا يكونُ كذلكَ وهو الذي اصطفَاهُ ربُّه وعلَّمه ﴿**وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً**﴾ [النساء:١١٣]، ومنْ تدبَّرَ في عبادةِ النبيِّ ﷺ وذكرِهِ ودعائِه ولجوئِه إلى ربِّه عَلِمَ أنَّهُ أعظَمُ من عَظَّمَ الله تعالى، فقدْ كان ﷺ يقومُ من الليلِ حتى تتفطَّرَ قدماه، فقالتْ له عائشة رضي الله عنها : تفعلُ ذلك وقد غُفِرَ لك ما تقدمَ من ذنبِك وما تأخرَ!! فقال ﷺ: «**أفلا أحبُّ أن أكون عبدًا شكورًا**»(١).

ومن تعظيمِ النبيِّ ﷺ لربِّه أنه كان يسدُّ جميعَ الأبوابِ التي تُفضِي إلى الغلوِّ فيه وإخراجِه عن حدودِ العبوديةِ والرسالةِ التي أَنْزَلَهُ اللهُ تعالى إيَّاها، فكان ﷺ يقولُ: «**لا تُطْروني كما أطرتِ النصارى ابنَ مريمَ، إنما أنا عبدُه، فقولوا: عبدُ اللهِ ورسولُه**»(٢).

وعن محمدِ بن جبيرِ بن مطعِمٍ عن أبيه قال: أتى رسولَ اللهِ ﷺ أعرابيٌّ فقال: يا رسولَ الله! جَهِدت الأنفسُ، وضاعتِ العيالُ، ونُهكتِ الأموالُ، وهلكتِ الأنعامُ، فاستسِقِ اللهَ لنا، فإنا نستشفِعُ بكَ على اللهِ، ونستشْفِعُ باللهِ عليكَ. فقال رسولُ الله ﷺ: «**ويحك! أتدري ما تقولُ؟**»، وسبَّحَ رسولُ اللهِ ﷺ ، فما زالَ يسبِّحُ حتى عُرِفَ ذلك في وجوهِ أصحابِه، ثم قال: «**إنَّه لا يُسْتَشْفَعُ باللهِ على أحدٍ من خَلْقِه، شأن اللهِ أعظمُ من ذلك**»(٣).

(١) البخاري (١١٣٠)، مسلم (٢٨١٩)، الترمذي (٤١٢).
(٢) البخاري (٣٤٤٥)، مسلم (١٦٩١)، أحمد (١٥٥).
(٣) رواه أبو داود (٤١٠١) بيند فيه ضعف.

وعن ابن عباسٍ قال: قال رجلٌ للنبيِّ ﷺ : ما شاءُ اللهُ وشئتَ، فقال ﷺ: «**أَجَعَلْتَنِي للهِ ندًّا؛ لا بل ما شاءَ اللهُ وحدَهُ**»(١).

وعن عبدِ اللهِ بن الشخيرِ قال: انطلقتُ في وفدِ بني عامرٍ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقلنا: أنت سيدُنا. فقال: «**السيدُ اللهُ**» فقلنا: وأفضلُنا فضلًا وأعظمُنا طَوْلًا. فقال ﷺ: «**قولوا بقولِكم أو بعضِ قولِكم، ولا يَسْتَجْرِيَنَّكُم الشيطانُ**»(٢).

قال في (النهاية): «أي لا يَسْتَغْلِبَنَّكُم فيتخِذُكم جَرِيًّا، أي رسولًا ووكيلًا، وذلك أنهم كانوا مَدَحُوه، فَكَرِهَ لهمُ المبالغةَ في المدحِ، فنهاهم عنه»(٣).

وقولُه ﷺ: «**السيدُ اللهُ**» أي السؤددُ على الحقيقةِ إنما هو للهِ لأ، لأنه المتصفُ بذلك على الإطلاقِ فهو الذي الخلقُ خلقُه، والملكُ ملكُه، وهو المتفضلُ بكلِّ النِّعَمِ، وهو المتصرفُ في الخلقِ كيفَ شاءَ، وهو صاحبُ السؤددِ على الحقيقةِ، وأما غيرُه ممن حصَّل سؤددًا فإنما هو سؤددٌ ناقصٌ وغيرُ كاملٍ، ولهذا فإن النبيَّ ﷺ أخبر عن نفسِه بأنه سيدُ ولدِ آدمَ غ، وهو سيدُهم في الدنيا والآخرةِ. صلواتُ اللهِ وسلامِه وبركاتِه عليه.، ولكنَّ السؤددَ الذي يليقُ بالإنسانِ، للرسولِ ﷺ منه الحظُّ الأكبرُ والنصيبُ الأوفرُ، وأما السؤددُ الكاملُ على الحقيقةِ فهو للهِ لأ... فالرسولُ ﷺ لحمايَتِه جنابَ التوحيدِ، ولحرصِه على ألا يحصلَ غلوٌّ يُؤَدِّي إلى محذورٍ أرشدَ. عليه الصلاةُ والسلامُ. وبيَّنَ أن السيدَ هو اللهُ وأن السؤددَ الحقيقيَّ إنما هو للهِ.(٤).

---

(١) رواه أحمد (١٧٤٢).

(٢) رواه أبو داود (٤١٧٢)، وأحمد (١٥٧٢٦).

(٣) النهاية (١/٧٣٩) ط: الشاملة.

(٤) انظر شرح سنن أبي داود للشيخ عبد المحسن العباد (٢٧/٤٤٦)، ط. الموسوعة الشاملة.

وكان النبيُّ ﷺ يعظمُ اللهَ تعالى من خلالِ تدبرِ آياتِ القرآنِ، وكان ﷺ يخشى من نزولِ العذابِ على هذه الأمةِ ففي صحيحِ البخاريِّ من حديثِ جابرِ بن عبدِ اللهِ رضي الله عنهما قالَ: لما نزلت هذه الآية: ﴿**قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ**﴾ قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أعوذ بوجهك**». قال: ﴿ **أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ**﴾ قالَ النبيُّ ﷺ: «**أعوذُ بوجهِكَ**» قال: ﴿**أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ**﴾ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**هذا أهونُ أو هذا أيسرُ**»[١].

وكان غ إذا رأى غيمًا عُرِفَ في وجْهِه، قالت عائشةُ: يا رسولَ اللهِ! الناسُ إذا رأَوُا الغيمَ فَرِحُوا، رجاءَ أن يكونَ فيه المطرُ، وأَراكَ إذا رأيتَ غَيْمًا عُرِفَ في وجْهِكَ الكراهَيَةُ! فقال: «**يا عائشةُ! وما يُؤَمِّنني أن يكونَ فيه عذابٌ؟ قد عُذِّبَ قومٌ بالريحِ، وقد رأى قومٌ العذابَ فقالوا: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾** [الأحقاف:٢٤]»[٢].

وكان ﷺ من تعظيمِه لربِّه يتأثرُ بالآياتِ التي يخوفُ اللهُ بها عبادَه فعن عبدِ الله بن عمرٍو ت قال: انكسَفَتِ الشمسُ يومًا على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ، فقامَ رسولُ اللهِ ﷺ يصلِّي، فلم يَكَدْ أن يسجُدَ ثم سَجَدَ، فلم يكد أن يَرْفَعَ رأسَهُ، فجعلَ ينفُخُ ويبكِي ويقولُ: «**ربِّ ألم تَعِدْني ألا تعذِّبَهم وأنا فيهم؟ ربِّ ألم تَعِدْني ألا تعذِّبَهم وهم يستغفرون؟ ونحن نستغفِرُك**»، فلما صلَّى ركعتينِ انجلَت الشمسُ، فقامَ فحمِدَ اللهَ تعالى وأثنَى عليه ثم قال: «**إنَّ الشمسَ والقمرَ آيتانِ من آياتِ اللهِ، لا ينكسِفَانِ لموتِ أحدٍ ولا لحياتِه، فإذا انكسَفَا، فَافْزَعُوا إلى ذكرِ اللهِ**»[٣].

---

(١) رواه البخاري (٤٢٦٢)، والترمذي (٢٩٩١).

(٢) رواه البخاري (٤٤٥٤)، ومسلم (١٤٩٧).

(٣) رواه أبو داود (١١٩٤)، والنسائي (٥٤٧).

وقد ذكرْنَا شيئًا من تعظيمِ النبيِّ ﷺ لربِّه في أمهاتِ العبادةِ كالصلاةِ والحجِّ وذكرِ الله تعالى.

* * *

أحاديث نبويةٌ في تعظيمِ اللهِ سبحانه وتعالى

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه، أن رسولَ الله ﷺ قال: «**يدُ اللهِ ملْأَى لا يغيضُها**[١] **نفقةٌ، سَحَاءَ الليلَ والنهارَ**»، وقال: «**أرأيتُم ما أنفقَ منذُ خلقَ السمواتِ والأرضَ، فإنَّه لم يُغِضْ ما في يدِه**»، وقال: «**وكانَ عرشُه على الماءِ، وبيدِه الأخرى الميزانُ يخفضُ ويرفعُ**»[٢] [متفق عليه].

وكان النبيُّ ﷺ يأمرُ بتعظيمِ اللهِ عزوجل في الصلاةِ، فقال: «**أمَّا الركوعُ فعظِّمُوا فيهِ الربَّ**»[٣].

عن عبدِ اللهِ بن عمرَ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ : «**يطوِي اللهُ عزَّ وجلَّ السمواتِ يومَ القيامةِ، ثم يأخُذُهنَّ بيدِه اليمْنَى ثم يقولُ: أنا الملكُ أينَ الجبارونَ؟ أينَ المتكبِّرونَ؟ ثم يطوِي الأرضينَ بشمالِه ثم يقولُ: أنا الملكُ، أينَ الجبارونَ؟ أينَ المتكبرونَ؟**»[٤] [رواه مسلم].

وعن النبيِّ ﷺ قال: «**إن اللهَ لا ينامُ، ولا ينبغي له أن ينامَ، يخفضُ القسطَ ويرفعُه، يُرفَعُ إليه عملُ النهارِ قبلَ عملِ الليلِ، وعملُ الليلِ قبلَ عملِ النهارِ، حجابُه النورُ، لو كَشَفَهُ لأحرقَتْ سُبُحُاتِ وجْهِه، ما انتَهَى إليه بصرُه من خلقِه**»[٥].

---

(١) يغيضها: ينقصها.

(٢) رواه البخاري (٦٨٤)، ومسلم (٩٩٣).

(٣) رواه مسلم (٤٧٩)، وأبو داود (٨٧٦).

(٤) رواه مسلم (٢٧٨٨).

(٥) رواه مسلم حديث رقم (٤٤٥).

وعن عبدِ اللهِ بن مسعودٍ رضي الله عنه قالَ: جاءَ حبرٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا محمدُ! أو يا أبا القاسمِ! إنَّ الله تعالى يُمْسِكُ السمواتِ يومَ القيامةِ على إصبعٍ، والأرضينَ على إصبعٍ، والجبالَ والشجرَ على إصبعٍ، والماءَ والثرى على إصبعٍ، وسائرَ الخلقِ على إصبعٍ ثم يهزُّهُنَّ فيقولُ: أنا الملكُ، أنا الملكُ، فضَحِكَ رسولُ اللهِ ﷺ تعجُّبًا مما قالَ الحبرُ، تصديقًا له ثمَّ قرأَ: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[الزمر:٦٧]»[١].

وقال ﷺ : «**إنَّ اللهَ تعالى يقولُ: إن العِزَّ إِزَارِي، والكبرياءَ ردائِي، فمن نازَعَنِي فيهما عذَّبتُهُ**»[٢].

وقال ﷺ: «**ما منكم من أحدٍ إلا سيُكلِّمُهُ اللهُ يومَ القيامةِ، ليسَ بينَه وبينَه ترجمان، فينظرُ أيمنَ منه، فلا يرَى إلا ما قدَّمَ، وينظرُ أشأمَ**[٣] **منه، فلا يرَى إلا ما قدّمَ، وينظرُ بين يدَيْهِ، فلا يَرَى إلا النَّارَ تلقاءَ وجهِه، فاتَّقُوا النَّارَ، ولو بشقِّ تمرةٍ، ولو بكلمةٍ طيبةٍ**»[٤].

وقال ﷺ: «**إن أحدَكم يُجمعُ خلقُهُ في بطنِ أمِّه أربعينَ يومًا نطفةً، ثم يكونُ علقةً مثل ذلك، ثم يكونُ مضغةً مثل ذلك، ثم يبعثُ اللهُ إليه مَلَكًا، ويؤمرُ بأربعِ كلماتٍ، ويقالُ له: اكتبْ علمهُ، ورزقهُ، وأجلهُ، وشقيٌّ أم سعيدٌ، ثم ينفخُ فيه الروحَ، فإنَّ الرجلَ منكم ليعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ، حتى لا يكونُ بينهُ وبينَها إلَّا**

---

(١) متفق عليه البخاري (٧٥١٣)، ومسلم (٢٧٨٦).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٥٢)، وقال الألباني: صحيح.

(٣) أي: جهة شماله.

(٤) البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦).

ذراعٌ، فيسبقُ عليه الكتابُ، فيعملُ بعملِ أهلِ النارِ، فيدخلُ النارَ. وإنَّ الرجلَ ليعملُ بعملِ أهلِ النارِ، حتى ما يكونُ بينَهُ وبينها إلَّا ذراعٌ، فيسبقُ عليهِ الكتابُ، فيعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ، فيدخلُ الجنةَ»[(١)].

عن أبي ذرٍّ الغفاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله فيما يرويه عن ربه لأ أنه قال:«**يا عبَادي إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلمَ عَلَى نفسِي وجعلتُهُ بينكم مُحرَّمًا فلا تظَّالموا.**

يَا عِبادِي كُلكُم ضَالٌّ إلَّا من هديتُه فاستَهْدُوني أَهْدِكُم.

يَا عِبادِي كُلكُم جَائِعٌ إلَّا من أَطْعمتُهُ فاسْتَطعمُوني أُطعِمْكُم.

يَا عِبادِي كُلكُم عَارٍ إلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُم.

يَا عِبادِي إنكم تُخطِئون باللَّيلِ والنَّهارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فاستغفروني أغفر لكم.

يَاعِبادِي إِنَّكم لن تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضَروني وَلَنْ تَبْلغُوا نَفْعِي فتنفعُوني.

يَا عِبادِي لو أَنَّ أَوَّلكم وآخرَكم وإِنْسَكُمْ وجنَّكُم كانوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ واحدٍ منكم ما زادَ ذلكَ في ملكي شيئا.

يَا عِبادِي لو أَنَّ أَوَّلكم وآخرَكم وإنسَكُم وجنَّكُم كانوا عَلَى أَفْجرِ قلب رَجُلٍ واحدٍ منكم ما نَقَصَ ذلك من مُلكي شيئا.

(١) البخاري (٦٥٩٤)، ومسلم (٢٦٤٣)، والترمذي (٢١٣٧).

يَا عِبادِي لو أَنَّ أوَّلكم وآخرَكم وإنسَكُم وجنَّكُم قاموا في صَعيدٍ وَاحدٍ فسألوني فأعطيت كل واحدٍ مسألته ما نقصَ ذلكَ مما عندي إلَّا كما ينقصُ المخيط إذا أُدخِلَ البحر.

يَا عِبادِي إنَّما هي أعمالُكُم أُحْصِيها لكُم ثُمَّ أوفيكم إيَّاهَا فمن وَجَدَ خيرًا فليحمدِ اللهَ، ومَن وَجَدَ غيرَ ذلكَ فلا يلومنَّ إلَّا نفسه» [رواه مسلم].

قوله: «**إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما**».

قال ابن دقيق العيد: «قال بعض العلماء: معناه لا ينبغي لي ولا يجوز عليَّ كما قال تعالى: ﴿**وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا**﴾ [مريم:٩٢]، فالظلم محال في حق الله تعالى. قال بعضهم في هذا الحديث: لا يسوغ لأحد أن يسأل الله تعالى أن يحكم له على خصمه إلا بالحق بقوله سبحانه:«**إني حرمت الظلم على نفسي**»، فهو سبحانه لا يظلم عباده فكيف يظن ظان أنه يظلم عباده لغيره؟

وكذلك قال: «**فلا تظالموا**» المعنى: المظلوم يقتص له من الظالم، وحذفت إحدى التاءين تخفيفًا أصله: فلا تتظالموا.

وقوله:«**كُلُّكُم ضَالٌ إلَّا من هديتُه،... وكلُّكُم عَارٍ إلَّا مَن كسوتُه... وكلكم جائعٌ إلَّا من أطعمتُه...**».

تنبيه على فقرنا وعجزنا عن جلب منافعنا ودفع مضارنا إلا أن يعيننا الله سبحانه على ذلك، وهو يرجع إلى معنى: **لا حول ولا قوة إلا بالله**. وليعلم العبد أنه إذا رأى آثار هذه النعمة عليه أن ذلك من عند الله ويتعين عليه شكر الله تعالى وكلما ازداد من ذلك يزيد في الحمد والشكر لله تعالى.

وقوله:«**فاستهدوني أهدكم**» أي اطلبوا مني الهداية أهدكم والجملة في ذلك أن يعلم العبد أنه طلب الهداية من مولاه فهداه ولو هداه قبل أن يسأله لم يبعد أن يقول: إنما أوتيته على علم عندي. وكذلك «**كلكم جائع**» إلى آخره يعني أنه خلق الخلق كلهم ذوي فقر إلى الطعام فكل طاعم كان جائعا حتى يطعمه الله بسوق الرزق إليه وتصحيح الآلات التي هيأها له فلا يظن ذو الثروة أن الرزق الذي في يده وقد رفعه إلى فيه أطعمه إياه أحد غير الله تعالى وفيه أيضا أدب للفقراء كأنه قال: لا تطلبوا الطعام من غيري فإن هؤلاء الذين تطلبون منهم أنا الذي أطعمهم «**فاستطعموني أطعمكم**»، وكذلك ما بعده.

وقوله: «**إنكم تخطئون بالليل والنهار**».

في هذا الكلام من التوبيخ ما يستحي منه كل مؤمن وكذلك أن الله خلق الليل ليطاع فيه ويعبد بالإخلاص حيث تسلم الأعمال فيها غالبا من الرياء والنفاق أفلا يستحي المؤمن أن لا ينفق الليل والنهار [في الطاعة] فإنه خلق مشهودا من الناس فينبغي من كل فطن أن يطيع الله فيه أيضا ولا يتظاهر بين الناس بالمخالفة وكيف يحسن بالمؤمن أن يخطئ سرا أو جهرا لأنه سبحانه وتعالى قد قال بعد ذلك: «**وأنا أغفر الذنوب جميعًا**» فذكر الذنوب بالألف واللام التي للتعريف وأكدها بقوله: «**جميعا**» وإنما قال ذلك قبل أمره إيانا بالإستغفار لئلا يقنط أحد من رحمة الله لعظم ذنب ارتكبه.

قوله: «**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم**» إلى آخره ..

فيه ما يدل على أن تقوى المتقين رحمة لهم وأنها لا تزيد في ملكه شيئًا.

وأما قوله: «**لو أنَّ أوَّلكم وآخرَكُم وإنسَكُم وجنَّكُم قاموا في صعيد واحد**».

إلى آخره ففيه تنبيه الخلق على أن يعظموا المسألة ويوسعوا الطلب، ولا يقتصر سائل ولا يختصر طالب؛ فإن ما عند الله لا ينقص، وخزائنه لا تنفد، فلا يظن ظان أن ما عند الله يغيضه الإنفاق كمال قال ﷺ في الحديث الآخر: «**يدُ الله مَلْأَى لا يغُيضُها نفقةٌ سَحَاء الليلِ والنَّهار أرأيتُم مَا أنفَقَ منذُ خلقَ السَّمواتِ والأرضَ فإنَّه لم يغضْ مَا في يَمينه**» وسر ذلك أن قدرته صالحة للإيجاد دائما لا يجوز عليها عجز ولا قصور والممكنات لا تنحصر ولا تتناهى.

وقوله: «**إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر**».

هذا مثل قصد به التقريب إلى الأفهام بما نشاهده، والمعنى: أن ذلك لا ينقص مما عنده شيئا والمخيط. بكسر الميم وإسكان الخاء وفتح الياء.: هو الإبرة.

وقوله: «**إنَّما هي أعمالُكم أُحصيهَا لَكُم، ثُمَّ أُوفِيكُم إيَّاهَا فمن وَجدَ خيرًا فليحمد الله**».

يعني لا يسند طاعته وعبادته من عمله لنفسه بل يسندها إلى التوفيق ويحمد الله على ذلك.

وقوله: «**ومن وجد غير ذلك**».

لم يقل ومن وجد شرًا يعني: ومن وجد غير الأفضل.

«**فَلَا يَلُومَنَّ إلَّا نفسَهُ**» أكد ذلك بالنون تحذيرا أن يخطر في قلب عامل أن اللوم تستحقه غير نفسه، والله أعلم[١].

(١) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص:٨٠).

تعظيم الصحابة والسلف الصالح لله عزوجل

وقال ابن رجب أيضًا: «وكان خلفاءُ الرسلِ وأتباعُهم من أمراءِ العدلِ وأتباعِهم وقضاتِهم لا يَدْعُونَ إلى تعظيمِ نفوسِهم البتةَ، بل إلى تعظيمِ اللهِ وحدَه، وإفرادِه بالعبوديةِ والإلهيةِ، ومنهم من كان لا يريدُ الولايةَ إلا للاستعانةِ بها على الدعوةِ إلى اللهِ وحدَه.

وكانتِ الرسلُ وأتباعُهم يصبرونَ على الأَذَى في الدعوةِ إلى اللهِ ويتحمَّلُونَ في تنفيذِ أوامرِ اللهِ من الخلقِ غايةَ المشقةِ وهم صابرونَ بل راضونَ بذلك، كما كان عبدُ الملكِ بنُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ رحمه الله يقولُ لأبيهِ في خلافَتِه: «إذا حُرِصَ على تنفيذِ الحقِّ وإقامةِ العدلِ يا أبتِ لوددتُ أني غَلَتْ بي وبك القدورُ في اللهِ عزوجل».

وقال بعضُ الصالحينَ: وددتُ أنَّ جِسْمِيَ قُرِّضَ بالمقاريضِ، وأن هذا الخلقَ كلَّهم أطاعُوا اللهَ عزوجل» ومعنى هذا أن صاحبَ ذلك القولِ قد يكونُ لَحَظَ نُصْحَ الخلقِ والشفقةَ عليهم من عذابِ اللهِ، وأحبَّ أن يَقِيَهم من عذابِ اللهِ بأذى نفسِه، وقد يكونُ لَحَظَ جلالَ اللهِ وعظمَتِه وما يستحِقُّه من الإجلالِ والإكرامِ والطاعةِ والمحبةِ، فودَّ أنَّ الخلقَ كلَّهم قامُوا بذلك، وإن حَصَلَ لَهُ في نفسِه غايةُ الضَّررِ»[(١)].

* * *

(١) شرح حديث: «ما ذئبان جائعان..» (ص: ١٩).

حقيقةُ التعظيمِ:

عن ابن السماكِ قال: أوصاني أخي داودُ بوصيةٍ قال: انظر، أن لا يراك اللهُ حيث نهاك، وأن لا يفقدك حيثُ أمرَكَ؛ واستحِ في قربِه منك، وقدرتِه عليك(١).

وقال رجلٌ لوهيبِ بن الوردِ: عِظْنِي، قال: اتقِ أن يكونَ اللهُ أهون الناظرينَ إليك(٢).

قل عليَّ رقيبُ:

عن أحمدَ بنِ حنبلَ رحمه الله تعالى قال:

إذا ما خلوتَ الدهْرَ يومًا فلا تَقُلْ ... خلوتُ ولكنْ قلْ عَلَيَّ رقيبُ

ولا تحسبَنَّ اللهَ يُغْفِلُ ما مَضَى ... وأن الذي يُخْفَى عليه يغيبُ

لهوْنَا عن الأيامِ حتى تَتَابَعَتْ ... ذنوبٌ على أثارهنَّ ذنوبُ

فيا ليتَ اللهَ يغفرُ ما مضى ... ويأذنُ لي في توبةٍ فأتوبُ

حبُّ القرآنِ:

عن سفيانَ بن عيينةَ قال: لا تبلُغُوا ذِروةَ هذا الأمر، إلا حتَّى لا يكونُ شيءٌ أحبَّ إليكم من اللهِ؛ ومن أحبَّ القرآنَ، فقد أحبَّ اللهَ؛ افقهوا ما يقالُ لكم(٣).

لذةُ المحبة:

قال إبراهيمُ بنُ أدهمَ: لو علِمَ الناسُ لذةَ حبِّ اللهِ: لقلَّتْ مطاعِمُهم،

---

(١) الحلية (٧/٣٥٨).

(٢) الحلية (٨/١٤٢).

(٣) الحلية (٧/٢٧٨).

ومشارِبِهم، وحرصُهم، وذلك أنَّ الملائكةَ: أحبُّوا اللهَ، فاستغْنَوْا بذكرِهِ عن غيرِه[١].

جنة الدنيا:

عن أبي الدرداءِ رضي الله عنه أنه قال: لولا ثلاثُ خلالٍ، لأحببتُ أن لا أبقَى في الدنيا؛ قيلَ: وما هنَّ؟ فقال: لولا وضوعُ وجهِي للسجودِ لخالِقِي في اختلافِ الليلِ والنهارِ، يكونُ تقدمةً لحياتِي، وظمأُ الهواجرِ، ومقاعدةُ أقوامٍ ينتقونَ الكلامَ كما تُنتقى الفاكهةُ.

قال أبو نعيم: وتمامُ التقوى: أن يتقيَ اللهَ عزوجل العبدُ، حتى يتقيَه في مثلِ مثقالِ ذرةٍ، حتى يتركَ بعضَ ما يَرَى أنَّه حلالٌ خشيةَ أن يكونَ حَرَامًا، يكونُ حاجزًا بينه وبين الحرامِ؛ إن اللهَ تعالى قد بَيَّنَ لعبادِه الذي هو يُصَيِّرُهم إليه؛ قال تعالى: ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾ [الزلزلة:٧-٨]. فلا تَحْقِرَنَّ شيئًا من الشرِّ أن تتقِيَهُ، ولا شيئًا من الخير أن تفعَلَه[٢].

تفكيرُ الحسينِ:

عن الحسنِ قال: تَفَكُّرُ ساعةٍ، خيرٌ من قيامِ ليلةٍ[٣].

أفضلُ العبادةِ:

عن عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ قالَ: الكلامُ بذكرِ اللهِ حسنٌ، والفكرةُ في نعمِ اللهِ أفضلُ

---

(١) الحلية (٨١/١٠).
(٢) الحلية (٢١٢/١).
(٣) الحلية (٢٧١/٦).

عبادةٍ[١].

الفكرُ أولاً:

عن وهبِ بن مُنَبِّهٍ قال: ألم يفكِّر ابنُ آدمَ، ثمَّ يَتَفَهَّمُ ويعتبرُ، ثم يُبْصِرُ، ثم يعقِلُ ويتفقَّهُ حتى يعلَمَ؟ فيتبيَّنُ له: أنَّ للهِ حلمًا: به يخلقُ الأحلامَ، وعلمًا: به يعلمُ العلماءَ، وحكمةً: بها يُتْقِنُ الخلقَ، ويدبِّرُ بها أمورَ الدنيا والآخرةِ؛ فإنَّ ابن آدمَ، لن يبلغَ بعلْمِه المقدرِ علمَ اللهِ الذي لا مقدارَ له، ولن يبلغَ بحلمِه المخلوقِ حلمَ اللهِ الذي بِهِ خلقَ الخلقَ كله، ولن يبلغَ بحكمتِه حكمةَ اللهِ: التي بها يتقنُ الخلقَ، ويُقَدِّرُ المقاديرَ؛ وكيف يُشْبِهُ ابنُ آدمَ ربَّ ابنِ آدمَ؟ وكيف يكونُ المخلوقُ كمن خَلَقَهُ؟[٢].

احذر سَخَطَ ربِّك:

وعن سفيانَ الثوريِّ، قالَ: احذرْ سَخَطَ اللهِ في ثلاثٍ: احذرْ أنْ تُقَصِّرَ فيما أمرَك، واحذرْ أن يَرَاكَ وأنتَ لا تَرْضَى بما قَسَمَ لك، وأن تطلبَ شيئًا من الدنيا فلا تَجِدْهُ، أن تسخَطَ على ربِّكَ[٣].

تأملاتٌ:

عن جعفرَ بنِ سليمانَ قال: سمعتُ خليفةَ العبديَّ يقولُ: لو أنَّ اللهَ لم يُعْبَدْ إلا عن رؤيةٍ، ما عبدَهُ أحدٌ؛ ولكنْ المؤمنونَ تفكَّرُوا في مجيءِ هذا الليلِ إذا جاءَ، فَمَلَأَ كلَّ شيءٍ وغَطَّى كلَّ شيءٍ، وفي مَجِيءِ سلطانِ النهارِ إذا جاءَ، فمَحَا سلطانَ الليلِ؛ وفي

(١) الحلية (٣١٤/٥).
(٢) الحلية (٢٣/٤-٢٤).
(٣) نزهة الفضلاء (٦٩٧/١).

السَّحابِ المسخَّرِ بين السماءِ والأرضِ، وفي النجومِ، وفي الشتاءِ، وفي الصيفِ؛ واللهِ ما زَالَ المؤمنونَ يتفكَّرُونَ فيما خلقَ ربُّهم، حتى أيقنَتْ قلوبُهم بربِّهم؛ وحتَّى كأنَّما عبدوا الله تعالى عن رؤيةٍ[١].

عبادةُ أبي الدرداءِ:

عن عونِ بنِ عبدِ اللهِ قالَ: سألتُ أمَّ الدرداءِ: ما كان أفضلُ عملِ أبي الدرداءِ؟ قالت: التفكرُ والاعتبارُ[٢].

تفكُّرُ داودَ الطائيِّ:

عن عبدِ الأعلى بنِ زيادٍ الأسلميِّ قال: رأيتُ داودًا الطائيَّ يومًا، قائمًا على شاطئِ الفراتِ، مبهوتًا؛ فقلتُ: يا أبا سليمانَ، ما يوقِفُك هنا؟ قال: انظُرْ إلى الفُلْكِ، كيفَ تجرِي في البحرِ مسخراتٍ بأمرِ اللهِ تعالى[٣].

كيفيةُ التعاملِ مع الأسبابِ:

وقال بنانٌ الحمالُ: رؤيةُ الأسبابِ على الدوامِ قاطعةٌ عن مشاهدةِ المسبِّبِ، والإعراضُ عن الأسبابِ جملةً، يؤدِّي بصاحِبِه إلى ركوبِ الباطلِ[٤].

لو كُشِفَ الغطاءُ:

وعن أحمدَ بن أبي الحواريِّ، قال: كُنتُ أسمعُ وكيعًا يبتدئُ قبلَ أن يُحَدِّثَ فيقولُ:

---

(١) الحلية (٦/٣٠٣).
(٢) الحلية (٤/٢٥٣).
(٣) (٧/٣٥٦).
(٤) نزهة الفضلاء (٣/١١٦٩).

ما هنالِك إلا عفوُه، ولا نعيشُ إلا في سترِه، ولو كُشِفَ الغطاءُ لكُشِفَ عن أمرٍ عظيمٍ(١).

كيفيةُ المراقبةِ:

سُئِلَ عبدُ اللهِ بن فاتكٍ عن المراقبةِ فقال: إذا كنتَ غافلًا: فانظُرْ نَظَرَ اللهِ إليك؛ وإذا كنتَ قائلًا: فانظر سَمْعَ اللهِ إليك؛ وإذا كنتَ ساكتًا: فانظُرْ علمَ اللهِ فيكَ قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٦](٢).

* * *

(١) نزهة الفضلاء (٢/٩٨٧).
(٢) الحلية (١٠/٣٥٨).

أثرُ الذنوبِ والمعاصِي في ضَعْفِ تعظيمِ اللهِ في القلبِ

قالَ الإمامُ ابنُ القيمِ: «ومن عُقُوباتِها ـ أي الذنوبُ والمعاصي ـ أنها تُضْعِفُ في القلبِ تعظيمَ الربِّ جلَّ جلالُه وتضعِفُ وقَارَهُ في قلبِ العبدِ ولا بدَّ شاءَ أم أبى، ولو تَمَكَّنَ وقَارُ اللهِ وعظمتُه في قلبِ العبدِ لما تجرَّأَ على معاصِيه.

وربَّما اغتَرَّ المغتَرُّ وقال إنما يحمِلُني على المعاصِي حسنُ الرجاءِ وطَمَعِي في عَفْوِهِ لا ضعفُ عظمتِه في قلبِي وهذا من مغالطةِ النفسِ؛ فإنَّ عظمةَ اللهِ تعالى وجلالَه في قلبِ العبدِ وتعظيمَ حرماتِه يحولُ بينَه وبينَ الذنوبِ، والمتجرِّؤنَ على معاصِيه ما قَدَرُوه حقَّ قدرِه، وكيفَ يَقْدُرُهُ حقَّ قدرِه أو يعظِّمُه أو يكَبِّرُه أو يرجُو وقارَه ويُجِلُّهُ من يهونُ عليهِ أمْرُهُ ونَهْيُهُ؛ هذا من أمحلِ المحالِ وأبينِ الباطلِ، وَكَفَى بالعاصِي عقوبةً أَنْ يَضْمَحِلَّ من قَلْبِهِ تعظيمُ اللهِ جلَّ جلالُه وتعظيمُ حرماتِه، ويهونَ عليهِ حَقُّهُ.

ومن بعضِ عقوبةِ هذا أن يرفَعَ اللهُ عزَّ وجلَّ مهابَتَهُ من قلوبِ الخلقِ ويهونُ عليهم ويستخِفُّونَ به كما هَانَ عليه أَمْرُهُ واستَخَفَّ به، فعلى قدرِ محبةِ العبدِ للهِ يحِبُّهُ النَّاسُ، وعلى قَدْرِ خَوْفِهِ منَ اللهِ يخافُهُ الناسُ، وعلى قدرِ تعظِيمِه للهِ وحرماتِه يُعَظِّمُ الناسُ حرمَاتِهِ.

وكيفَ يَنْتَهِكُ عبدٌ حرماتِ اللهِ ويطمَعُ أنْ لا يَنْتَهِكَ الناسُ حرماتِه، أم كيفَ يهونُ عليهِ حقُّ اللهِ ولا يُهَوِّنُهُ اللهُ على الناسِ، أم كيفَ يستخِفُّ بمعاصِي اللهِ ولا يستخِفُّ به الخلقُ.

وقدْ أشارَ سبحانَهُ إلى هذا في كتابِهِ عندَ ذِكْرِ عقوباتِ الذنوبِ وأنَّهُ أَرْكَسَ أربابَها بما كَسبُوا، وغَطَّى على قلوبِهم وطَبَعَ عليها بذنوبِهم، وأنَّه نسيَهُمْ كما نَسُوهُ، وأهانَهُمْ

كما أهانُوا دينَه، وضَيَّعَهُم كما ضَيَّعُوا أمرَهُ؛ ولهذا قال تعالى في آيةِ سجودِ المخلوقاتِ له: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [الحج:١٨]؛ فإنَّهم لما هانَ عليهِمُ السجودُ له واستَخَفُّوا بِهِ ولم يَفْعَلُوهُ، أهانَهُم فلم يَكُنْ لهم مِنْ مُكْرِمٍ بعدَ أنْ أهانَهُمْ، ومَنْ ذا يُكْرِمُ من أهانَهُ اللهُ أو يُهِنْ من أَكْرَمَ»(١).

* * *

(١) الجواب الكافي (١/٤٦).

عشرةُ وسائل لتعظيم الله عزوجل

لا شكَّ أن تعظيمَ اللهِ عزوجل من أجلِ العباداتِ القلبيةِ التي تَظْهَرُ آثارُها على الجوارحِ من خلالِ المسارعةِ إلى كلِّ ما يُحِبُّهُ اللهُ ويرضَاهُ منَ الأقوالِ والأفعالِ الظاهرةِ والباطنةِ. فلولا وجودُ نوعِ تعظيمٍ للهِ عزوجل في القلبِ لما صبرَ الناسُ على طاعةِ اللهِ، وعن معصيةِ اللهِ، وعلى أقدارِ اللهِ المؤلمةِ.

وعلى قَدْرِ تعظيمِ اللهِ تعالى في القلبِ يكونُ إحسانُ العبادةِ وإتمامُها وإكمالُها وإتقانُها.

وهناك وسائل كثيرة لتعظيمِ اللهِ تعالى منها:

١- إفرادُ اللهِ سبحانَه بالوحدانيةِ:

فيشهد العبدُ انفرادَ اللهِ تعالى بالخلقِ والحُكْمِ، وأن ما شاء كان وما لم يشأْ لم يكنْ، وأنه لا تتحركُ ذرةٌ إلا بإذنِه، وأنَّ الخلقَ مقهورونَ تحتَ قبضَتِهِ، وأنه ما من قلبٍ إلا وهو بين أصبعينِ من أصابِعِهِ، إنْ شاءَ اللهُ أن يُقِيمَهُ أقَامَهُ، وإنْ شاءَ أن يُزِيغَهُ أزَاغَهُ، فالقلوبُ بيدِهِ، وهو مُقَلِّبُهَا ومُصَرِّفُهَا كيفَ شاءَ وكيفَ أرادَ، وأنَّه هو الذي آتى نفوسَ المؤمنينَ تَقْوَاهَا، وهو الذي هَداهَا وزَكَّاهَا، وأَلْهَمَ نُفوسَ الفُجَّارِ فُجُورَهَا وَأَشْقَاهَا، من يهدِ اللهَ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بفضْلِهِ ورحمَتِهِ، ويُضِلُّ من يشاءُ بعدلِهِ وحِكْمَتِهِ ﴿**لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**﴾ [الأنبياء:٢٣]»[(١)].

(١) مدارك السالكين (٢/٤١٢).

فإذا شاهدَ العبدُ ذلك، واستقرَّ في قلبِهِ إفرادُ اللهِ تعالى بالوحدانيةِ، فأوْرَثَه ذلك ـ ولا بدَّ ـ تعظيمَ اللهِ عزوجل، وانتقلَ من توحيدِ الربوبيةِ إلى توحيدِ الألوهيةِ، فاتخذ اللهَ وحدَه إلهًا ومعبودًا، وأحبَّ ما يحبُّه الله، وأبغضَ ما يبغضُه اللهُ، وأعطى للهِ، ومنع للهِ، ووالى في اللهِ، وعادى في اللهِ، فهذا التوحيدُ هو الذي من أجلِهِ أُرْسِلَتِ الرُّسلُ، وأُنْزِلَتِ الكتبُ، وخُلِقَ الخلقُ، وقَامَتْ سوقُ الجهادِ على ساقٍ.

قال ابنُ القيمِ رحمه الله في منزلةِ التعظيمِ: «هذه المنزلةُ تابعةٌ للمعرفةِ، فعلى قَدْرِ المعرفةِ يكونُ تعظيمُ الربِّ تعالى في القلبِ، وأعرفُ الناسِ به، أشدُّهم له تعظيمًا وإجلالًا، وقد ذمَّ اللهُ تعالى من لم يُعَظِّمْه حقَّ عظمتِه، ولا عرفَه حقَّ معرفتِه، ولا وَصَفَهُ حقَّ صِفَتِه، فقال: ﴿**مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا**﴾ [نوح:١٣]، قال ابنُ عباسٍ ومجاهدٌ: «لا ترجُونَ للهِ عظمةً». وقال سعيدُ بنُ جبيرٍ: «ما لكم لا تعظِّمُونَ اللهَ حقَّ عظمَتِه»[1].

٢- تدبُّر معاني أسماءِ اللهِ تعالى وصفاتِه:

فأسماءُ اللهِ تعالى كلُّهَا حُسْنَى، وكلُّها تدلُّ على الكمالِ المطلقِ، والحمدِ المطلقِ، وكلُّهَا مشتقةٌ من أوصَافِها، فتدبرُ معاني هذه الأسماءِ وما تُوجِبُهُ من آثارٍ من وسائلِ تعظيمِ اللهِ عزوجل قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾[الأعراف:١٨٠]، وقد ثبتَ في الصحيحينِ[2] من حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «**إنَّ للهِ تسعةً وتسعينَ اسمًا، مائةً إلا واحدًا، من أَحْصَاهَا دخلَ الجنةَ**» أي من حَفِظَهَا

(١) المصدر السابق (٢/٤٩٥).

(٢) رواه البخاري (٢٥٣١)، ومسلم (٤٨٣٦).

وفهمَ معانِيها ومدلولَها، وأثْنَى على اللهِ بها، وسأَلَهُ بها، واعْتَقَدَها دخلَ الجنةَ، والجنةُ لا يدخُلُها إلا المؤمنونَ، فعُلِمَ أنَّ ذلك أعظمُ ينبوعٍ ومادةٍ لحصولِ الإيمانِ وقوتِهِ وثباتِهِ(١).

٣- تدبر القرآن:

قال تعالى: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ**﴾ [الزمر:٢٣]، فهذا دليلٌ على أن تدبرَ القرآنِ العظيمَ يورثُ الخشيةَ والتعظيمَ للهِ سبحانه وتعالى، قال ابنُ القيمِ: «فليسَ شيءٌ أنفعُ للعبدِ في معاشِه ومعادِه، وأقربُ إلى نجاتِه من تدبرِ القرآنِ، وإطالةِ التأملِ فيه، وجمعِ الفكرِ على معانِي آياتِهِ، فإنَّها تُطْلِعُ العبدَ على معالمِ الخيرِ والشرِّ بحذافِيرِها، وعلى طرقَاتِهِمَا وأسبابِهِمَا وغاياتِهِمَا وثمراتِهِمَا، ومآلِ أهلِهِمَا، وتُتِلُّ في يدِهِ(٢) مفاتيحَ كنوزِ السعادةِ والعلومِ النافعةِ، وتُثَبِّتُ قواعدَ الإيمانِ في قلبِهِ، وتُشَيِّدُ بنيانَه، وتُوَطِّدُ أركانَه، وتُرِيهِ صورةَ الدنيا والآخِرَةَ، والجنةِ والنارِ في قلبِه، وتُحْضِرُه بينَ الأممِ، وتُرِيهِ أيَّامَ اللهِ فيهم، وتبصِّرُه مواقِعَ العِبَرِ، وتُشْهِدُهُ عدلَ اللهِ وفَضْلِهِ، وتُعَرِّفُهُ ذاتَهُ، وأَسْمَاءَهُ وصِفَاتِهُ وأَفْعَالَهُ، وما يحبُّهُ وما يبغضُه، وصراطَه الموصِّلَ إليه، وما لسالِكِيه بعدَ الوصولِ والقدومِ عليه، وقواطعَ الطريقِ وآفاتِها»(٣).

وقد قال الله تعالى في وصفِ كتابِه: ﴿**لَوْ أَنزلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ**﴾ [الحشر:٢١]، فإذا كانَ هذا تأثيرُ القرآنِ على الجبالِ، فكيفَ يكونُ تأثيرُه على قلبِ المؤمنِ؟ قال جعفرُ: «سمعتُ مالكَ بن دينارٍ قرأَ:

---

(١) شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة (ص:٣-٤).

(٢) تتل في يده: تلقيه.

(٣) مدار السالكين (١/٤٥٠).

﴿لَوْ أَنزلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ..﴾ الآية، ثم قالَ: أقسمُ لكم لا يؤمنُ عبدٌ بهذا القرآنِ إلا صُدِعَ قلبُه»[١].

وعن ثابتٍ البنانيِّ أنه قرأ: ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ [الهمزة:٧]، قال: تأكلُه إلى فؤادِه وهو حيٌّ، ثم بكَى وأبكَى من حَوْلَه[٢].

٤- التفكرُ في آلاءِ اللهِ وعظيمِ نعمِه:

قال ابنُ القيمِ: «فجديرٌ بمن له مُسْكَةٌ من عقلٍ[٣] أن يسافرَ بفكرِه في هذه النعمِ والآلاءِ، ويكررُ ذكرَهَا، لعلَّه يوقِفُه على المرادِ منها ما هو، ولأيِّ شيءٍ خُلِقَ، ولماذا هُيِّئَ، وأيُّ أمرٍ طُلِبَ منه على هذه النعمِ، كما قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:٦٩]، فَذِكْرُ آلائِه تبارك وتعالى ونعمِه على عبدِه سببُ الفلاحِ والسعادةِ لأن ذلك لا يزيدُه إلا محبةً للهِ وحمدًا وشكرًا وطاعةً»[٤].

٥- التأملُ في ملكوتِ السمواتِ والأرضِ:

وهذا أيضًا من أعظمِ وسائلِ تعظيمِ اللهِ تعالى، وقدْ ربطَ القرآنُ بين هذا التأملِ وبين تعظيمِ اللهِ تعالى فقال: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[آل عمران:١٩٠-١٩١].

(١) الحلية (٢/٣٧٨).
(٢) السابق (٢/٣٢٣).
(٣) مسكة من عقل: بقية.
(٤) مفتاح دار السعادة (١/٢٢٩).

وقد ذكر ابنُ القيمِ رحمه الله أن الربَّ تعالى يدعو عبادَه في القرآنِ إلى معرفَتِه من طريقينِ:

أحدهما: النظرُ في مفعولاتِه.

والثاني: التفكرُ في آياتِه وتدبرُها[١].

وقال رحمه الله: والنظرُ في هذه الآياتِ وأمثالِها نوعانِ: نظرٌ إليها بالبصرِ الظاهرِ، فَيَرى . مثلًا . زُرقةَ السماءِ ونجومَها وعلوَّها وسَعَتَها، وهذا نظرٌ يشاركُ الإنسانُ فيه غيرَه من الحيواناتِ، وليسَ هو المقصودُ بالأمرِ.

والثاني: أن يتجاوزَ هذا إلى النظرِ بالبصيرةِ الباطنةِ، فتفتحُ له أبوابُ السماءِ، فيجولُ في أقطارِها وملكوتِها وبين ملائِكَتِها.

ثم يفتحُ له بابٌ بعد بابٍ، حتى ينتهيَ به سَيْرُ القلبِ إلى عرشِ الرحمنِ، فينظرُ سَعَتَه وعظمتَهُ وجلالَهُ ومجدَهُ ورفعَتَهُ، ويرَى السمواتِ السبعَ والأرضينَ السبعَ بالنسبةِ إليهِ كحلقةٍ ملقاةٍ بأرضِ فلاةٍ. ويَرَى الملائكةَ حافِّينَ من حَوْلِه، لهم زَجَلٌ بالتسبيحِ والتحميدِ والتقديسِ والتكبيرِ، والأمرُ ينزلُ من فوقِه بتدبيرِ الممالكِ والجنودِ التي لا يعلَمُهَا إلا ربُّها ومليكُها. فينزلُ الأمرُ بإحياءِ قومٍ وإماتةِ آخرينَ، وإعزازِ قومٍ وإذلالِ آخرينَ، وإسعادِ قومٍ وشقاوةِ آخرينَ، وإنشاءِ مُلْكٍ وسَلْب مُلْكٍ، وتحويلِ نعمةٍ من مَحَلٍّ إلى محلٍّ، وقضاءِ الحاجاتِ على اختلافِها وتباينِها وكثرتِها؛ من جبرِ كسيرٍ، وإغناءِ فقيرٍ، وشفاءِ مريضٍ، وتفريجِ كربٍ، ومغفرةِ ذنبٍ، وكشفِ ضرٍّ، ونصرِ مظلومٍ، وهدايةِ حيرانَ، وتعليمِ جاهلٍ، وردِّ آبقٍ، وأمانِ خائفٍ، وإجارةِ مستجيرٍ، ومددٍ لضعيفٍ،

(١) الفوائد (ص:٤٠).

وإغاثةٍ لملهوفٍ وإعانةٍ لعاجزٍ، وانتقامٍ من ظالمٍ، وكفٍّ لعدوانٍ... فحينئذٍ يقومُ القلبُ بين يديِ الرحمنِ مُطرقًا لهيبتِه، خاشِعًا لعظمتِه، عانٍ لعزَّتِه، فيسجدُ بينَ يدَيِ الملكِ الحقِّ المبينِ سجدةً، لا يرفعُ رأسَهُ منها إلى يومِ المزيدِ(١).

٦- تعظيمُ شعائرِ اللهِ وحرماتِه:

فإذا عظَّمَ العبدُ ما عظَّمَه اللهُ تبارك وتعالى، امْتَلأَ قلبُه بالتعظيمِ لله والخشيةِ منه، كما قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾ [الحج:٣٢]، وكانَ من شدةِ تعظيمِ السلفِ لله لأ، أنَّهم كانوا يبكُونَ إذا خُولِفَ أمرُ اللهِ سبحانه وتعالى من غيرِهم، فعن ربيعِ بن عتابٍ قال: كنتُ أمشِي مع زيادِ بن جريرٍ، فسَمِعَ رَجُلًا يحلِفُ بالأمانَةِ. قال: فنظرتُ إليه وهو يبكِي قلت: ما يبكِيكَ؟ فقال: أما سَمِعْتَ هذا يحلفُ بالأمانةِ؟ فَلَئَنْ تُحَكُّ أحشَائي حتى تُدْمَى أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بالأمانةِ(٢).

وكان عمرُ بنُ ذرٍّ يقولُ: آنَسكَ جانبُ حِلْمِهِ فتوثَّبْتَ على معاصِيه! أَفَأَسَفَه تريدُ؟ أما سمعتَه يقولُ: ﴿**فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ**﴾ [الزخرف:٥٥].

أيُّها الناسُ: أَجِلّوا مقامَ اللهِ بالتنزُّهِ عما لا يحلُّ، فإنَّ اللهَ لا يؤمنُ إذا عُصِي(٣).

٧- التأملُ في سننِ اللهِ عزوجل:

ومن وسائلِ تعظيمِ الله لأ: التأملُ في سننِه التي لا تتبدلُ ولا تتغيرُ ومن هذهِ

(١) مفتاح دار السعادة (١/١٩٩).
(٢) الحلية (٤/١٩٦).
(٣) الحلية (٥/١١١).

السننِ:

سُنَّةُ الدفْعِ: ﴿**فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ**﴾ [البقرة:٢٥١].

وسُنَّةُ التداولِ: ﴿**إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**﴾ [آل عمران:١٤٠].

وسنةُ الابتلاءِ: ﴿**أَلم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾ [العنكبوت:١-٣].

وسنةُ التغييرِ: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوامَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ**﴾ [الرعد:١١].

وسنةُ نصرِ المؤمنينَ إذا حَقَّقُوا الشرطَ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾ [محمد:٧]، وغير ذلك من السنن.

فلا شكَّ أنَّ التأملَ في هذهِ السننِ وغيرِها مما يورثُ تعظيمَ اللهِ في القلوبِ، لأنه يؤدِّي إلى حقيقةٍ مفادُها أنَّ لهذا الكونِ إلهًا عظيمًا قادرًا، له مقاليدُ كلِّ شيءٍ، ولا يُعْجِزُهُ شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ، غيرَ أنه سبحانه وتعالى قد سَيَّرَ هذا الكونَ بما فيه وَفْقَ نظامٍ مُحكمٍ وقوانينَ ثابتةٍ لا تتبدلُ ولا تتغيرُ.

٨- معرفةُ بعضِ جوانبِ الإعجازِ العلميِّ في القرآنِ والسنةِ:

ومثالُ ذلكَ قولُ اللهِ تعالى: ﴿**وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ**﴾ [الطارق:١٢]، قال

الدكتور زغلولُ النجارُ: «من الآياتِ الوصفيةِ المبهرةِ قولُ الحقِّ تبارك وتعالى في سورةِ الطارقِ: ﴿**وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ**﴾ فهذا قسمٌ عظيمٌ لحقيقةٍ كونيةٍ مبهرةٍ لم يُدْرِكْها العلماءُ إلَّا في النِّصفِ الأخيرِ من القرنِ العشرينَ.

فالأرضُ التي نَحْيَا عليها لها غلافٌ صَخْرِيٌّ خارجيٌّ، هذا الغلافُ مُمَزَّقٌ بشبكةٍ هائلةٍ من الصُّدوعِ، تمتدُّ لمئاتِ الآلافِ من الكيلومتراتِ طولًا وعرضًا، بعمقٍ يتراوحُ ما بين ٦٥ كيلومترًا و ١٥٠ كيلومترًا في كلِّ الاتجاهات.

ومن الغريبِ أن هذه الصدوعَ مرتبطةٌ ببعضِها البعضِ ارتباطًا يجعلُها كأنَّها صدعٌ واحدٌ، يُشَبِّهُهُ العلماءُ باللِّحامِ على كرةِ التنسِ.

وانطلاقًا من ذلك يُقْسِمُ اللهُ تعالى بهذه الحقيقةِ الكونيةِ المبهرةِ، التي لم يَسْتَطِعْ العلماءُ أن يدركُوا أبعادَها إلا بعدَ الحربِ العالميَّةِ الثانِيَةِ، واستمرتْ دراستُهم لها لأكثر من عشرينَ سنةً متصلةً من ١٩٤٥م– ١٩٦٥م حتى استطاعُوا أن يرسمُوا هذه الصدوعَ بالكاملِ، والقرآنُ الكريمُ كانَ قد سبقَ إدراكَهم بأكثرِ من ألفٍ وأربعمائةٍ من السنينَ بقولِ الحقِّ تبارك وتعالى: ﴿**وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ**﴾»[1].

فلا شكَّ أنْ تأمُّلَ مثلَ هذهِ الحقائقِ العلميةِ الموافقةِ للقرآنِ الكريمِ مما يُقَوِّي جانبَ تعظيمِ اللهِ سبحانه وتعالى في النفسِ.

٩- التأملُ في دلائلِ الحكمةِ الإلهيةِ:

فهو سبحانه وتعالى الحكيمُ الذي بَهَرَتْ حكمتُه الألبابَ، وهو سبحانه لم يَخْلُقْ شيئًا عبثًا ولا سدىً، وله الحكمةُ البالغةُ في كلِّ ما قدَّرَهُ وقَضَاهُ من خيرٍ وشرٍّ وطاعةٍ

(١) من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (ص:٨٣-٨٤)، باختصار يسير.

ومعصيةٍ، وحِكَمُهُ سبحانه باهرةٌ تَعْجَزُ العقولُ عن الإحاطةِ بكُنْهِها، وتَكِلُّ الألسنُ عن التعبيرِ عنها.

وللهِ فـي كـلِّ تحريكـةٍ وتسـكينةٍ أبـدًا شـاهدُ
وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ تـدلُّ علـى أنـه واحـدُ

وحظُّ العبدِ في نفسِه وما يخصُّه من شهودِ هذهِ الحكمةِ فبحَسَبِ استعدادِه وقوةِ بصيرتِه، وكمالِ علمِه ومعرفتِه باللهِ وأسمائِه وصفاتِه، ومعرفتِه بحقوقِ العبوديةِ والربوبيةِ. وكلُّ مؤمنٍ له من ذلك شِربٌ معلومٌ، ومقامٌ لا يتعدَّاه ولا يتخطَّاه، واللهُ الموفقُ والمعينُ[1].

١٠- محاسبةُ النفسِ:

من وسائلِ تعظيمِ اللهِ عزوجل: «محاسبةُ النفسِ» وذلكَ لأنَّ من أركانِ المحاسبةِ المقايسةِ بينَ ما كانَ من اللهِ من نعمٍ وإمهالٍ وسِترٍ وإفضالٍ وما من العبدِ من غفلةٍ وجهلٍ ومعصيةٍ.

قال ابنُ القيمِ: «وبهذه المقايسةِ تعلمُ أن الربَّ ربٌّ والعبدَ عبدٌ، ويتبينُ لك حقيقةُ النفسِ وصفاتِها، وعظمةُ جلالِ الربوبيةِ، وتفرُّدُ الربِّ بالكمالِ والإفضالِ، وأنَّ كلَّ نعمةٍ منه فضلٌ، وكلَّ نقمةٍ منه عدلٌ، وأنتَ قبلَ هذه المقايسةِ جاهلٌ بحقيقةِ نفسِكَ، وبربوبيةِ فاطِرِها وخالِقِها...»[2].

* * *

(١) انظر: مدارج السالكين (١/٤١١-٤١٢).
(٢) مدارج السالكين (١/١٨٨).

من ثمراتِ تعظيمِ اللهِ عزوجل

هناكَ آثارٌ كثيرةٌ لتعظيمِ اللهِ عزوجل على القلوبِ والجوارحِ منها:

أ- على الفردِ:

١ - تحقيقُ التوحيدِ للهِ والسلامةُ من الشركِ ووسائلِه.

٢ - محبةُ اللهِ عزوجل المحبةَ الشرعيةَ.

٣ - الخوفُ من اللهِ عزوجل من غيرِ قنوطٍ.

٤ - الرجاءُ في اللهِ عزوجل مع حسنِ العملِ.

٥ - مراقبةُ اللهِ عزوجل في السرِّ والعلانيةِ.

٦ - التوكلُ على اللهِ في كلِّ الأمورِ معَ الأخذِ بالأسبابِ.

٧ - الثقةُ باللهِ عزوجل في أَحْلَكِ الظروفِ.

٨ - الثباتُ والطمأنينةُ واليقينُ في اللهِ عزوجل.

٩ - الحياءُ من اللهِ عزوجل.

١٠ - التبرؤُ من الحولِ والقوةِ وإظهارُ الافتقارِ إلى اللهِ عزوجل.

١١ - تحكيمُ شرعِ اللهِ عزوجل في كافةِ الأمورِ مع الرِّضَا والتسليمِ.

١٢ - حفظُ الضرورياتِ الخمسِ؛ وهيَ: الدينُ، والنفسُ، والعقلُ، والمالُ، والعرضُ.

١٣ - المسارعةُ إلى أداءِ الواجباتِ من صلاةٍ وزكاةٍ وصيامٍ وحجٍّ وبرٍ بالوالدينِ وصلةٍ للرحمِ وحسنِ خلقٍ.

١٤ -تركُ جميعِ المعاصي والمنكراتِ القوليةِ والعمليةِ والاعتقاديةِ.

١٥ -كثرةُ ذكرِ اللهِ عزوجل ودعائِه واستغفارِه وتلاوةِ كتابِه.

١٦ -الإكثارُ من ذكرِ الموتِ.

١٧ -قصرُ الأملِ.

١٨ -اتهامُ النفسِ دائمًا بالإهمالِ والتقصيرِ.

١٩ -ألَّا يَرَى لنفسِهِ على اللهِ حقًّا.

٢٠ -ألا يَشْكُو اللهَ عزوجل إلى خلقِه.

٢١ -ألا يُذِلَّ نفسَه لصاحبِ دنيا.

ب- على الأسرةِ:

لا شكَّ أنَّ الأسرةَ هي المنبعُ الأساسُ الذي يصدُرُ عنه كافَّةُ الأخلاقِ والسلوكياتِ والتصرفاتِ، سواءٌ أكانت أخلاقًا وسلوكياتٍ محمودةً أم مذمومةً.

ولذلكَ فإنَّ الأسرةَ إذا تربَّتْ ونشأَتْ على معانِي تعظيمِ اللهِ . ومراقبتِه في السرِّ والعلانيةِ، فإنَّ ذلك سوفَ يُنْتِجُ أفرادًا يتحلَّوْنَ بعُمْقِ الإيمانِ ومكارمِ الأخلاقِ، والوقوفِ عندَ حدودِ اللهِ .، وكبحِ جماحِ رغباتِ النفسِ وشهواتِها، والحذرِ من كلِّ ما يُغْضِبُ اللهَ . مهما كانتِ الظروفُ معينةً على المعصيةِ حاثَّةً على الوقوعِ فيها.

ومن ثمراتِ تعظيمِ اللهِ سبحانه في محيطِ الأسرةِ ما يلي:

١ - أداءُ الحقوقِ، سواءٌ حقُّ الوالدينِ، أو الزوجِ، أو الزوجةِ، أو الأولادِ، أو الخادمِ.

٢ – تربيةُ الأبناءِ على الأخلاقِ الكريمةِ والصفاتِ النبيلةِ.

٣ – تربيةُ الأبناءِ على مراقبةِ اللهِ وتعظيمِه في السرِّ والعلانيةِ.

٤ – تعظيمُ شأنِ الصلاةِ في محيطِ الأسرةِ.

٥ – مشاركةُ أفرادِ الأسرةِ في الأعمالِ الخيريَّةِ والأنشطةِ الاجتماعيةِ.

٦ – تطهيرُ البيتِ منَ الملاهِي والمنكراتِ والصُوَرِ.

٧ – المحافظةُ على الوقتِ لأنَّه في الحقيقةِ هو عُمُرُ الإنسانِ ورأسُ مالِه الذي يشترِي به مرضاةَ اللهِ والخلودَ في الجنةِ والنجاةَ من النارِ.

٨ – الإحسانُ إلى الجيرانِ وعدمُ إيذائِهم وتعاهُدِهِم بالتُّحَفِ والهدايا والزياراتِ.

٩ – ترتيبُ الأولوياتِ، وتقديمُ الفرائضِ على النوافلِ، وواجبِ الوقتِ على غيرِه.

١٠ –تعظيمُ أوامرِ اللهِ ونواهِيهِ ونصوصِ الكتابِ والسُّنَّةِ والانقيادِ التامِّ لها.

١١ –تربيةُ أفرادِ الأسرةِ على روحِ الإبداعِ والتفوقِ والتميُّزِ في كافَّةِ مجالاتِ الحياةِ، وهذا من الإحسانِ الذي أَمَرَنَا الله تعالى به: ﴿**وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [البقرة:١٩٥].

ج– من ثمراتِ تعظيمِ اللهِ على المجتمعِ:

إن المجتمعَ الذي يغلبُ على أفرادِه خشيةُ اللهِ تعالى وتعظيمُه في الغيبِ والشهادةِ يكثُرُ خيرُه، ويقلُّ شرُّه، وينتفعُ به القريبُ والبعيدُ، والقاصِي والداني، ويصبحُ قدوةً لغيرِه من المجتمعاتِ والشعوبِ، ومن ثمراتِ تعظيمِ اللهِ على المجتمعِ ما يلي:

١- **حفظُ الضرورياتِ الخمسِ** التي جاءَ الإسلامُ بحفظِها؛ وهي: الدينُ، والنفسُ، والعقلُ، والمالُ، والعرضُ.

٢- **التكافلُ الاجتماعِيُّ** بحيثُ لا يبقَى جائعٌ لا يجِدُ طعامًا، ولا مريضٌ لا يَجِدُ دواءً، ولا عَارٍ لا يَجِدُ لباسًا، ولا أُسرةٌ مهددَّةٌ بالطردِ من البيتِ، لأنَّ ربَّ الأسرةِ لا يَجِدُ قيمةَ إيجارِ البيتِ، أو قيمةَ ما تَسْتَهْلِكُهُ الأسرةُ من ماءٍ وكهرباء.

٣- **تعزيزُ الأخلاقِ الإسلامية** بينَ أبناءِ المجتمعِ، وتنفيرُ أبناءِ المجتمعِ من الأخلاقِ السيئةِ، وتكريمُ أهلِ التميزِ في هذا البابِ.

٤- **حملُ رايةِ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ** بالطرقِ الشرعيةِ التي تُثمرُ المطلوبَ من كثرةِ المعروفِ وطرقِ الخيرِ، وإماتةِ المنكراتِ أو تقليلِها.

٥- **محاربةُ البدعِ والمحدثات** المتعلقةِ بالعباداتِ والمعاملاتِ والسلوكِ، والرجوعُ بالناسِ إلى سماحةِ الإسلامِ وبساطَتِهِ.

٦- **إبرازُ أهلِ الخشيةِ والتعظيم** كنجومٍ للمجتمعِ ينبغي الاستفادةُ منهم، وفي مقدِّمَتِهم أهلُ العلمِ لقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فطر:٢٨].

٧- **إشاعةُ روحِ التناصحِ بين أبناءِ المجتمع** وبخاصةٍ في أسواقِ المسلمينَ، بحيثُ لا يوجدُ بين الناسِ غشٌّ ولا غررٌ ولا احتكارٌ.

٨- **رفضُ المجتمعِ لكافةِ الاستخداماتِ السلبيةِ لوسائلِ الإعلامِ والتقنيةِ**، والاقتصارُ على النافعِ والمفيدِ منها، ويدخلُ في ذلك الصحفُ والمجلَّاتُ والقنواتُ التلفزيونيةُ، والراديو والكمبيوتر، والانترنت والهاتفُ الجوالُ وغيرُ ذلك.

٩- تكاتفُ المجتمعِ في مجابهةِ المشكلاتِ الطارئةِ قبلَ أن تتفاقمَ ويستفحلَ خَطَرُها، ومن ذلك: العنوسةُ بين الفتياتِ، البطالةُ، المسكراتُ والمخدراتُ، التدخينُ، التشبُّهُ بالكفارِ، العنفُ والإرهابُ، العلاقاتُ المحرمةُ بين الجنسينِ.

١٠- العملُ على تقويةِ روابطِ الوحدةِ والألفةِ بين المسلمين في كلِّ مكانٍ، من أجلِ إقامةِ أمةٍ واحدةٍ قادرةٍ على الحفاظِ على هويةِ الأمةِ والدفاعِ عن كيانِها ضدَّ كافَّةِ الهجماتِ التي تُشَنُّ عليها.

* * *

المعاني الجامعة للأسماء الحسنى

وقال الشيخُ عبدِ الرحمنِ السعديِّ[(١)]:

«وقد تكررَ كثيرٌ من أسماءِ اللهِ الحسنى في القرآنِ بحسبِ المناسباتِ، والحاجةُ داعيةٌ إلى التنبيهِ إلى معانِيها الجامعةِ، فنقولُ:

قد تكرَّرَ اسمُ «الربِّ» في آياتٍ كثيرةٍ.

«**الربُّ**»: هو المربِّي جميعَ عبادِه بالتدبيرِ وأصنافِ النِّعمِ. وأخصُّ من هذا تربيتُه لأصفيائِهِ بإصلاحِ قلوبِهم وأرواحِهم وأخلاقِهم. ولهذا كَثُرَ دعاؤُهم له بهذا الاسمِ الجليلِ، لأنَّهم يطلبُونَ منه هذهِ التربيةَ الخاصَّةَ.

١- «**اللهُ**»: هو المألوهُ المعبودُ، ذو الألوهيةِ والعبوديةِ على خلقِهِ أجمعينَ، لما اتَّصفَ به من صفاتِ الألوهيةِ التي هي صفاتُ الكمالِ.

٢، ٣- «**الملكُ، المالكُ**»: الذي لهُ الملكُ فهو الموصوفُ بصفةِ الملكِ، وهي صفاتُ العظمةِ الكبرياءِ، والقهرِ والتدبيرِ، الذي له التصرفُ المطلقُ في الخلقِ والأمرِ والجزاءِ، وله جميعُ العالمِ العلويِّ والسفليِّ، كلُّهُم عبيدٌ ومماليكُ، ومضطرونَ إليه.

٤، ٥- «**الواحدُ، الأحدُ**»: وهو الذي تَوحَّدَ بجميعِ الكمالاتِ، بحيثُ لا يشارِكُهُ فيها مشارِكٌ، ويجبُ على العبيدِ تَوْحِيدُهُ، عقلًا، وقولًا، وعملًا، بأنْ يعترفُوا بكمالِهِ المطلقِ، وتفرُّدِه بالوحدانيةِ، ويفردُوه بأنواعِ العبادةِ.

٦- «**الصَّمَدُ**»: هو الذي يَقْصِدُهُ الخلائقُ كلُّها في جميعِ حاجَاتِها، وضروراتِها

(١) ملحق بتفسير السعدي (ص:٩٤٥-٩٤٩).

وأحوالِها، لما له من الكمالِ المطلقِ في ذاتِه، وأسمائِه، وصفاتِه، وأفعالِه.

٧، ٨- «**العليمُ، الخبيرُ**»: وهو الذي أحاطَ علمُه بالظاهرِ والباطنِ، والإسرارِ والإعلانِ، وبالواجباتِ والمستحيلاتِ والممكناتِ، وبالعالمِ العلويِّ والسفليِّ، وبالماضِي والحاضِرِ والمستقبلِ، فلا يَخْفَى عليه شيءٌ من الأشياءِ.

٩- «**الحكيمُ**»: وهو الذي له الحكمةُ العُلْيَا في خلقِهِ وأَمْرِهِ، الذي أحسنَ كلَّ شيءٍ خلقَهُ ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾. فلا يَخْلُقُ شيئًا عبثًا، ولا يَشْرَعُ شيئًا سُدىً، الذي له الحكمُ في الأولى والآخرةِ، وله الأحكامُ الثلاثةُ لا يشارِكُهُ فيها مشاركٌ، فيحكمُ بين عبادِه، في شرعِه، وفي قدرِهِ وجزائِه.

والحكمةُ: وضعُ الأشياءِ مواضعَها، وتنزيلُها منازِلَها.

١٠، ١٦- «**الرحمنُ، الرحيمُ، البَرُّ، الكريمُ، الجوادُ، الرؤوفُ، الوهَّابُ**». هذه الأسماءُ تتقاربُ معانِيها، وتدلُّ كلُّها على اتِّصافِ الربِّ بالرحمةِ، والبِرِّ والجودِ، والكرمِ، وعلى سَعَةِ رحمتِه ومواهبِه، التي عمَّ بها جميعَ الوجودِ، بحسبِ ما تقتضِيهِ حكمتُه، وخصَّ المؤمنينَ منها بالنصيبِ الأوفرِ، والحظِّ الأكملِ، قال تعالى: ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾ الآية.

والنعمُ والإحسانُ كلُّه من آثارِ رحمتِه، وجودِه، وكرمِه، وخيراتُ الدنيا والآخرةِ، كلُّها من آثارِ رحمتِه.

١٧- «**السميعُ**» لجميعِ الأصواتِ، باختلافِ اللغاتِ على تفنُّنِ الحاجاتِ.

١٨- «**البصيرُ**» الذي يبصرُ كلَّ شيءٍ وإنْ دقَّ وصَغُرَ، فيبصرُ دبيبَ النملةِ

السوداءِ في الليلةِ الظلماءِ على الصخرةِ الصَّمَّاءِ. ويُبصرُ ما تحتَ الأرضينَ السبعِ، كما يبصرُ ما فوقَ السمواتِ السبعِ. وأيضًا سميعٌ بصيرٌ بمَنْ يستحقُّ الجزاءَ بحسبِ حكمتِه، والمعنى الأخيرُ يرجِعُ إلى الحكمةِ.

١٩- «**الحميدُ**» في ذاتِه، وأسمائِه، وصفاتِه، وأفعالِه، فلهُ من الأسماءِ أحسنُها، ومن الصفاتِ أكملُها، ومن الأفعالِ أتمُّها وأحسنُها، فإنَّ أفعالَه تعالى دائرةٌ بينَ الفضلِ والعدلِ.

٢٠-٢٣- «**المجيدُ، الكبيرُ، العظيمُ، الجليلُ**» وهو الموصوفُ بصفاتِ المجدِ، والكبرياءِ، والعظمةِ، والجلالِ، الذي هو أكبرُ من كلِّ شيءٍ، وأعظمُ من كلِّ شيءٍ، وأجلُّ وأعلى. وله التعظيمُ والإجلالُ في قلوبِ أوليائِه وأصفيائِه، قد مُلئَتْ قلوبُهم من تعظيمِه وإجلالِه، والخضوعِ له والتذلُّلِ لكبريائِه.

٢٤-٢٦- «**العفُوُّ، الغفورُ، الغفارُ**» الذي لم يزَلْ، ولا يَزَالُ بالعفوِ معروفًا، وبالغفرانِ والصفحِ عن عبادِه موصُوفًا، كلُّ أحدٍ مُضْطَرٌّ إلى عَفْوِه ومغفرَتِه، كما هو مُضْطَرٌّ إلى رحمتِه وكرمِه، وقد وَعَدَ بالمغفرةِ والعفوِ لمن أتى بأسبابِها، قال تعالى: ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى**﴾.

٢٧- «**التوَّابُ**» الذي لم يَزَلْ يتوبُ على التائبينَ، ويغفرُ ذنوبَ المنيبينَ، فكلُّ من تابَ إلى اللهِ توبةً نصوحًا، تابَ اللهُ عليه، فهو التائبُ على التائبينَ أولًا بتوفِيقِهم للتوبةِ والإقبالِ بقلوبِهم إليه، وهو التائبُ عليهم بعد توبَتِهم قبولًا لهم، وعَفْوًا عن خطَايَاهم.

٢٨، ٢٩- «**القدُّوسُ، السلامُ**» أي: المعظَّمُ المنزَّهُ عن صفاتِ النقصِ كلِّها،

وأن يماثِلَه أحدٌ من الخلقِ، فهو المتنَزِّهُ عن جميعِ العيوبِ، والمتنزِّهُ عن أن يقارِبَه أو يماثِلَه أحدٌ في شيءٍ من الكمالِ ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾، ﴿**وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ**﴾، ﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً**﴾، ﴿**فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا**﴾.

فالقدُّوسُ كالسلامِ، ينفيانِ كلَّ نقصٍ من جميعِ الوجوهِ، ويتضمَّنَانِ الكمالَ المطلقَ من جميعِ الوجوهِ، لأنَّ النقصَ إذا انْتَفَى ثَبتَ الكمالُ كُلُّه.

٣٠، ٣١- «**العليُّ الأعلى**» وهو الذي له العلوُّ المطلقُ من جميعِ الوجوهِ، علوُّ الذَّاتِ، وعلوُّ القدرِ والصِّفَاتِ، وعلوُّ القهرِ. فهو الذي على العرشِ اسْتَوَى، وعلى المُلْكِ احْتَوَى، وبجميعِ صفاتِ العظمةِ والكبرياءِ والجلالِ والجمالِ وغايةِ الكمالِ اتَّصَفَ، وإليهِ فيها المُنْتَهَى.

٣٢- «**العزيزُ**» الذي له العزةُ كلُّها: عزةُ القوَّةِ، وعزةُ الغلبةِ، وعزةُ الامتناعِ، فامتنعَ أن ينالَه أحدٌ من المخلوقاتِ، وقَهَرَ جميعَ الموجوداتِ، ودَانَتْ لهُ الخليقَةُ وخَضَعَتْ لعظمتِه.

٣٣، ٣٤- «**القويُّ، المتينُ**» هو في معنى العزيزِ.

٣٥- «**الجبَّارُ**» هو بمعنى العليِّ الأعلى، وبمعنى القهَّارِ، وبمعنى «الرَّؤُوفِ» الجابرِ للقلوبِ المنكسِرَةِ، وللضعيفِ العاجزِ، ولمن لاذَ بهِ ولجأَ إليه.

٣٦- «**المتكبِّرُ**» عن السوءِ والنقصِ والعيوبِ، لعظمتِه وكبريائِه.

٣٧-٣٩- «**الخالقُ، البارئُ، المصوِّرُ**» الذي خلقَ جميعَ الموجوداتِ وبَرَأَها وسوَّاها بحكمتِه، وصوَّرَها بحمدِهِ وحكمتِهِ، وهو لم يَزَلْ ولا يَزَالُ على هذا الوصفِ العظيمِ.

٤٠- «**المؤمنُ**» الذي أَثْنَى على نفسِه بصفاتِ الكمالِ، وبكمالِ الجلالِ والجمالِ، الذي أَرْسَلَ رسلَه وأنزلَ كتبَه بالآياتِ والبراهينِ، وصدَّقَ رسلَه بكلِّ آيةٍ وبرهانٍ، يدُلُّ على صدقِهم وصحةِ ما جاؤُوا به.

٤١- «**المهيمنُ**»: المطلعُ على خفايَا الأمورِ وخبايَا الصدورِ، الذي أحاطَ بكلِّ شيءٍ علمًا.

٤٢- «**القديرُ**» كاملُ القدرةِ، بقدرتِه أوجدَ الموجوداتِ، وبقدرتِه دبَّرَها، وبقدرتِه سوَّاها وأحكَمَها، وبقدرَتِه يُحيي ويُميتُ، ويبعثُ العبادَ للجزاءِ، ويجازي المحسنَ بإحسانِه، والمسيءَ بإساءَتِه، الذي إذا أرادَ شيئًا قال له: ﴿**كُنْ فَيَكُونُ**﴾، وبقدرَتِه يقلِّبُ القلوبَ، ويُصَرِّفُها على ما يشاءُ ويريدُ.

٤٣- «**اللطيف**» الذي أحاطَ علمُه بالسرائرِ والخفايَا، وأدركَ الخبايَا والبواطنَ والأمورَ الدقيقةَ، اللطيفُ بعبادِه المؤمنينَ، الموصلُ إليهم مصالحَهم بلطفِه وإحسانِه، من طرقٍ لا يشعرونَ بها، فهو بمعنى «**الخبيرِ**» وبمعنى «**الرؤوفِ**».

٤٤- «**الحسيبُ**» هو العليمُ بعبادِه، كافِي المتوكلينَ، المجَازِي لعبادِه بالخيرِ والشَّرِّ، بحسبِ حكمَتِه وعِلْمِهِ بدقيقِ أعمالِهم وجليلِها.

٤٥- «**الرقيبُ**» المطَّلِعُ على ما أَكَنَّتْهُ الصُدُورُ، القائمُ على كلِّ نفسٍ بما كسبتْ، الذي حَفِظَ المخلوقاتِ وأَجْرَاهَا على أحسنِ نظامٍ وأكملِ تدبيرٍ.

٤٦- «**الحفيظُ**» الذي حَفِظَ ما خَلَقَهُ، وأَحَاطَ علمُه بما أوجدَهُ، وحَفِظَ أولياءَه من وقوعِهم في الذنوبِ والهَلَكَاتِ، ولَطَفَ بهم في الحركاتِ والسكناتِ، وأحصى على العبادِ أعمالَهم وجزاءَها.

٤٧- «**المحيطُ**» بكلِّ شيءٍ علمًا، وقدرةً، ورحمةً، وقهرًا.

٤٨- «**القهَّارُ**» لكلِّ شيءٍ، الذي خَضَعَتْ لهُ المخلوقاتُ، وذَلَّتْ لعزَّتِه وقوَّتِه وكمالِ اقْتِدَارِه.

٤٩- «**المُقيتُ**» الذي أوصلَ إلى كلِّ موجودٍ ما به يقتاتُ، وأوصلَ إليها أرزاقَها وصَرَّفَها كيفَ يشاءُ بحكمتِه وحمدِه.

٥٠- «**الوكيلُ**» المتولِّي لتدبيرِ خلقِه بعلمِه وكمالِ قدرتِه وشمولِ حكمتِه، الذي تولَّى أولياءَه، فيَسَّرَهُم لليُسْرَى، وجنَّبَهُمُ العُسْرَى، وكَفَاهُمُ الأمورَ. فمن اتَّخَذَهُ وكِيلًا كَفَاهُ ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾.

٥١- «**ذو الجلالِ والإكرامِ**» أي: ذو العظمةِ والكبرياءِ، وذو الرحمةِ والجودِ، والإحسانِ العامِّ والخاصِّ، المكرمُ لأوليائِه وأصفيائِه، الذين يجلُّونَهُ ويعظِّمُونَهُ ويحبُّونَه.

٥٢- «**الودودُ**» الذي يُحِبُّ أنبياءَه ورسُلَهُ وأَتْبَاعَهُم، ويُحِبُّونَهُ، فهو أَحَبُّ إليهم من كلِّ شيءٍ، قدِ امتلأَتْ قلوبُهم من محبَّتِهِ، ولَهَجَتْ ألسنتُهم بالثناءِ عليه، وانجذَبَتْ أفئدَتُهم إليهِ وُدًّا وإخلاصًا وإنابةً من جميعِ الوجوهِ.

٥٣- «**الفتَّاحُ**» الذي يحكمُ بين عبادِه بأحكامِه الشرعيَّةِ، وأحكامِه القدريةِ، وأحكامِ الجزاءِ، الذي فَتَحَ بلُطْفِهِ بصائرَ الصادقِينَ، وفتحَ قلوبَهم لمعرفتِه ومحبتِه والإنابةِ إليه، وفتحَ لعبادِه أبوابَ الرحمةِ والأرزاقِ المتنوعَةِ، وسَبَّبَ لهم الأسبابَ التي ينالُونَ بها خَيْرَ الدُّنْيَا والآخرةِ ﴿**مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ**﴾ [فاطر:٢].

٥٤- «**الرزَّاقُ**» لجميعِ عبادِه، فما من دابَّةٍ في الأرضِ إلا على اللهِ رزْقُها. ورِزْقُهُ

لعبادِه نوعانِ:

رزقٌ عامٌّ: شَمَلَ البَرَّ والفاجرَ، والأولينَ والآخرينَ، وهو رزقُ الأبدانِ.

ورزقٌ خاصٌّ: وهو رزقُ القلوبِ، وتَغْذِيتُها بالعلمِ والإيمانِ، والرزقُ الحلالُ الذي يعينُ على صلاحِ الدينِ، وهذا خاصٌّ بالمؤمنينَ، على مراتِبِهم منه، بحسبِ ما تقتَضِيهِ حكمتُه ورحمتُه.

٥٥، ٥٦- «**الحَكَمُ، العدْلُ**» الذي يحكُمُ بين عبادِه في الدنيا والآخرةِ بعدلِه وقسطِه. فلا يظلمُ مثقالَ ذرَّةٍ ولا يُحَمِّلُ أحدًا وزرَ أحدٍ، ولا يجازِي العبدَ بأكثرَ من ذنبِه، ويؤدِّي الحقوقَ إلى أهلِها، فلا يدَعُ صاحبَ حقٍّ إلا أَوْصَلَ إليه حقَّهُ، وهو العدلُ في تدبيرِه وتقديرِه ﴿**إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [هود:٥٦].

٥٧- «**جامعُ النَّاسِ**» ليومٍ لا ريبَ فيه، وجامعُ أعمالِهم وأرزاقِهم، فلا يتركُ منها صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصَاهَا، وجامعُ ما تفرَّقَ واستحالَ من الأمواتِ الأولينَ والآخرينَ، بكمالِ قدرتِه، وسعةِ علمِه.

٥٨- «**الحيُّ القيُّومُ**» كاملُ الحياةِ والقائمُ بنفسِه. القيومُ لأهلِ السمواتِ والأرضِ، القائمُ بتدبيرِهم وأرزاقِهم، وجميعِ أحوالِهم، فـ «**الحيُّ**»: الجامعُ لصفاتِ الذاتِ، و«**القيومُ**» الجامعُ لصفاتِ الأفعالِ.

٥٩- «**النورُ**» نورُ السمواتِ والأرضِ، الذي نَوَّرَ قلوبَ العارفينَ بمعرفتِه والإيمانِ به، ونَوَّرَ أفئدتَهم بهدايتِه، وهو الذي أنارَ السمواتِ والأرضَ بالأنوارِ التي وضَعَها، وحجابُه النورُ، لو كشَفَه لأحرَقَتْ سبحاتُ وجهِه ما انتهى إليه بَصَرُه من خلقهِ.

٦٠- «**بديعُ السمواتِ والأرضِ**» أي: خالقُهما ومبدعُهما، في غايةِ ما يكونُ

من الحسْنِ والخلقِ البديعِ، والنظامِ العجيبِ المحكمِ.

٦١، ٦٢- «**القابضُ، الباسطُ**» يقبضُ الأرزاقَ والأرواحَ، ويبسطُ الأرزاقَ والقلوبَ، وذلكَ تبعٌ لحكمتِه ورحمتِه.

٦٣، ٦٤- «**المعطي، المانعُ**» لا مانعَ لما أعطَى، ولا معطِيَ لما منعَ، فجميعُ المصالحِ والمنافعِ منه تُطلبُ، وإليه يرغبُ فيها، وهو الذي يعطِيها لمن يشاءُ، ويمنعُها من يشاءُ بحكمتِه ورحمتِه.

٦٥- «**الشهيدُ**» أي: المطَّلعُ على جميعِ الأشياءِ. سمعَ جميعَ الأصواتِ خفيَّها وجليَّها، وأبصرَ جميعَ الموجوداتِ دقيقَها وجليلَها صغيرَها وكبيرَها، وأحاطَ علمُه بكلِّ شيءٍ، الذي شَهِدَ لعبادِه وعلى عبادِه بما عملُوه.

٦٦، ٦٧- «**المبدئُ، المعيدُ**» قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ**﴾، ابتدأَ خلقَهم ليبلوَهُم أيهم أحسنُ عملًا، ثم يعيدُهم ليجزيَ الذين أحسنُوا بالحُسْنَى، ويجزِيَ المسيئِينَ بإساءَتِهم. وكذلكَ هو الذي يُبْدِأُ إيجادَ المخلوقاتِ شيئًا فشيئًا، ثم يعيدُها كلَّ وقتٍ.

٦٨- «**الفعَّالُ لما يريدُ**» وهذا من كمالِ قوتِه ونفوذِ مشيئتِه وقدرتِه، أنَّ كلَّ أمرٍ يريدُه يفعلُه بلا ممانعٍ ولا معارضٍ، وليسَ له ظهيرٌ ولا معينٌ، على أيِّ أمرٍ يكونُ، بلْ إذا أرادَ شيئًا قال له: ﴿**كُنْ فَيَكُونُ**﴾، ومعَ أنَّه الفعَّالُ لما يريدُ، فإرادتُه تابعةٌ لحكمتِه وحمدِه، فهو موصوفٌ بكمالِ القدرةِ، ونفوذِ المشيئةِ، وموصوفٌ بشمولِ الحكمةِ، لكلِّ ما فعلَه ويفعلُه.

٦٩، ٧٠- «**الغنيُّ، المغنِي**» فهو الغنيُّ بذاتِه، الذي له الغنى التامُّ المطلقُ، من

جميعِ الوجوهِ والاعتباراتِ لكمالِه، وكمالِ صفاتِه، فلا يتطرقُ إليها نقصٌ بوجْهٍ من الوجوهِ، ولا يمكنُ أن يكونَ إلا غنيًّا، لأن غنَاهُ من لوازمِ ذاتِه، كما لا يكونُ إلا خالقًا، قادرًا، رازقًا، محسنًا، فلا يحتاجُ إلى أحدٍ بوجْهٍ من الوجوهِ، فهو الغنيُّ، الذي بيدِه خزائنُ السمواتِ والأرضِ، وخزائنُ الدنيا والآخرةِ. المغني جميعَ خلقِه غنىً عامًّا، والمغنِي لخواصِّ خلقِه بما أفاضَ على قلوبِهم من المعارفِ الربانيَّةِ والحقائقِ الإيمانيةِ.

٧١- «**الحليمُ**» الذي يدرُّ على خلقِه النعمَ الظاهرةَ والباطنةَ، مع معاصِيهم وكثرةِ زَلَّاتِهم، فيحلُمُ عن مقابلةِ العاصِينَ بعصيانِهم، ويستعتِبُهم كي يتوبوا، ويمهِلُهم كي يُنِيبُوا.

٧٢، ٧٣- «**الشاكرُ، الشكور**» الذي يشكرُ القليلَ من العملِ، ويغفرُ الكثيرَ من الزللِ. ويضاعفُ للمخلصِينَ أعمالَهم بغيرِ حسابٍ، ويشكرُ الشاكرينَ، ويذكرُ من ذكرَه، ومن تقرَّبَ إليه بشيءٍ من الأعمالِ الصالحةِ، تقرَّبَ اللهُ منهُ أكثرَ.

٧٤، ٧٥- «**القريبُ، المجيبُ**» أي: هو تعالى القريبُ من كلِّ أحدٍ.

وقربُه تعالى نوعانِ: قربٌ عامٌّ من كلِّ أحدٍ، بعلْمِهِ، وخبرَتِهِ، ومراقبتِه، ومشاهدتِه، وإحاطتِه.

وقربٌ خاصٌّ، من عابدِيه، وسائليه، ومحبِّيه، وهو قربٌ لا تُدْرَكُ له حقيقةٌ، وإنما تُعْلَمُ آثارُه، من لطفِه بعبدِه، وعنايتِه به، وتوفيقِه وتسديدِه.

ومن آثارِه: الإجابةُ للداعينَ والإثابةُ للعابدينَ، فهو المجيبُ إجابةً عامَّةً للداعينَ مهما كانُوا، وأينَ كانُوا، وعلى أيِّ حالٍ كانُوا كما وعدَهم بهذا الوعدِ المطلقِ، وهو المجيبُ إجابةً خاصَّةً للمستجيبينَ له المنقادينَ لشرعِه، وهو المجيبُ أيضًا للمضطرينَ، ومن انقطعَ رجاؤُهم من المخلوقينَ وقَوِيَ تعلُّقُهم به طمعًا ورجاءً وخوفًا.

٧٦- «**الكافي**» جميعَ عبادِه ما يحتاجُونَ ويضطرُّونَ إليه، الكافي كفايةً خاصَّةً من آمنَ به، وتوكَّلَ عليه، واستمدَّ منه حوائجَ دينِه ودنياه.

٧٧-٨٠- «**الأولُ، والآخرُ، والظاهرُ، والباطنُ**».

قد فسَّرَها النبيُّ ﷺ تفسيرًا جامعًا واضحًا، فقال: «**أنتَ الأولُ فليسَ قبلَكَ شيءٌ، وأنتَ الآخِرُ فليسَ بعدَكَ شيءٌ، وأنتَ الظاهرُ فليسَ فوقَكَ شيءٌ، وأنتَ الباطِنُ فليسَ دونَكَ شيءٌ**»(١).

٨١- «**الواسعُ**» الصفاتِ والنعوتِ ومتعلقاتِها، بحيثُ لا يُحصِي أحدٌ ثناءً عليه، بلْ هو كَمَا أثنَى على نفسِه. واسعُ العظمةِ والسلطانِ والملكِ، واسعُ الفضلِ والإحسانِ، عظيمُ الجودِ والكرمِ.

٨٢، ٨٣- «**الهادي، الرشيدُ**» أي: الذي يهدِي ويرشدُ عبادَه إلى جميعِ المنافعِ، وإلى دفعِ المضارِّ، ويعلِّمُهم ما لا يعلمونَ، ويهدِيهم لهدايةِ التوفيقِ والتسديدِ، ويُلهِمُهم التقوى، ويجعلُ قلوبَهم منيبةً إليهِ منقادَةً لأمْرِهِ.

وللرشيدِ معنىً بمعنَى الحكيمِ، فهو الرشيدُ في أقوالِه وأفعالِه، وشرائعُه كُلُّها خيرٌ ورَشَدٌ وحكمةٌ، ومخلوقاتُه مشتملةٌ على الرشدِ.

٨٤- «**الحقُّ**» في ذاتِه وصفاتِه، فهو واجبُ الوجودِ، كاملُ الصفاتِ والنعوتِ، وجودُه من لوازمِ ذاتِه، ولا وجودَ لشيءٍ من الأشياءِ إلا به. فهو الذي لم يَزَلْ ولا يَزَالُ بالجلالِ والكمالِ موصُوفًا، ولم يَزَلْ ولا يَزَالُ بالإحسانِ معروفًا.

فقولُه حقٌّ، وفعلُه حقٌّ، ولقاؤُه حقٌّ، ورسلُه حقٌّ، وكتبُه حقٌّ، ودينُه هو الحقُّ،

(١) مسلم (٢٧١٣)، أبو داود (٥٠٥١)، الترمذي (٣٤٠٠).

وعبادتُه وحدَه لا شريكَ له هي الحقُّ، وكلُّ شيءٍ ينسبُ إليه فهو حقٌّ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢].

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩]، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ﴾ [يونس:٣٢]، ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ [الإسراء:٨١].

* * *

قصائد في تعظيم الله

١- أسماء الله الحسنى

العليُّ

فَهـــوَ العَلـــيُّ بِذَاتِـــهِ سُـــبحَانَهُ إذ يســـتَحيلُ خِـــلافُ ذَا بِبَيَـــانِ
وَهْـوَ الَّـذِي حَقًّا عَلَى العَرْشِ استَوى قَـــد قَـــامَ بالتَّـــدبيرِ للأَكـــوانِ
حَـــيٌّ مُرِيـــدٌ قَـــادِرٌ مُـــتكَلِّمٌ ذُو رَحمَـــــةٍ وإرَادَةٍ وحَنَـــــانِ
هُـــوَ أوَّلٌ هُـــوَ آخِـــرٌ هُـــوَ ظَـــاهِرٌ هُـــوَ بَـــاطِنٌ هَـــي أربـــعٌ بِـــوِزَانِ
مَـــا قَبلَـــهُ شـــيءٌ كَـــذَا مـــا بَعـــدَهُ شَـــيءٌ تَعَـــالى اللهُ ذُو السُّـــلطَانِ
مَـــا فَوقَـــهُ شـــيءٌ كَـــذَا مـــا دُونَـــهُ شـــيءٌ وَذَا تَفســـيرُ ذِي البُرهـــانِ
فـــانظُرْ إلـــى تَفســـيرِهِ بتَـــدَبُّرٍ وتَبَصُّـــــرٍ وتَعَقُّـــــلٍ لمِعَـــــانِ
وانظـر إلـى مـا فيـهِ مـن أنـواع مَعْـ ـــرفَةٍ لخَالقِنَـــا العَظـــيمِ الشَّـــانِ
وهُـــوَ العَلـــيُ فَكَـــلُّ أنـــواعِ العُلُـــ ـــوِّ لَـــهُ فثابِتَـــةٌ بـــلا نُكـــرانِ

العظيم

وهُـوَ العَظِـيمُ بِكُـلِ مَعنًـى يُوجِـبُ التَّعظِـيمَ لَا يُحصِـيهِ مِـن إنسَـانِ
وَهُـوَ الجلَيـلُ فكُـلُّ أوصَـافِ الجَـلَا لِ لَـــهُ مُحَقّقَـــةٌ بِـــلَا بُطـــلانِ

الجميل

وَهُوَ الجميلُ عَلَى الحقِيقَةِ كَيفَ لا؟! وَجَمـــالُ ســـائِرِ هَـــذِهِ الأكـــوانِ
مِـن بَعـضِ آثـارِ الجمَيـلِ فَرَبُّهـا أولَـى وأجـدَرُ عَنـدَ ذِيَ العِرفـانِ
فَجمَالَـهُ بالـذَّاتِ والأوصـافِ والـ أفعَـــالِ والأســـمَاءِ بالبُرهَـــانِ
لا شَـــيءَ يُشـــبِهُ ذَاتَـــهُ وَصِـــفَاتِهِ سُـبحَانَهُ عَـن إفـكِ ذِي البُهتَـانِ

المجيد

وهُـوَ المَجِيـدُ صَـفاتُهُ أوصَـافِ تـع ظِـيمٍ فَشَـأنُ الوَصـفِ أعظَـمُ شَـانِ

السميع

وهُـوَ السَّـميعُ يَـرى ويَسـمَعُ كُـلَّ مَـا فِـي الكَـونِ مِـنْ سِـرٍّ ومِـنْ إعـلانِ
ولِكُـلِ صَـوتٍ مِنـهُ سَـمعٌ حاضـرٌ فالسِّـرُّ والإعـلانُ مُسْـتويانِ
والسـمعُ منـه واسـعُ الأصـواتِ لا يَخْفَـى عليـه بعيـدُها والـدَّاني

البصير

وهُـوَ البَصِيرُ يَرى دَبيبَ النَّمْلـةِ السْ ودَاءِ تَحـتَ الصَّـخْرِ والصَّـوانِ
ويَـرَى مَجـارِي القُـوتِ فـي أعضَـائِهَا ويَـرَى بَيَـاضَ عُروقِهـا بِعيـانِ
ويَـرَى خَيانـاتِ العُيـونِ بِلَحظِهَـا ويَـرَى كَـذَاكَ تَقَلُّـبَ الأجفَـانِ

العليم

وهُـوَ العَلـيمُ أحَـاطَ عِلمًـا بالـذِي فـي الكَـونِ مـن سِـرٍّ ومِـنْ إعـلانِ
وبكُـلِّ شـيءٍ عِلمُـهُ سُـبحَانَهُ فَهْـوَ المُحـيطُ ولَـيسَ ذَا نِسـيَانِ
وَكَـذاكَ يعْلَـمُ مَـا يَكـونُ غَـدًا وَمَـا قَـد كَـانَ والموجـودَ فـي ذَا الآنِ
وَكَـذَاكَ أَمـرٌ لَـمْ يَكُـن لَـو كَـانَ كَيْـ ـفَ يَكُـونُ ذَاكَ الأَمْـرُ ذَا إمكَـانِ

الحميد

وهُـوَ الحَميـدُ فَكُـلُ حَمـدٍ وَاقـعٍ أو كَـانَ مَفروضًـا مَـدَى الأزمَـانِ
مَـلأَ الوجُـودَ جَميْعَـهُ ونَظَيـرَهُ مِـن غَيـرِ مـا عَـدٍّ ولا حُسْـبَانِ
هُـوَ أهْلُـهُ سُـبْحَانَهُ وبِحَمْـدِهِ كُـلُّ المحَامِـدِ وَصْـفُ ذِي الإحسَـانِ
وهُـوَ المِكُلِّـمُ عَبْـدَهُ مُوْسَـى بتَـك لِـيمِ الخِطـابِ وَقَبلَـهُ الأبَـوانِ
كَلِماتُـهُ جَلَّـتْ عـن الإحصَـاءِ والتَّـع دَادِ بَـل عَـن حَصـرِ ذِي الحسـبَانِ
لـو أنَّ أشـجَارَ الـبِلادِ جَميعَهَـا الـ أقْـلامُ تَكْتُبُهَـا بكَـلِّ بَنَـانِ
والبَحـرَ تُلقَـى فِيـهِ سَـبعَةُ أبحُـرٍ لِكَتابَـةِ الكَلِمـاتِ كُـلِّ زَمَـانِ

نَفِـدَت وَلَـم تَنفَـد بِهَـا كَلِمَاتُـهُ   لَـيْسَ الكَـلامُ مِـن الإلـهِ بِفَـانِ

القدير

وهُـوَ القَـدِيرُ ولَـيْسَ يُعجِـزُهُ إذا   مَـا رَامَ شَـيئًا قَـطُّ ذُو سُـلطَانِ

القويُّ

وَهُـوَ القَـوِيُّ لَـهُ القُـوَى جَمعًا تعَـا   لَـى اللهُ رَبُّ النَّـاسِ والأَكـوانِ

الغنيُّ

وهُـوَ الغَنـيُّ بذاتِـهِ فغِنـاهُ ذا   تِـيٌّ لَـهُ كَـالجُودِ والإِحسَـانِ

العزيز القاهر

وهُـوَ العَزيـزُ فَلَـن يُـرامَ جَنَابُـهُ   أنَّـى يُـرامُ جَنَـابُ ذِي السُّـلطَانِ

وهُـوَ العَزيـزُ القَـاهرُ الغـلَّابُ لَـمْ   يَغلِبْـهُ شَـيءٌ هَـذِهِ صِـفَتَانِ

وهُـوَ العَزيـزُ بقُـوَّةٍ هِـيَ وَصـفُهُ   فَـالعَزُّ حِينَئِـذٍ ثَـلاثُ مَعَـانِ

وَهْـيَ الَّتـي كَمُلَـت لَـهُ سُـبحَانَهُ   مِـنْ كُـلِّ وَجْـهٍ عَـادِمِ النُقصَـانِ

الحكيم

وهُـوَ الحَكِـيمُ وذَاكَ مِـن أوصَـافِهِ   نَوعَـانِ أيضًـا مَـا هُمَـا عَـدَمَانِ

حُكـمٌ وإحكَـامٌ فَكُـلٌّ مِنهُمَـا   نَوعَـانِ أيضًـا ثَابتَـا البُرهَـانِ

والحُكْـمُ شَـرعِيٌّ وَكَـونيٌّ وَلَا   يَتلازَمَـانِ وَمَـا هُمَـا سِـيَّانِ

الحييُّ

وهُـوَ الحَيِـيُّ فَلَـيس يَفضَـحُ عَبـدَهُ   عِنـدَ التَّجَـاهُرِ مِنـهُ بِالعِصـيَانِ

لَكِنَّـهُ يُلقِـي عَلَيـه سِـترَهُ   فَهُـوَ السِّـتِيرُ وَصَـاحِبُ الغُفـرَانِ

الحليم

وهُـوَ الحَلِـيمُ فَـلَا يُعَاجِـلُ عَبْـدَهُ   بِعُقُوبَـةٍ لِيَتُـوبَ مِـنْ عِصـيانِ

العفو

وَهُـوَ العَفُـوُّ فَعَفـوُهُ وَسِـعَ الـوَرَى   لـــولَاهُ غَـــارَ الأَرض بالسُّـــكَّانِ

الصبور

وَهُــوَ الصَّــبُورُ عَلَـى أذَى أعدائِــهِ   شَــتَمُوهُ بَــل نَسَـــبُوهُ لِلبُهتَـــانِ
قَــالُوا لَــهُ ولَــدٌ ولَــيسَ يُعَيِــدُنَا   شَــتمًا وتَكــذِيبًا مِــنَ الإِنسَــانِ
هَـــذَا وَذَاكَ بِسَـــمعِهِ وَبِعِلمِـــهِ   لَــوْ شَــاءَ عَــاجَلهُم بِكُــلِ هَــوَانِ
لَكِــنْ يُعَــافِيهِمِ ويَــرزُقْهُمُ وهُــمْ   يُؤْذُونَــهُ بالشِّــرْكِ وَالكُفــرَانِ

الرقيبُ

وَهَوَ الرَّقِيـبُ عَلَى الخَواطِرِ واللَّوَا   حِــظِ كَيــفَ بالأَفعَــالِ بِالأرْكَــانِ

الحفيظُ الكفيلُ

وَهُـوَ الحَفـيظُ عَلَـيهِمُ وَهُـوَ الكَفِيـ   ـلُ بِحِفظِهِـمْ مِـنْ كُـلِّ أمـرٍ عَـانِ

اللطيفُ

وَهُــوَ اللَّطِيــفُ بِعَبْــدِهِ وَلِعَبْــدِهِ   واللَّطــفُ فِــي أوصَــافِهِ نَوعَــانِ
إدرَاكُ أســـرارِ الأمُـــورِ بِخِبـــرَةٍ   واللُّطـفُ عِنـدَ مَوَاقِـعِ الإحسَـانِ
فيُرِيـــكَ عِزَّتَـــهُ ويُبـــدِي لُطفَـــهُ   وَالعَبدُ فِي الغَفَلَاتِ عَن ذَا الشَّانِ

الرفيقُ

وَهُـوَ الرَّفِيـقُ يُحِـبُّ أهـلَ الرِّفـقِ بَـل   يُعطِـــيهُمُ بـــالرِّفقِ فَـــوقَ أمَـــانِ

القريبُ

وهُـوَ القَرِيـبُ وقُربُـهُ المُختَصُّ بالـدْ   داعِــي وعَابِــدِهِ عَلَــى الإِيمَــانِ

المجيبُ

وَهُـوَ المُجِيـبُ يَقـولُ مَـنْ يَـدعُو أُجِبْـ   ـهُ أَنَـا المُجِيـبُ لِكُـلِّ مَـن نَـادَانِي
وهُـوَ المُجِيـبُ لِـدَعوَةِ المضـطَرِّ إذ   يَــدْعُوهُ فِــي سِــرٍ وفــي إعــلانِ

الجوادُ

وهُـوَ الجَـوَادُ فَجُـودُهُ عَـمَّ الوُجُـو دَ جَمِيعَـــهُ بالفَضــــلِ والإِحسَـــانِ
وهُـوَ الجَـوَادُ فَـلا يُخَيِّـبُ سَـائِلًا وَلَـــوَ انَّـــهُ مِـــن أُمَّـــةِ الكُفـــرانِ

المغيثُ

وهُـــوَ المُغيـــثُ لِكُـــلِّ مخلُوقَاتِـــهِ وَكَـــذَا يَجُيـــبُ إغَاثَـــةَ اللَّهفَـــانِ

الودودُ

وَهُـــوَ الـــوَدُودُ يُحِـــبُّهُم ويُحبُّـــهُ أحبَابُــــهُ وَالفَضــــلُ للمَنَّــــانِ
وهُوَ الَّذِي جَعلَ المَحَبَّةَ في قُلُو بِهِـــمُ وَجَـــازَاهُم بِحُـــبٍّ ثَـــانِ
هَـذَا هُـوَ الإِحَسـانُ حَقًّـا لَا مُعَـا وَضَـــةً وَلَا لِتَوقُّـــعِ الشُّـــكْرَانِ
لَكِـن يُحِـبُّ شَـكُورَهُم وَشُـكُورُهُم لَا لاحِتيـــاجٍ مِنـــهُ للشُّـــكرَانِ

الشكورُ

وَهُـوَ الشَّـكُورُ فَلَـن يُضَيِّعَ سَـعيَهُم لِكِـــن يَضـــاعِفُهُ بِـــلَا حُســـبَانِ
مَـا لِلعِبَـادِ عليـه حَـقٌّ وَاجِـبٌ هُـوَ أوجَـبَ الأَجـرَ العَظِـيمَ الشَّـانِ
كَـــلَّا وَلَا عَمَـــلٌ لَدَيـــهِ ضَـــائعٌ إن كَـانَ بِـالإِخلَاصِ والإِحسَـانِ
إن عُـــذِّبُوا فِبعَدلِـــهِ أو نُعِّمُـــوا فِبفَضـــلِهِ وَالحَمــــدُ للـــرَّحمَنِ

الغفورُ

وهُـوَ الغَفُـورُ فَلَـو أُتِـي بقُرَابِهَـا مِـن غَيـرَ شِـركٍ بَـل مـنَ العِصَـيانِ
لاقَـاهُ بـالغُفرانِ مِـلءَ قُرَابِهـا سُـــبحَانَهُ هُـــوَ وَاسِـــعُ الغُفـــرانِ

التوابُ

وكَـذلِكَ التَّـوابُ مِـنْ أوصَـافِهِ والتَّـــوبُ فِـــي أَوصَـــافِهِ نَوعَـــانِ
إذنٌ بِتَوبـــةِ عَبـــدِهِ وقَبُولِهَـــا بَعـــدَ المتَـــابِ بمنَّـــةِ المنَّـــانِ

الإلهُ السيدُ الصمدُ

وَهُـوَ الإلـهُ السَّـيدُ الصَّـمَدُ الَّـذِي صَـمَدَتْ إليـهِ الخَلـقُ بالإِذعـانِ
الكَامِـلُ الأَوصَـافِ مِـنْ كُـلِّ الوُجُـو هِ كَمَالُـهُ مـا فِيـهِ مِـنْ نُقْصَـانِ

القهارُ

وكَـذلِكَ القَهَّـارُ مِـنْ أَوْصَـافِهِ فَـالخَلْقُ مَقْهُـورُونَ بالسُّـلْطَانِ

الحيُّ العزيزُ القادرُ

لَـوْ لَـمْ يَكُـنْ حَيًّـا عَزِيـزًا قَـادِرًا مَـا كَـانَ مِـنْ قَهْـرٍ وَلَا سُـلطانِ

الجبارُ

وَكَـذلِكَ الجَبَّـارُ مِـنْ أَوْصَـافِهِ والجَبْـرُ فِـي أَوْصَـافِهِ قِسـمَانِ
جَبْـرُ الضَّـعِيفِ وَكُـلُّ قَلْـبٍ قَـدْ غَـدَا ذَا كَسْـرَةٍ فَـالجَبْرُ مِنْـهُ دَانِ
الثَّـانِي جَبْـرُ الْقَهْـرِ بِـالعِزِّ الـذي لَا يَنْبَغِـي لِسِـوَاهُ مِـنْ إِنْسِـانِ
ولَـهُ مُسَـمًّى ثالِـثٌ وهُـوَ العُلُـوْ فَلَـيْسَ يَـدْنُو مِنْـهُ مِـن إِنْسَـانِ
مِـنْ قَـوْلِهِمْ جَبَّـارَةٌ لِلنَّخلِـةِ الـ ـعُلْيَا التـي فاتَـتْ لِكُـلِّ بَنـانِ

الحسيبُ

وَهُـوَ الحَسِـيبُ كِفَايَـةً وحِمَايَـةً وَالحَسْـبُ كَـافِي الْعَبْـدِ كُـلَّ أَوانِ

الرشيدُ

وَهُـوَ الرَّشِـيدُ فَقَوْلُـهُ وفِعَالُـهُ رُشْـدٌ وَرَبُّـكَ مُرْشِـدُ الحَيْـرَانِ
وَكِلَاهُمَـا حَـقٌّ فَهَـذَا وَصْـفُهُ وَالْفِعْـلُ للإِرْشَـادِ ذَاكَ الثَّـانِي

العدلُ

وَالْعَـدْلُ مِـنْ أَوْصَـافِهِ فِـي فِعْلِـهِ وَمَقَالِـهِ وَالحُكْـمُ بِـالمِيزَانِ
فَعَلـى الصِّـراطِ المَسـتَقيمِ إلهُنَـا قَـولًا وَفِعْـلًا ذَاكَ فِـي القُـرآنِ

القدوسُ

هَـذَا وَمِـنَ أَوْصَـافِهِ القُـدُّوْسُ ذَو ... التَّنْزِيْـهِ بِـالتَعْظِيمِ للـرَّحْمَنِ

السلامُ

وَهُـوَ السَّـلَامُ عَلَى الحَقِيقَـةِ سَـالِمٌ ... مِـنْ كُـلِّ تَمثِيـلٍ وَمِـنْ نُقْصَـانِ

البرُّ

والبَـرُّ فِـي أَوْصَـافِهِ سُـبْحَانَهُ ... هُـوَ كَثْـرةُ الخَيْـرَاتِ والإِحْسَـانِ

صَـدَرَتْ عَـنْ البِرِّ الـذي هُوَ وَصْفُهُ ... فَـالبِرُّ حِينَئِـذٍ لَـهُ نوعَـانِ

وَصْـفٌ وفِعْـلٌ فَهُـوَ بَـرٌّ مُحْسِـنٌ ... مُـوْلِي الجَميـلِ ودَائِـمُ الإِحْسَـانِ

الوهَّابُ

وكَـذلِكَ الوَهَّـابُ مِـن أَسْـمَائِهِ ... فَـانْظُرْ مَوَاهِبَـهُ مَـدَى الأَزَمَـانِ

أَهْـلُ السَّـمَواتِ العُلَـى والأَرْضِ عَـنْ ... تِلْـكَ المَواهِـبِ لَـيْسَ يَنْفَكَّـانِ

الفتاحُ

وَكَـذلِكَ الفَتَّـاحُ مِـنْ أَسْـمَائِهِ ... والفَـتْحُ فِـي أَوْصَـافِهِ أَمْـرَانِ

فَـتْحٌ بِحُكْـمٍ وَهْـوَ شَـرْعُ إِلهِنَـا ... وَالْفَـتْحُ بِالأَقْـدَارِ فَـتْحٌ ثَـانِ

وَالـرَبُّ فَتَّـاحٌ بِـذَيْنِ كِلَيْهِمَـا ... عَـدْلًا وَإِحْسَـانًا مِـنَ الـرَّحْمنِ

الرزاقُ

وَكَـذَلِكَ الـرَزَّاقُ مِـنَ أَوْصَـافِهِ ... والـرَّزْقُ مِـنْ أَفْعَالِـهِ نَوْعَـانِ

رِزْقٌ عَلَـى يَـدِ عَبْـدِهِ ورَسُـولِهِ ... نوعَـانِ أيْضًـا ذَانِ مَعْرُوفَـانِ

رِزْقُ القُلُـوبِ العِلْـمُ والإِيمَـانُ والـر ... زْقُ المُعَـدُّ لِهَـذِهِ الأَبْـدَانِ

هَـذا هُـوَ الـرِّزْقُ الحَـلالُ وَرَبُّنَـا ... رَزَّاقُـهُ وَالفَضْـلُ لِلمَنَّـانِ

وَالثَّـانِي سَوْقُ القُـوتِ لِلأَعْضَـاءِ فِـي ... تِلْـكَ المَجَـارِيْ سَـوقُهُ بِـوَازانِ

هَـذَا يَكُـونُ مِـنَ الحَـلالِ كَمَـا يَكُـو نُ مِـنْ الحَـرَامِ كِلاهُمَـا رِزْقَـانِ
واللهُ رَازِقُـــهُ بِهَــــذَا الاعْتَبَــــا رِ وَلَــيْسَ بِــالإِطْلَاقِ دُوْنَ بَيَــانِ

القيومُ

هَـذَا وَمِــنْ أَوْصَـافِهِ القَيُّــومُ والــ ـــقَيُّومُ فِـــي أَوْصَـــافِهِ أمْــرَانِ
إِحْــدَاهُمَا القَيُّــومُ قَــامَ بِنَفْسِــهِ وَالْكُــونُ قَــامَ بِــهِ هُمَــا الأمْــرَانِ
فَـــالأَوَّلُ اسْـــتِغْنَاؤُهُ عَــنْ غَيْــرِهِ وَالْفَقْــرُ مِــنْ كُــلٍّ إليــهِ الثَــانِي
وَالوْصــــفُ بِــــالقَيُّوْمِ ذُوْ شــــأنٍ كَــذَا مَوْصُــوْفُهُ أَيْضًــا عظـيمُ الشَّــانِ

الحيُّ القيومُ

وَالحَــيُّ يَتْلُــوهُ فَأَوْصَــافُ الكَمــا لِ هُمَــا لأُفْــقِ سَـمَائِها قُطبــانِ
فَـالحَيُّ وَالقَيُّـومُ لَـنْ تَتَخَلَّـفَ الـ أوْصَـــافُ أصَـــلًا عَنهُمَــا بِبَيَــانِ

القابضُ الباسطُ الخافضُ الرافعُ

هُوَ قَـابِضٌ هُوَ بَاسِطٌ هُـوَ خَـافِضٌ هُـــوَ رَافِـــعٌ بِالعَـــدْلِ وَالمِيـــزَانِ

المعزُّ المذلُّ

وَهُـــوَ المُعِـــزُّ لِأَهْــلِ طَاعَتِــهِ وذا عِــــزٌّ حَقِيقِـــيٌّ بَـــلَا بُطْـــلَانِ
وَهُـوَ المُـذِلُّ لِمَـنْ يَشَـاءُ بِذِلِـةِ الـدَّا رَيْــــنِ ذِلُّ شَــــقَا وَذِلُّ هَـــوانِ

المعطِي المانعُ

هُـــوَ مَـــانِعٌ مُعْــطٍ فَهَــذَا فَضْــلُهُ وَالمَنْـــعُ عَــيْنُ العَــدْلِ لِلْمَنَّــانِ
يُعْطِـي بِرَحْمَتِـهِ وَيَمْنَـعُ مَـنْ يَشَـا ءُ بِحِكْمَــــةٍ وَاللهُ ذُو سُـــــلْطَانِ

النورُ

وَالنُّــورُ مِــنَ أَسْــمَائِهِ أيْضًــا وَمِــنَ أَوْصَـــافِهِ سُـــبْحَانَ ذِي البُرْهَــانِ
قَـالَ ابـنُ مَسْـعُودٍ كَلَامًـا قَـدْ حَكـا هُ الـــدَّارِمِيُّ عَنْــهُ بِـــلَا نُكْــرَانِ

مَا عِنْدَهُ لَيْلٌ يَكُونُ ولا نَها ... رٌ قُلتُ تَحتَ الفُلْكِ يُوْجَدُ ذَانِ

نُورُ السَّمَواتِ العُلَى مِنْ نُورِهِ ... والأرْضِ كَيْفَ النَّجَمُ والقَمَرانِ

مِنْ نُورِ وَجْهِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ ... وَكَذَا حَكَاهُ الحَافِظُ الطَبْرَانِي

فِيهِ اسْتَنَارَ العَرْشُ والكُرسِيُّ مَعْ ... سَبْعِ الطِبَاقِ وسَائِرِ الأكْوانِ

وكِتَابُهُ نُورٌ كَذلِكَ شَرْعُهُ ... نُورٌ كَذا المَبعوثُ بِالفُرْقَانِ

وَكَذلِكَ الإيمَانُ فِي قَلْبِ الفَتَى ... نُورٌ عَلَى نُورٍ مَعَ القُرْآنِ

وَحِجَابُهُ نُورٌ فَلَوْ كَشَفَ الحِجَا ... بَ لأحْرَقَ السُبُحَاتُ للأَكْوَانِ

وَإِذْا أَتَى لِلْفَصْلِ يُشْرِقُ نُورُهُ ... فِي الأَرْضِ يَوْمَ قِيَامَةِ الأَبْدَانِ

وَكَذَاكَ دَارُ الرَّبِ جَنَاتُ العُلَى ... نُورٌ تَلَألَأُ لَيْسَ ذَا بُطْلَانِ

وَالنُّورُ ذُو نَوعَيْنِ مَخْلُوقٌ وَوَصْـ ... ـفٌ مَا هُمَا وَاللهِ مُتَّحِدَانِ

وَكَذَلِكَ المَخْلُوقُ ذُو نَوعَينِ مَحْـ ... ـسُوسٌ ومَعْقُولٌ هُمَا شَيئَانِ

احْذَرْ تَزِلَّ فَتَحْتَ رِجْلِكَ هُوَّةٌ ... كَمْ قَدْ هَوَى فِيها عَلَى الأزْمَانِ

مِنْ عَابِدٍ بِالجَهْلِ زَلَّتْ رِجْلُهُ ... فَهَوَى إِلَى قَعْرِ الحَضِيْضِ الدَّانِي

لَاحَتْ لَهُ أَنْوَارُ آثَارِ العِبَا ... دَةِ ظَنَّها الأنْوَارَ لِلرَّحْمَنِ

فأَتَى بِكُلِّ مُصِيبَةٍ وبَلِيَّةٍ ... مَا شِئْتَ مِنْ شَطْحٍ ومِنْ هَذَيانِ

وَكَذَا الحُلُولِيُّ الذِي هُوَ خَدْنُهُ ... مِنْ هَهُنَا حَقًّا هُمَا أَخَوَانِ

ويُقَابِلُ الرَجُلِين ذُو التَّعْطِيلِ والـ ... ـحُجبِ الكَثيفَةِ مَا هُمَا سِيَّانِ

ذَا فِي كَثافَةِ طَبْعِهِ وظَلَامِهِ ... وبِظُلْمَةِ التَّعْطِيلِ هَذَا الثَانِي

والنُّورُ مَحْجُوبٌ فَلَا هَذَا وَلَا ... هَذَا لَهُ مِنْ ظُلْمَةٍ يَرَيَانِ[1]

* * *

(١) من النونية الكافية الشَّافية في الانتصار للفرقة النَّاجية لابن القيم.

٢- يا من له وجب الكمال بذاته[(١)]

ابن الفرس الخزرجي

يـا مـن لـه وَجَـبَ الكمـالُ بذاتِـه فالكُـلُّ غايـةُ فـوزِهم لُقيـاهُ
أنـت الـذي لمـا تَعَـالى جَـدُّهُ قصُـرَتْ خُطا الألبـابِ دونَ حِمـاهُ
أنـت الـذي امـتلأَ الوجـودُ بحمـدِهِ لمَّـا غـدا مَـلْآنَ مـن نُعمـاهُ
أنـت الـذي خلـقَ الوجـودَ بأسـرِهِ مـن بـينِ أَعْـلَاهُ إلـى أَدْنَـاهُ
أنـت الـذي خَصَّصْـتَنا بوجودِنـا أنَـتَ الـذِي عَرَّفْتَنَـا معنَـاهُ
سُـبْحَانَ مَـن مـلأَ الوجـودَ أدلَّـةً ليلُـوحَ مـا أخفَـى بمـا أَبْـدَاهُ
سُـبحانَ مَـنْ أحْيَـا قلـوبَ عبـادِهِ بلـوائحِ مـن فَـيْضِ نـورِ هُـداهُ
هَـلْ بعـدَ معرفـةِ الإلَـهِ زيـادةٌ إلَّا اسـتدامةُ مـا يُـديمُ رِضَـاهُ
واللهِ لا آوي لغَيْـرِك إنَّـه حُـرِمَ الُهـدَى مَـنْ لـم تكـنْ مـأْوَاه
مَـوْلاي أُنسُـكَ لـم يَـدَعْ لـي وَحْشَـةً إلَّا مَحَـا ظَلْماءَهـا بِسَـنَاهُ
مـولاي جُـودُك لـم يَـدَعْ لـي مطلبًـا إلَّا وتَممَـه إلـى أَقْصَـاهُ
لـم يَنْقَطِـعْ أحـدٌ إليـكَ محجَّـةً إلَّا وأصـبحَ حامـدًا عُقبـاهُ
عَجَـزَ الأنـامُ مِـن اِمتـداحِك إنَّـهُ تَتَضَـاءلُ الأفكـارُ دونَ مَـدَاهُ
مَـنْ كَـانْ يعـرِفُ أنَّـك الحـقُّ الـذي بَهَـرَ العقـولَ فَحْسـبُهُ وَكَفَـاهُ

---

(١) تسبيح ومناجاة وثناء (ص:٩٢-٩٣).

٣- أتيتك راجيًا يا ذَا الجَلالِ[١]

أبو إسحاق الألبيري

أتيتُك راجيًا يَا ذا الجلالِ ففرِّجْ ما تَرَى من سُوءِ حَالي
عَصَيْتُك سَيِّدِي ويْلِي بجَهْلي وَعَيبُ الذنبِ لم يخطُرْ ببالي
إلى من يَشْتَكِي المملوكُ إلَّا إلى مَوْلَاهُ يا مَوْلَى المَوَالي
لَعَمْرِي ليتَ أُمِّي لَم تلِدْني ولم أُغْضِبْك في ظُلَمِ اللَّيَالي
فَهَا أنا عبدُك العَاصي فقيرٌ إلى رُحْماكَ فاقبلْ لي سُؤَالي
فإنْ عاقَبْتَ يا ربِّي تُعَاقِبْ مُحقًّا بالعذابِ وبالنَّكَالِ
وإن تَعْفو فعفْوك قد أَرَاني لِأفعالي وأوزاري الثقالِ

* * *

(١) ديوان أبي إسحاق الألبيري (ص:١١٠).

٤- إلهي وخالقي

لكَ الحمدُ يا ذا الجودِ والمجدِ والعُلا
تباركــتَ تُعطِــي مــن تَشَــاءُ وتمنــعُ
إِلهــي وَخلَّاقــي وحــرزِي[١] ومــوئلي[٢]
إِليـكَ لَـدَى الإعْسَـارِ واليُسْـرِ أفْـزَعُ
إِلهــي لِـئِن جَلَّــتْ وجَمَّــتْ خَطِيئتــي
فعفُــوُك عَــن ذنبــي أَجَــلُّ وأوسَــعُ
إلهــي لـئن أعطَيْــتَ نفســي سُــؤَالها
فهــا أنــا فــي أرضِ الندامــةِ أَرْتــعُ
إلهــي تَــرَى حــالِي وفَقْــرِي وفَــاقَتِي
وَأنـــتَ مُناجَـــاتِي الخفيَّـــةَ تَسْـــمَعُ
إلهــي فَــلَا تَقْطَــعْ رَجَــائي ولا تُــزِغْ
فُؤَادي فلي في سَيْبِ[٣] جودِك مَطْمَعُ
إلهـــي لـــئن خيَّبْتَنِـــي أو طَرَدْتَنِـــي
فَمَـنْ ذا الـذي أرجُـو ومـن لـي يَشْـفَعُ
إلهــي أجِرْنــي مــن عَــذَابِك إنَّنِــي
أَســيرٌ ذليــلٌ خــائفٌ لــك أخضَــعُ
إلهـــي فآنِسْـــنِي بتلقـــينِ حُجَّتِـــي

(١) الحرز: ما يتقى به المهالك.

(٢) الموئل: الملجأ والملاذ.

(٣) سب: عطاء.

إذا كان لي في القبرِ مَثْوَىً ومَضْجَعُ

إلهي لَئِنْ عَذَّبتَني ألفَ حِجَّةٍ
فحبلُ رَجَائِي مِنْكَ لا يتقطَّعُ

إلهي أذِقْنِي طَعْمَ عَفْوِك يومَ لا
بنونَ ولا مالٌ هنالِك ينفعُ

إلهي إذا لم تَرْعَني[1] كنتُ ضائعًا
وإن كنتَ ترعَاني فلستُ أُضيَّعُ

إلهي إذا لم تَعْفُ عن غيرِ محسنٍ
فمن لمُسيءٍ بالهَوَى يَتَمَتَّعُ

إلهي لَئِنْ فرَّطتُ في طلبِ التُّقَى
فها أنا إثر العفوِ أقفُو وأَتْبَعُ

إلهي لَئِن أخطأتُ جهلًا فطَالما
رجوتُك حتى قِيلَ هَا هُو يجزَعُ

إلهي ذنوبي جَازَتِ الطودَ[2] واعتَلتْ
وصفحُك عن ذَنْبي أَجَلُّ وأرفعُ

إلهي يُنحِّي ذِكْرُ طَوْلِك[3] لَوْعَتي
وذكرُ الخطايا العينُ منِّي تَدْمَعُ

إلهي أنِلْنِي مِنْك رُوحًا ورحمةً
فلستُ سِوَى أبوابِ فَضْلِك أقْرَعُ

---

(١) ترعني: تحفظني.

(٢) الطود: الجبل.

(٣) طولك: فضلك وإحسانك.

إلهـي لَـئِنْ أقصَـيْتَني أو طَرَدتَنـي
فمـا حِيلَتـي يـا ربِّ أم كيـفَ أصْـنَعُ؟
إلهـي حليـفُ الحـبِّ بالليـلِ سـاهرٌ
يُنَـادي ويـدعُو والمغفَّـلُ يهجَـعُ
وكلُّهُـم يرجُـو نوالـكَ راجيًـا
لرحمتِك العُظمَى وفي الخُلْدِ يَطْمَعُ
إلهـي يُمَنِّينـي رَجَـائي سـلامةً
وقـبحُ خطيئَـاتي علـيَّ يُشـيعُ
إلهـي فانشُـرْني علـى ديـنِ أحمـدٍ
تقيًّـا نقيًّـا قانتًـا لـك أَخْشَـعُ[1]

٥- هو الله[2]

علي بن أبي طالب ت

لَكَ الحَمدُ والنَّعْمَاءُ والمُلكُ رَبَّنا
ولا شَيءَ أعلَا مِنكَ مَجدًا وأمجَدُ
مَلِيكٌ على عَرشِ السَّماءِ مُهيمِنٌ
لِعِزَّتِـهِ تَعنُـو الوُجُـوهُ وَتَسـجُدُ
فَسُبحانَ مَنْ لا يَقدُرُ الخلْقُ قَدرَهُ
وَمَنْ هُوَ فَوقِ العَرشِ فَردٌ مُوحَّدُ
ومَـنْ لَـم تُنَازِعْـهُ الخَلائِـقُ مُلكَـهُ
وَإِن لَـم تُفَـرِّدهُ العِبَـادُ فَمُفـرَدُ
مَليكُ السَّمَاوَاتِ الشِّدَادِ وأرضِها
وَلَيسَ بِشَـيءٍ عَـنْ قَضَـاهُ تَـأَوُّدُ
هُوَ اللهُ بَاري الخلقِ، وَالخَلقُ كُلُّهُم
إِمـاءٌ لـهُ طَوعًـا جَميعًـا وأَعبُـدُ
وأنَّى يَكُونُ الخَلقُ كَالخَالِقِ الذِي
يُميتُ ويُحيي دَائبًا لَيسَ يَهمَدُ

(١) ديوان علي بن أبي طالب (ص:٧٨-٨٠).
(٢) رائق الزهرة: لأبي داود الأصبهاني (١٤٦/١)، والشعر منسوب لأمية بن أبي الصلت.

تُسبِّحُهُ الطَّيرُ الجوانِحُ في الخَفَا وَإِذْ هِيَ في جَوِّ السَّماءِ تُصَعِّدُ
وَمِن خَوفِ رَبِّي سَبَّحَ الرَّعدُ فَوقَنَا وسَبَّحَهُ الأشجَارُ وَالوَحشُ أبَّدُ

* * *

٦- يا من يَرَى ما في الضميرِ ويسمعُ

السهلي

يا من يرَى ما في الضميرِ ويسمعُ أنتَ المعَدُّ لكلِّ ما يُتوقَعُ
يا مَن يُرجَّى للشدائدِ كلِّها يا مَنْ إليه المُشتَكَى والمَفْزَعُ
يا مَن خزائنُ مُلكِهِ في قولِ كُنْ أُمنُنْ فإنَّ الخيرَ عندَكَ أجمعُ
ما لي سِوَى فَقْرِي إليكَ وسيلةٌ فبالافتِقَارِ إليكَ فَقْرِيَ أَدْفَعُ
ما لي سِوَى قَرْعِي لبابِك حيلةٌ فلئِن رُددتُ فأيَّ بابٍ أقرعُ
ومن الذي أدْعو وأهتفُ باسمِهِ إن كانَ فضلُكَ عن فقيرٍ يُمنعُ؟!
حاشَا لمجدِك أن تُقنِّط عاصيًا فالفَضْلُ أجزلُ والمواهبُ أوسعُ[1]

* * *

(١) البداية والنهاية (١٢/٣٩٠).

٧- عفوك اللهم

الشافعي

حدَّثَ المزنيُّ قال: دخلتُ على الشافعيِّ في مرضِه الذي مات فيه فقلتُ: كيفَ أصبحتَ؟ قال: أصبحتُ من الدنيا راحلًا، وللإخوانِ مفارقًا، ولكأسِ المنيةِ شاربًا، وعلى اللهِ ـ جل ذكرُه ـ واردًا، ولا واللهِ ما أدري روحي تصيرُ إلى الجنةِ أم إلى النارِ؟ ثم بَكَى وأنشأَ يقولُ:

إليك إلهَ الخلقِ أرفعُ رَغْبَتِي وإن كنتُ ياذا المنِّ والجودِ مجرمًا
ولما قَسَا قَلْبِي وضاقتْ مذَاهِبي جَعَلْتُ الرَّجا مِني لِعفُوِكَ سُلَّمًا
تعاظَمَنِي ذَنْبِي فلمَّا قرنتُهُ بعفوِكَ ربِّي كَانَ عفوُكَ أعظَمَا
فما زلتَ ذا عفوٍ عَنِ الذنبِ لم تَزَلْ تجُودُ وتعفُو مِنَّةً وتكرُّمَا
فلولاكَ لم يَصْمُدْ لإبليسَ عابدٌ فكيفَ وَقَدَ أَغْوَى صَفِيَّكَ آدمَا
فيا ليت شِعْري هل أصيرُ لجنَّةٍ أُهَنّا وإمَّا للسعيرِ فأنْدَما
فَلِلهِ درُّ العارفِ النَدْبِ إنَّهُ تفيضُ لفرطِ الوَجْدِ أجفانُهُ دمَا
يُقيمُ إذا ما الليلُ مدَّ ظلامَهُ على نفسهِ من شِدَّةِ الخَوْفِ مأتمَا
فصيحًا إذا ما كان في ذِكْرِ ربِّهِ وفي ما سِوَاهُ في الوَرَى كان أَعْجَمَا
ويذكُرُ أيامًا مضَتْ من شَبَابهِ وما كان فيها بالجهَالةِ أجْرَما
فصارَ قرينَ الهمِّ طولَ نهارِهِ أخا السُّهدِ[1] والنجوى إذا الليلُ أظلَمَا
يقولُ حبيبي أنتَ سُؤلي وبُغيتي كَفَى بك للراجينَ سؤلًا ومَغْنَما

(١) السهد: قلة النوم.

عَسَى من لَهُ الإحسانُ يغفرُ زلَّتي ويستُرُ أَوْزَارِي ومَا قَدْ تَقَدَّما
تعاظَمَني ذَنْبِي فأقبلتُ خاشِعًا ولولا الرِّضَا ما كنتَ يا ربِّ مُنعما
فإن تعفُ عني تَعْفُ عن مُتَمَرِّدٍ ظلُومٍ غَشُومٍ لا يزايلُ مأثما
وإن تَستقِدْ مني فلستُ بآيسٍ ولو أدخلوا نفسي بُجرمٍ جهنَّما
فجرُمي عظيمٌ من قديمٍ وحادثٍ وعفوُك يأتي العبدَ أعْلَى وأجْسَمَا
حَوَاليَّ فضلُ اللهِ من كلِّ جانبٍ ونورٌ من الرحمنِ يفترشُ السَّمَا
وفي القَلْبِ إشراقُ المحبِّ بوصْلهِ إذا قاربَ البُشْرى وجازَ إلى الحِمَى
حواليَّ إيناسٌ من اللهِ وحدَهُ يطالِعُنِي في ظلمةِ القبرِ أنجُما
أصونُ وِدَادِي أن يُدَنِّسَه الهَوَى وأحفظُ عهدَ الحبِّ أن يَتَثَلَّمَا
ففي يَقْظَتِي شوقٌ وفي غَفْوَتي مُنًى تلاحِقُ خَطْوِي نشوةً وترنُّما
ومن يَعْتَصِمْ باللهِ يسْلَمْ من الوَرَى ومن يرجُه هيهاتَ أن يتندَّما[1]

* * *

(١) ديوان الشافعي (ص:١١٤-١١٥).

٨- لك الحمدُ

لـكَ الحمـدُ حَمـدًا نسـتلذُّ بـهِ ذكـرا
وإن كنـتُ لا أُحصـي ثنـاءً ولا شـكرا
لكَ الحمدُ حَمدًا طيبًا يَمْلَأُ السَّما
وأقطارَهــا والأرضَ والبَــرَّ والبحــرا
لـكَ الحمـدُ حمـدًا سـرمَديًّا مُباركًـا
يَقِـلُّ مِـدادُ البحْـرِ عـن كُنهِـهِ حَصْـرا
لـكَ الحمـدُ تَعظيمًـا لوجهِـكَ قائِمًـا
بحقِّكَ في السَّرَّاء مِني وفي الضرَّا
لـكَ الحمـدُ مقرُونًـا بشـكرِكَ دائمًـا
لـكَ الحمـدُ في الأولى لـكَ الحمـدُ في الأُخـرى
لـكَ الحمـدُ حمـدًا طيبًـا أنـت أهلـهُ
على كلِّ حالٍ يَشْمَلُ السِرَّ والجهْرا
لــكَ الحمــدُ موصُــولًا بغيــرِ نِهايــةٍ
وأنــت إلهــي مــا أحــقَّ ومــا أحْــرَى
لكَ الحمدُ يا ذا الكبرياءِ ومن يكُن
بحَمدِكَ ذا شُكرٍ فقد أحْرَزَ الشُّكْرا
لـكَ الحمـدُ حمـدًا لا يُعُـدُّ لحاصـرٍ
أيُحْصِي الحَصَى والنَّبتَ والرَّملَ والقَطْرا
لـكَ الحمـدُ أضـعافًا مُضـاعفةً علـى

لطـائفِ مـا أحلـى لـدَينا ومـا أَمْـرا
لـكَ الحمـدُ ما أوْلاكَ بالحمـدِ والثَّنا
علـى نِعَـمٍ أتبَعتَهـا نِعمًـا تَتْـرى
لـكَ الحمـدُ حمـدًا أنـتَ وفَّقتَنِي لـهُ
وعلَّمْتَنِي مـن حَمـدِكَ النَّظمَ والنَّثرا
لـكَ الحمـدُ حمـدًا نبتَغِيـهِ وسِـيلَةً
إليـكَ لتجدِيـدِ اللَّطـائفِ والبُشـرى
لـكَ الحمـدُ كـم قلَّـدتَنا مـن صـنيعةٍ
وأبْـدَلْتَنَا بالعُسْـرِ يـا سـيدي يُسـرا
لكَ الحمدُ كم من عثرةٍ قد أَقَلْتَني
ومـن زلَّـةٍ ألبسـتَنا مَعَهـا سِـترا
لـكَ الحمـدُ كـم خصَّصْـتَنِي ورفعتَـني
علـى نُظرائـي مـن بَنـي زمَنـي قَـدْرا
لكَ الحمدُ حمدًا فيه وِردِي ومَشْرَعي
إذا خابـتِ الآمـالُ فـي السَّـنةِ الغَبْـرا
لكَ الحمدُ حمدًا ينسخُ الفقرَ بالغِنَى
إذا خِفتُ يا مَوْلايَ بعدَ الغِنى فَقْرا
إلهـي تغمَّـدني برحمَتِـكَ التـي
وسِـعَت وأوسَـعتَ البَرَايـا بِهـا بِـرّا
وقـوِّ بِـرُوحٍ منـك ضَـعْفِي وهِمَّتـي
على الحقِّ واغْفِرْ زلَّتي واقبلِ العُذرا
فـإني مـن تَـدْبيرِ حـالي وحِيلَتـي

إليـك ومـن حَـولي ومـن قـوَّتي أَبْـرَا

* * *

٩- مع الله

عمر بهاء الأميري

مَــعَ اللهِ فــي سُــبُحَاتِ الفِكَــر　مَــعَ اللهِ فــي لمحَــاتِ البَصَــرْ
مَــعَ اللهِ فــي زَفَــراتِ الحَشَــا　مَــعَ اللهِ فــي نَبَضَــاتِ البَهَــرْ[1]
مَــعَ اللهِ فــي رَعَشَــاتِ الهَــوَى　مَــعَ اللهِ فــي الخَلجــاتِ الأُخَــرْ
مَــعَ اللهِ فــي مُطْمَــئنِّ الكَــرَى[2]　مَــعَ اللهِ عنــدَ امتــدَادِ السَّــهَر
مَــعَ اللهِ آنَ اجــتلاءِ السَّــنا[3]　ونَيــلِ المُنــى والهَنــاءِ الأغَــرّ
مَــعَ اللهِ حــالَ اتِّقــادِ الأسَــى　ووَقــعِ الأذَى واحتِــدَامِ الخَطَــر
مَعَ اللهِ في حَمـلِ عِـبءِ الضَّنَى　مَــعَ اللهِ بالصَّــبر فــيمَن صَــبَر
مَــعَ اللهِ والقَلــبُ فــي نَشْــوةٍ　مَـعَ اللهِ والـنَّفسُ تَشـكُو الضَّـجَر
مَـعَ اللهِ فـي كُـلِّ بُؤسَـى ونُعمَـى　مَــعَ اللهِ فــي كُــلِّ خيــرٍ وشَــر
مَــعَ اللهِ فِــي أَمسِــيَ المُنْقَضِــي　مَــعَ اللهِ فِــي غَــدِيَ المُنْتَظَــرْ
مَــعَ اللهِ فِــي عُنْفُــوَانِ الصِّــبَا　مَعَ اللهِ فِي الضَّعْفِ عِنْـدَ الكِبَـرْ
مَــعَ اللهِ قَبْــلَ حَيَــاتِي وَفِيهَــا　وَمَـا بَعْـدَهَا، عِنْـدَ سُـكْنَى الحُفَـرْ
مَــعَ اللهِ فــي فَــيءِ[4] فِرْدَوْسِــهِ　مَــعَ اللهِ فِــي عَوذِنَــا مِــنْ سَــقَرْ
مَـعَ اللهِ فِـي نَبْـذِ مَـا قَـدْ نَهَـى　مَــعَ اللهِ بِالسَّــمْعِ فِيمَــا أَمَــرْ
مَــعِ اللهِ فِــي الجِــدِّ مِــنْ أَمْرِنَــا　مَــعَ اللهِ فِــي جَلَسَــاتِ السَّــمَرْ

(١) البهر: ما يعتري الإنسان عند السعي الشديد والعدو من النهج وتتابع النفس.
(٢) الكرى: النوم.
(٣) السنا: الضوء.
(٤)فيء: هو الظل.

مَعَ اللهِ فِي خَلَوَاتِ اللَّيَالِي ... مَعَ اللهِ فِي الرَّهْطِ وَالمُؤتَمَر
مَعَ اللهِ فِي حُبِّ أَهْلِ التُّقَى ... مَعَ اللهِ فِي كُرْهِ مَنْ قَدْ فَجَرْ
مَعَ اللهِ فِي مُدْلَهِمِّ(١) الدُّجَى ... مَعَ اللهِ عِنْدَ انبِلَاجِ السَّحَرْ
مَعَ اللهِ فِي لَألآتِ النُّجُومِ ... وَحَبْكِ(٢) الغُيُومِ وَضَوْءِ القَمَرْ
مَعَ اللهِ وَالشَّمْسُ تَكْسُو الدُّنَى ... مَعَ اللهِ وَالشُّهْبِ كَرٌّ وَفَرْ
مَعَ اللهِ عِنْدَ هَزِيمِ الرُّعُودِ ... وَلمعِ البُرُوقِ وَدَفْقِ المَطَرْ
مَعَ اللهِ فِي الفَلَكِ المُسْتَطِيرِ ... وَفِي الشَّمسِ تَجرِي إِلَى مُسْتَقَر
مَعَ اللهِ فِي الأَرْضِ فِي سَهْلِهَا ... وَأَودَائِهَا وَالرَّواسِي الكُبَرْ
مَعَ اللهِ فِي البَحْرِ مِلْحٌ أُجَاجٌ ... مَعَ اللهِ فِي سَلسَبِيلِ النَّهَرْ
مَعَ اللهِ فِي نَأَمَاتِ(٣) الوُجُودِ ... مَعَ اللهِ فِي كُلِّ مَا قَدْ فَطَرْ
مَعَ اللهِ فِي سَكَنَاتِ الحَيَاةِ ... مَعَ اللهِ فِي حَرَكَاتِ الحَجَرْ
مَعَ اللهِ فِي نَسَمَاتِ الرِّيَاحِ ... اللَّوَاقِحِ تَخطُرُ بَيْنَ الشَّجَرْ
مَعَ اللهِ فِي نَفَحَاتِ الشَّذَا ... مَعَ اللهِ مِلءَ ثُغُورِ الزَّهَرْ
مَعَ اللهِ فِي الحَقْلِ حُلْوِ الجَنَى ... مَعَ اللهِ فِي الرَّوضِ دَانِي الثَّمَرْ
مَعَ اللهِ سَامِعِ صَوْتِ الدَّبِيبِ ... مِنَ النَّمْلِ أَنَى وَأَيَّانَ مَرْ
مَعَ اللهِ وَالنَّحْلُ يَحسُو الرَّحِيقَ ... وَيَحمِي جَنَاهُ بَوخْزِ الإِبَرْ
مَعَ اللهِ فِي رَفرَفَاتِ الفَرَاشِ ... تَلَامَعُ فِي الشَّمْسِ مِثلَ الدُّرَرْ
مَعِ اللهِ وَالطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا ... وَتَنْعَمُ بِالرِّزْقِ مُنذُ البُكَرْ

---

(١) مدلهم: شديد الظلمة.
(٢) حبك الغيوم: طرائقها.
(٣) نأمات الوجود: أحواله الخفية.

مَـعَ اللهِ فِـي سَـيْرِ وَحـشِ الفَـلَاةِ بِهَـــدي الغَرائِـــزِ تَقضِـــي الـــوَطَرْ
مَـــعَ اللهِ يَـــنْفُخُ مِـــنْ رُوحِـــهِ عَلَـــى حَمَـــإٍ فَيَكُـــونُ البَشَـــرْ
مَـــعَ اللهِ مَـــا اخْتَلجَـــتْ نُطْفَـــةٌ بِـــــرُوحِ خَفِـــيٍّ وَمَـــا ذَرَّ ذَرْ
مَـــعَ اللهِ فِيمَـــا سَـــيَذْرَأُ مِـــنْ نُفُـــوسٍ و فيمـــا مَضَـــى وَانـــدَثَرْ
مَـعَ اللهِ مَـا اخْتَلفَـتْ فِـي الأنَـامِ طَبَـــائِعُ أُنثَـــاهُمُ و الـــذَّكَرْ
مَـعَ اللهِ مَـا افتَرَقَـتْ فِـي الـوَرَى لُغَـــاهُمْ وَألـــوَانُهُمْ وَالصُّـــوَرْ
مَـــعَ اللهِ نَـــوَّعَ أَشـــكَالَهُم وَخَـــصَّ أنَـــامِلَهُم بِـــالأَثَرْ
مَـــعَ اللهِ مَيَّـــزَ أَذوَاقَهُـــمْ فَكُـــلٌّ لَـــهُ فِـــي هَـــواهُ نَظَـــرْ
مَـعَ اللهِ فِـي سَـبْرِ كُنْـهِ الوُجُـودِ وَرُوحِ الحَيَـــاةِ وَسِـــرِّ القَـــدَرْ
مَـعَ اللهِ فِـي عَـالَمِ المُـدْرَكَاتِ وَفِـي الغَيْـبِ مِـنْ كَائِنَـاتٍ أُخَـرْ
مَـــعَ اللهِ فِيمَـــا بَـــدَا وَانْتَشَـــر مَـــعِ اللهِ فِيمَـــا انْطَـــوَى وَاسْـــتَتَرْ
مَـــعَ اللهِ وَفْـــقَ نَوَامِيسِـــهِ مَـــعِ اللهِ رَهْـــنَ القَضَـــا وَالقَـــدَر
مَـعَ اللهِ فِـي بَعْثِـهِ المُرْسَـلِينَ هُـــدَاةً دُعَـــاةً إِلَـــى مَـــا أَمَـــرْ
مَـــعَ اللهِ فِـــي وَحْـــيِ قُرآنِـــهِ مَـــعَ اللهِ فِـــي آيِـــهِ وَالسُّـــوَرْ
مَـعَ اللهِ فِـي قَصَـصِ الأَوَلِـين وَفِـــي قَصَـــص الأَوَلِـــينَ العِبَـــرْ
مَـعَ اللهِ طَوعًـا مَـعَ اللهِ سَـوقًا فَمَـــا مِـــنْ مَـــلَاذٍ وَلَا مِـــنْ وَزَرْ
مَـعَ اللهِ وَالفَـيْضُ مِـنْ قُدْسِـهِ يُنِيـــرُ بَصِـــيرَتَنَا وَالبَصَـــرْ
وَيَـــدفَعُ أَعْمَـــاقَ إِيمَانِنَـــا فِـــرَارًا إِليـــه ونعـــمَ المفـــرّ

* * *

١٠- لك الأمر وحدك

للشاعر محمد العلائي

لك الأمرُ لا يدري عبادُك ما بِيَا
لك الأمرُ لا للنَّاصِحينَ ولا لِيَا
وهذي مَعَاذِيري وتلكَ صَحَائفٌ
عليها خَطَاياي.. وفيها اعترافِيَا
وفيها من الأمسِ الدفينِ وحاضِري
وفيها من الآتي وفيها ابتِهَاليا
وفيها تهاويلٌ .. ومهجةُ شاعرٍ
ينامُ بها يأسًا ويصْحُو أَمَانيا
وفيها أعاجيبٌ يكفِّرُ همُّها
ذنوبي وإن كانتْ جِبَالًا رواسِيا!
ونازعني شوقٌ إليك وهَزَّني
من الغيبِ ما يهفُو إليه رَجَائيا
فجئتُ من الدنيا الأثيمةِ هاربًا
بصَفْويَ من أكْدَارِها ونَقَائِيَا
وناديتُ أحلَامي إليكَ وخَافقًا
تهيَّب أسبابَ المُنَى والتمادِيا!
أناديك في ضَعفٍ وأخجلُ أن ترَى
جراحَ أمانيه ولونَ دِمَائيا
لك الأمرُ أشواقي ببابِك والمنَى

ولـي أمـلٌ ألَّا يطـولَ انتظارِيَـا
لك الأمرُ ما لي أرتجيك فيَلْتَوِي
لسـاني وأمضِـي بالتوسُّـلِ شَـاكِيا
ذكرتُك في نفسٍ هَـدَاها ضلالُها
إليك وعافتْ وِحْدَتي وارتِيَابِيا
ومنَّيتُ رُوحي من سَنَاك بلمْحَةٍ
أُضمِّدُ آلامي بها وجِرَاحِيا
تعاليتَ لم أذكُرْ سواك بمِحْنَتِي
ولم أرجُ إلا مِنْ يدَيْك جَزَائِيا
وفوَّضتُ عن عِلْمٍ إليك إِرَادتي
وَحَسْبي ما أدَّى إليه اخْتِيَاريا
لك الأمرُ شَاقْتنِي سماؤُك وانتَهى
إليك بأحلامِ الضَّميرِ مَطَافِيا
وأنزلتُ آمالي وفيها ملامِحٌ
تَردُّ أمَامي ما تركتُ وَرَائِيا!
يُطَالِعُنِي منها زمانٌ عرفتُهُ
بريحِ ليالِيه ولونِ سُهَادِيا!!
ضياؤُك أغْرَى باليقينِ جَوَارِحي
وفَجَّرَ أَعْمَاقي وأفضى بِذَاتِيا
لك الأمرُ أسبابٌ ضعافٌ وخَاطري
ببابِك يخشَى رَجْعَتِي وانْحِرَافيا
دعوتُك مِلءَ النفسِ ألا تردَّه

مغيظًا وألَّا تستعيدَ سُؤَالِيا
وحاشَاك أن ترضَى مع النفسِ مذهَبًا
بغيرِ يقينٍ منك يهدِي شُعَاعِيا
لك الأمرُ هذا من يديك عدالةٌ
وهذا قليلٌ في مقامِ اتِّصَالِيا
أتيتُك والحقُّ الصريحُ يمُدُّني
إليك ولحنُ البشرِ ملءُ فؤاديا
وفي النفسِ فجْرٌ من يقينٍ ومَوْكِبٌ
من الخيرِ يحدُوهُ إليك وَلَائِيا
وفيها رجاءٌ فاضَ منك جلالُه
وآفاقُ نورٍ يَسْتَحِيها ضِيَائيا
وأحببتُ حتى أَسْكَرَتْنِي مَوَدَّتي
وذابَ يميني رحمةً وشِمَالِيا
وهامَتْ بآلامِ الحياةِ وسَائِلي
وفاضَتْ على ما ليسَ مني هِبَاتِيا
وأرسلتُ أنسَامي عبيرًا وبهجةً
لتنفحَ أشواكَ الرُّبى والأفَاعِيا
وآمنتُ حتى كادَ يذهبُ خَاطِري
وتصعَدُ أنفاسًا إليك حَيَاتِيا!
ولم يبقَ حرفٌ منك إلا أسرَّهُ
ضَمِيري وأبدتْه إليك سَمَائيا!!
لك الأمرُ آفاقٌ تَرَاءَتْ لخَوَاطِري

وعـــاوَدَني منهــا دبيـــبُ شِـــكَاتيا!
وذكرنـــي بِشْـــرُ المســـاءِ منـــازِلًا
أتيتُـك منهـا عـابسَ الوجـهِ دامِيَـا
أقلِّـــبُ أَوْهَـــامي يمينًـــا ويُسْـــرَةً
وأرفـــعُ آمـــالًا إليـــك رَوَانِيـــا!!
ينـــازِعُني مـــاضٍ شَـــرِقْتُ بعَذْبِـــهِ
وراودتُ فيــه مــا أشــابَ النَّواصِــيَا
إذا طـافَ منه حـولَ نفسِـي طـائفٌ
ذكــرتُ زمــاني والســنينَ الخَوَاليـا
هنــاك وفــي أرضٍ عليهــا مَلَاعِبِــي
وأطيـــافُ آبـــائي ولغـــوُ دِيارِيـــا
وفيهـــا تَعِلَّاتـــي ورَاحُ مَشَـــارِبي
وزلاتُ أَهْـــوَائِي ودمـــعُ مَتَابِيـــا
وأحْلَامِــي المــوتَى وذاتُ مــواجِعي
وأطـــلالُ مأْســـاتِي ورجـــعُ بَلَائِيـــا
لـك الأمـرُ ألهـاني حـديثٌ أعـادَهُ
عليـك ضَـمِيري واسـتحَاه لِسَـانِيا!
وأسرفتُ في ذكرِ المساءِ ولـم أكُنْ
لأُسـرفَ لـولا رجفـةٌ مـن صَـبَاحِيا
لـك الأمـرُ نـادتْ بالرحيـلِ خَـوَاطري
وهبَّـتْ على نَفْسِـي ريـاحُ اغْتِرَابِيـا
وذكَّرتُهـــا أنَّ الشـــعابَ جديـــدةٌ

وأن عليهـــا مـــن سَــنَاك هَوَادِيـــا!
وأنَّ شـعابَ الأمـسِ واجهـتُ غَيَّهـا
علـى غيـرِ إيمـانٍ فكانـت مَهَاوِيـا!!
لـك الأمـرُ مـالي فـي وداعِـك باهتًـا
ومـالي أَخْطُـو شـاحبَ الـنفسِ نَائِيـا
لـك الأمرُ لاحَتْ من بعيـدٍ مَـذَاهِبِي
وآذنَ حاديهـــا وآنَ ارتحَالِيـــا!!
ورَفَّـتْ عليهـا مـن سَـنَاكَ مـآثرٌ
ورَفَّـــتْ عليهـــا غَـــايَتِي وَصَـــلاتِيَا
تنسّـمتُ أمـواجَ الرحيـلِ وأشـرفَتْ
عَلَـــيَّ أمانِيـــه فبـــارِكْ شِـــرَاعيا(١)

* * *

(١) الله أهل الثناء والمجد (ص:١٦٦-١٧١).

١١- وإياكَ لا تجْعَلْ مع اللهِ غَيْرَه

زيد بن عمرو بن نفيل

إِلَــى اللهِ أُهْــدِي مِــدْحَتي وثَنَائِيــا ... وَقَــولًا رَضِــيًّا لَا يَنِــي الَــدَّهرَ بَاقِيَــا
إِلَى المَلِكِ الأَعْلَى الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ ... إِلَـــهٌ وَلَا رَبٌّ يَكُـــونُ مُـــدَانِيَا
أَلَا أَيُّهَـا الإِنْسَـانُ إِيَّـاكَ وَالـرَّدَى ... فَإِنَّــكَ لَا تُخْفِــي مِــنَ اللهِ خَافِيَــا
وَإِيَـاكَ لَا تَجْعَـلْ مَـعَ اللهِ غَيْـرَهُ ... فَـإِنَّ سَـبِيلَ الرَّشْـدِ أَصْـبَحَ بَادِيَـا
حَنَانَيْـكَ إِنَّ الجِـنَّ كَانَـتْ رجَـاءَهُم ... وَأَنْـــتَ إِلَهِـــي رَبُّنَـــا وَرَجَائِيَـــا
رَضِـيْتُ بِـكَ اللَّهُـمَّ رَبًّـا فَلَـنْ أُرَى ... أَدِيــنُ إِلَهَـا غَيْــرَكَ اللهُ ثَانِيَـا
وَأَنْتَ الَّـذِي مِـنْ فَضْـلِ مَنٍّ وَرَحمَـةٍ ... بَعَثْـتَ إِلَـى مُوسَـى رَسُـولًا مُنَادِيَـا
فَقُلْـتَ لَـهُ اذْهَـبْ وَهَـارُونَ فَـادعُوَا ... إِلَـى اللهِ فِرْعَـوْنَ الَّـذِي كَـانَ طَاغِيَـا
وَقُــولَا لَــهُ آأَنْــتَ سَــوَّيتَ هَــذِهِ ... بِـلَا وَتَـدٍ حَتَـى اطْمَأَنَّـتْ كَمَـا هِيَـا
وَقُـولَا لَـهُ آأَنـتَ رَفَّعْـتَ هَـذِهِ ... بِــلَا عَمَــدٍ أرفِــقْ إِذًا بِــكَ بَانِيَــا
وَقُـولَا لَـهُ آأَنْـتَ سَـوَّيْتَ وَسْـطَهَا ... مُنِيــرًا إِذَا مَــا جَنَّــهُ اللَّيــلُ هَادِيَــا
وَقُـولَا لَـهُ مَـنْ يُرْسِـلُ الشَّـمْسَ غَـدْوَةً ... فَيُصْـبِحُ مَـا مَسَّـتْ مِـنَ الأَرْضِ ضَـاحِيَا
وَقُولَا لَهُ مَنْ يُنْبِتُ الحَبَّ فِي الثَّرَى ... فَيُصْــبِحُ مِنْــهُ البَقْــلُ يَهْتَــزُّ رَابِيَــا
وَيُخْــرِجُ مِنْــهُ حَبَّــهُ فــي رُؤسِــهِ ... وَفِـي ذَاكَ آيَـاتٌ لِمـنْ كَـانَ وَاعِيَـا
وَأَنْـتَ بِفَضْـلٍ مِنْـكَ نَجَّيْـتَ يُونُسـا ... وَقَدْ بَاتَ فِي أَضْعَافِ حُوتٍ لَيَالِيَا
وَإِنِـي لَـوْ سَـبَّحْتُ بِاسْـمِكَ رَبَّنَـا ... لَأُكْثِـرُ إِلَّا مَـا غَفَـرْتَ خَطَايَـا
فَــرَبَّ العِبَــادِ أَلْــقِ سَــيْبًا وَرَحْمَــةً ... عَلَـيَّ وَبَـارِك فـي بَنِـيَّ وَمَالِيـا[(١)]

(١) الروض الأنف (٣٨٦/١).

* * *

١٢- أسلمت وجهي إليك

زيد بن عمرو بن نفيل

وَأَسْلَمتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمتْ لَهُ الأرضُ تَحْمِلُ صَخرًا ثِقالا
دَحَاهَا فَلَمَّا رآها استَوَتْ عَلَى المَاءِ أَرسى عليها الجِبالا
وَأَسْلمتُ وَجهِي لمَنْ أسلمتْ لهُ المُزنُ تَحْمِل عَذْبًا زُلَالًا
إذا هِي سِيقَتْ إلى بَلدةٍ أطَاعَتْ فَصَبَّتْ عليها سِجالا[1]

* * *

(١) الروض الأنف (٣٨٩/١).

١٣- قريح القلب

علي بن أبي طالب ت

قـريحُ القلـبِ مـن وجَـعِ الـذنوبِ نحيـلُ الجِسْـمِ يشـهَقُ بالنحيـبِ
أضـرَّ بجسـمِهِ سَـهَرُ الليـالي فصـارَ الجِسْـمُ منـه كالقضـيبِ
وغيَّـرَ لونَـهُ خـوفٌ شـديدٌ لِمـا يلقـاهُ مـن طـولِ الكُـروبِ
ينـادي بالتضـرُّعِ يـا آلهـي أقِلنـي عَثْرتـي واسْـتُر عُيـوبي
فزِعـتُ إلـى الخلائِـقِ مسـتغيثًا فلـم أرَ فـي الخلائـقِ مـن مُجيـبِ
وأنـتَ تُجيـبُ مـن يـدعُوكَ ربِّـي وتكشِـفُ ضُـرَّ عبـدِكَ يـا حبيبـي
ودائـي بـاطنٌ ولَـديْك طِـبٌّ فمـن لـي مثـلُ طِبِّـك يـا طَبيبـي[1]

* * *

(١) ديوان علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ص:٤٣).

١٤- إلهي وسيدي

رضيّ الدين الغزي

إِلَهِي سَيِّدِي رَبِّي أَغِثنِي   وَخُذْ بِيَدِي وَمِنْ بُعدِي أَجِرنِي
إِلَهِي قَدْ جَنَيْتُ وَأَيُّ عَبدٍ   ضَعيفِ الخَلقِ مِثلِي لَيْسَ يَجْنِي
إِلَهِي لَيْسَ أَجْدَرُ بِالخَطَايَا   وَبِالتَّقْصِيرِ والزَّلَّاتِ مِنِّي
إِلَهِي لَو أَتَيْتُ بِكُلِّ ذَنْبٍ   فَلَا أَوْلَى بَعَفوٍ مِنْكَ عَنِّي
إِلَهِي أَنْتَ ذُو صَفْحٍ جَمِيلٍ   وَجُودٍ وَاسِعٍ وعَظِيمِ مَنِّ
إِلَهِي مَا عَصَيتُ بِغَيْرِ عِلْمٍ   وَلَا أَبَدًا أَطَعتُ بِغَيرِ إِذنِ
إِلَهِي إِنْ أَطِعْ فَبِمَحضِ فَضْلٍ   وَإِنْ أَعصِ فَمِنْ نَقْصٍ وَوَهنِ
إِلَهِي مَا لِعَبدٍ حُجَّةٌ فِي   تحَمُّلِهِ الجِنَايَةَ والتَّجَنِّي
إِلَهِي إِنَّ حُجَّتَكَ الَّتِي قَدْ   عَلَا بُرهَانُهَا مِنْ غَيْرِ طَعْنِ
إِلَهِي لَيْتَنِي لَوْ كُنتُ عَبدًا   بِلَا خَطَإٍ وَهَلْ يُجْدِي التَّمَنِّي
إِلَهِي لَيْتَنِي لَا كُنتُ إِذْ لَمْ   أُطِعْكَ وَلَيْتَ أُمِّي لم تَلِدْنِي
إِلَهِي إِنَّ خَوفِي زَادَ لَولَا   رَجَائِي مُتُّ مِنْ هَمٍّ وَحُزْنِي
إِلَهِي مَنْ يُنَاقَشْ فِي حِسَابٍ   يُعَذَّبْ مِنْهُ يَا رَبِّي أَقِلنِي
إِلَهِي أنتَ قَهَّارٌ حَلِيمٌ   بِحَقٍّ مِنْكَ يَا ذُخرِي أَعِذنِي
إِلَهِي لَيْسَ إِلَّا أَنتَ رَبِّي   فَلَا أَبَدًا بِغَيرِكَ تَمتَحِنِّي
إِلَهِي إِنْ أَسَأْتُ بِغَيرِ عِلمٍ   فَإِنِّي فِيكَ قَدْ أَحسَنْتُ ظَنِّي
إِلَهِي أَنْتَ قَدْ حَقَّقْتَ فقْرِي   إِلَيْكَ وَلَيْسَ شَيءٌ عَنْكَ يُغنِي
إِلَهِي إِنَّنِي أَخشَى وَأَرجُو   أَمَانًا مِنْكَ فَامْنُنْ لِي بِأَمْنِ
إِلَهِي غَيرُ بَابِكَ فِي أُمورِي   إِذَا مَا ضِقْتُ ذَرعًا لم يَسَعنِي

إلَهِـي قَـدْ رَجَعْـتُ إليـكَ عَمَّـا سـواكَ فـلا إلـى غيـرِك تَكِلْنـي
إلهِـي مِثْـل مـا أحْسَـنْتَ بـدءًا ففـي العُقبـى بِحَقِّـك لا تسُـؤني
إلهِـي مـن يُعـينُ علـى وصُـولي إلـى مَـا تَرْتَضِـي إن لـم تُعِنّـي
إلَهِـي مَـنْ سِـوَاكَ يُزِيـلُ هَمِّـي وَمَـنْ أدعُـوهُ مُضـطَرًّا يُجِبنِـي
إلَهِي لَسـتُ أُحصِـي مَا بِـهِ قَـدْ مُنِحتُ مِنَ العَطَاءِ بِلَا تَعَنِّي[1]

* * *

١٥- أفرُّ إليك منك

أبو نواس

أيـا مَـنْ لَـيسَ لي مِنْـهُ مُجِيـرُ بِعَفْـوِكَ مِـنْ عَـذَابِكَ أَسـتَجِيرُ
أنـا العَبـدُ المُقِـرُّ بِكُـلِّ ذَنـبٍ وأنـتَ السَّـيِّدُ المولَى الغَفُـورُ
فَـإِنْ عَـذَّبْتَنِي فَبِسُـوءِ فِعلِـي وإنْ تَغْفِـرْ فَأنـتَ بِـهِ جَـدِيرُ
أَفِـرُّ إليــكَ مِنْــكَ وأَيْــنَ إلَّا يَفرُّ إليكَ مِنْكَ المُستَجِيرُ[2]

(١) الكواكب السائرة (١/١٥) ط. المكتبة الشاملة الإلكترونية.
(٢) ديوان أبي نواس (١/٦٨).

١٦- تبارك ذو الجلالِ وذو المحال

يحيى بن معاذ

تبـارَكَ ذُو الجـلالِ وذو المحَـالِ عَزيـزُ الشَّـأْنِ مَحْمُـودُ الفِعَـالِ
سُـروري بالسُّـؤالِ لكـي أراهُ فكيـف أُسَـرُّ منـه بـالنوَالِ
فيـا ذَا العِـزِّ! يـا ذا الجُـودِ! جُـدْ لِـي وغيِّر مَا تَـرَى من سُوءِ حالِي(١)

* * *

١٧- ولكنني في رحمةِ اللهِ أطمعُ

علي بن أبي طالب ت

ذُنـوبيَ إنْ فَكَّـرتُ فيهـا كثيـرةٌ ورحمـةُ ربِّـي مِـنْ ذُنـوبيَ أَوْسَـعُ
فما طمَعي في صالحٍ قد عملتُهُ ولكنَّني في رحمـةِ اللهِ أطْمَـعُ(٢)

* * *

(١) الحلية (١٠/٦٣).
(٢) ديوان علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ص:٧٧).

١٨- إلهي أنت للإحسانِ أهلٌ

إلهــي أنــتَ للإحســانِ أهــلٌ ومنـك الجـودُ والفضـلُ الجزيـلُ
إلهـي بـاتَ قلبـي فـي همـومٍ وحــالي لا يُسَــرُّ بــه خليــلُ
إلهي تُـب وجُـد وارحـمْ عُبيْـدًا مِــنَ الأَوْزَارِ مدمعُــهُ يســيلُ
إلهـي ثـوبُ جِسْـمِي دنّسَـتْهُ ذنــوبٌ حملُهــا أبــدًا ثقيــلُ
إلهـي جُـد بعفـوِك لـي فـإني علـى الأبـوابِ منكَسِـرٌ ذليـلُ
إلهـي خـانَني جَلَـدي وصَـبْري وجـاء الشـيبُ واقتـربَ الرحيـلُ
إلهــي داوِنــي بــدواءِ عفــوٍ بــه يُشــفَى فــؤادي والغليــلُ
إلهـي ذابَ قلْبِـي مـن ذُنـوبي ومـن فِعْـلِ القبـيحِ أنـا القتيـلُ
إلهـي قلـتَ ادعُـوني أُجِـبكُمُ فهـاك العبـدُ يـدعُو يـا وكيـلُ
إلهـي هـذه الأوقـاتُ تمضِـي بأعمــارٍ لنــا وبهــا تــزولُ(١)

* * *

(١) مناجاة ختم بها الدكتور علي محمد الصلابي كتابه في السيرة النبوية (ص:٨٩٥).

١٩- عظُمت صفاتُك يا عظيم

الأصمعيّ

يـا فَـاطِرَ الخلـقِ البَـدِيعِ وكَـافِلًا
رِزقَ الجَميـعِ سَـحَابُ جُـودِكَ هَاطِـلُ
يـا مُسـبِغَ البِـرِّ الجَزِيـلِ ومُسـبِلَ الـ
ـسَّترِ الجَمِيـلِ، عَمِـيمُ طَولِـكَ طَائِـلُ
يـا عَـالِمَ السِّـرِ الخَفِـيِّ ومُنجِـزَ الـ
ـوَعْدِ الـوَفِيِّ، قَضَـاءُ حُكمِـكَ عَـادِلُ
عَظُمَـتْ صِـفَاتُكَ يَـا عَظِـيمُ فَجَـلَّ أَن
يُحصِـي الثَّنَـاءَ عَلَيـكَ فِيهَـا قَائِـلُ
الـذَّنبُ أنـتَ لَـهُ بِمَنِّـكَ غَـافِرٌ
ولِتَوبَـةِ العَاصِـي بِحِلمِـكَ قَابِـلُ
رَبٌّ يُرَبِّـي العَـالَمينَ بِبِـرِّهِ
ونَوَالُـهُ أبَـدًا إلـيهم وَاصِـلُ
تَعصِـيهِ وهـوَ يسُـوقُ نَحـوَكَ دَائِمًـا
مَـا لا تكُـونُ لبَعضِـهِ تَسـتَأهِلُ
مُتَفَضِّـلٌ أبَـدًا وأنـتَ لِجُـودِهِ
بِقَبَـائِحِ العِصـيَانِ مِنـكَ تُقَابِـلُ
وإذا دَجَـى لَيـلُ الخُطُـوبِ وأظلَمَـتْ
سُبلُ الخَلَاصِ وخَابَ فِيهَا الآمِلُ
وأيسـتَ مـن وَجْـهِ النَّجَـاةِ فَمَـا لَهَـا

سَـــببٌ ولَا يَـــدنُو لَهَـــا مُتَنَـــاوِلُ

يَأتِيـكَ مِـن أَلطَافِـهِ الفَـرَجُ الـذِي

لَـمَ تَحتَسِـبهُ وأنْـتَ عَنـهُ غَافِـلُ

يـا مُوجِـدَ الأشـيَاءِ مَـنْ ألقَـى إِلَـى

أبـوَابِ غَيـرِك فَهُـوَ غِـرٌّ جَاهِـلُ

ومَـنِ اسـتَرَاحَ بِغَيـرِ ذِكـرِكَ أو رَجَـا

أحَـدًا سِـوَاكَ فَـذَاكَ ظِـلٌّ زَائِـلُ

عَمَـلٌ أرِيـدَ بِـه سِـوَاكَ فَإنَّـهُ

عَمَلٌ . وإنْ زَعَمَ المُرَائِي . بَاطِلُ

وإِذَا رَضِـيتَ فَكُـلُّ شَـيءٍ هَـيِّنٌ

وإذَا حَصَـلتَ فَكُـلُّ شَـيءٍ حَاصِـلُ

قـد أَثقَلَـت ظَهـري الـذُنُوبُ وَسَـوَّدَت

صُـحُفي العُيُـوبُ وسِـترُ عَفـوِكَ شَـامِلُ

هَـا قَـدْ أَتَيـتُ وَحُسـنُ ظَنِّـي شَافِعِي

وَوَسَـائِلي نَـدَمٌ ودَمـعٌ سَـائِلُ(١)

فـاغفِر لِعَبـدِكَ مَـا مَضـى وَارزُقـهُ تَـو

فِيقًـا لِمَـا تَرضَـى فَفَضـلُكَ كَامِـلُ

وافعَـل بِـهِ مَـا أنـتَ أهـلُ جَمِيلِـهِ

(١) هذه إحدى شروط التوبة: ١- الندم. ٢- الإقلاع. ٣- العزم على عدم المعاودة.

والظَّـنُّ كُـلَّ الظَّـنِّ أنَّـكَ فَاعِـلُ[١]

* * *

(١) ذكر القصيدة الدميري في حياة الحيوان الكبرى (١٧/٢)، وقد حكاها الأصمعيُّ عن غلام.

٢٠- عرفتك يا إلهي

عبد الرحمن حبنكة

إلَهِي

عَرَفْتُـكَ مِـنَ كُـلِّ شَـيءٍ ظَهَـرْ — عَرَفْتُـكَ مِمَـا اَختَفَـى وَاسْـتَتَرْ
عَرَفْتُـكَ مِـنَ حَاضِـرَاتِ الوُجُـودِ — وَمِمَـا مَضَـى فِـي زَمَـانٍ غَبَـرْ
عَرَفْتُـكَ مِـنَ لَفَحَـاتِ الرِّيَـاحْ — وَمِـنْ نَفَحَـاتِ نَسِيمِ السَّحَرْ
عَرَفْتُـكَ مِـنَ وَطْـأَةِ الحَادِثَـاتِ — وَمِـنَ رِقَـةٍ مِثْـلِ خَمْـلِ الزَّهَـرْ
عَرَفْتُـكَ مِـنَ حِكَـمٍ غُلِّفَـتْ — بِمَظْهَـرِ خَيْـرٍ وَمَظْهَـرِ شَـرْ
عَرَفْتُـكَ مِـنَ كُـلِّ عُمْـقٍ لَـدَيّ — عَرَفْتُـكَ مِـنَ مَسْـمَعِي وَالبَصَـرْ
عَرَفْتُـكَ مِمَـا وَرَاءَ الشُّـعُورِ — عَرَفْتُـكَ مِـنْ كُـلِّ شَـيءٍ شَـعَرْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

إلَهِي

فَطَـرتَ حَيَـاتي عَلَـى الفَقـرِ لَـكْ — وَفِكـرِي وَقَلبِـي علَـى العِلـمِ بِـكْ
وَنَفسِـي عَلَـى حُـبِّ مَا قَدْ وَهَبَتْ — ورُوحِـي عَلَى الأُنْسِ فِي حَضـرَتِكْ
لِـذَلِكَ يَـا رَبِّ آمَنـتُ بِـكْ — خُضُـوعًا وَحُبًّـا وأسـلَمْتُ لَـكْ
عَلَى رُغـمِ أنـفِ الجَحُـودِ الكَنُود — آمنـتُ بِـكْ ثُـمَّ آمَنـتُ بِـكْ
رَضَـيتُكَ رَبًّـا فأَذلَلـتُ قَلبًـا — وَرُوحًـا ولُبًّـا إلـى عِزَّتِـكْ
وَأَخضَـعتُ نَفسِـي وَفِكـرِي وَحِسِّـي — وَوَجهـي وَرَأسِـي إلـى قُـدرَتِكْ
وسَـلَّمْتُ أمـرِي بِجَهـرِي وسـرِّي — وَخَيـرِي وَشَـرِّي إلـى حِكْمَتِـكْ
صَـلَاتِي ونُسـكِي خُشُـوعِي وَحُبِّـي — خُضُـوعي وَقُربِـي إلـى حَضـرَتِكْ
ومَحيـايَ رَبِّـي وغُفـرَانُ ذَنبِـي — ومَـوتِي وبَعثِـي إلـى رَحمَتِـكْ

إِلَهِـــي إِلَهِـــي تَبَارَكْـــتَ فِـــي عُـــلَاكَ فَـــإِنِّي آمنـــتُ بِـــكْ
إِلَهِـــي إِلَهِـــي تَعَالَيْـــتَ فِـــي سَـــنَاكَ فَـــإِنِّي أسـلَمتُ لَـــكْ

إِلَهِي

عَرَفْتُـكَ مِـنْ لَامِعَـاتِ الأُفُـقْ عَرَفْتُـكَ مِـنَ مُوحِشَـاتِ الغَسَـقْ
عَرَفْتُـكَ مِـنْ نَفَحَـاتِ الفَلَـقْ عَرَفْتُـكَ مِـنَ خَلقِكَ المُتَّسِـقْ
بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

عَرَفْتُـكَ مِـنْ بَهْجَـةٍ فِي القَمَـرْ عَرَفْتُـكَ مِـنَ نَسْـمَةٍ فِي السَّـحَرْ
عَرَفْتُكَ مِـنَ بَسْـمَةٍ فِي الزَّهَـرْ عَرَفْتُـكَ مِـنَ نَامِيَـاتِ الشَّـجَرْ
بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

عَرَفْتُـكَ مَـا لَاحَ نُـورٌ وَنَـارْ وَمَهْمَـا يَـدُرْ كَوكَـبٌ فِـي مَـدَارْ
عَرَفْتُـكَ مَهْمَـا الزَّمَـانُ اسْـتَدَارْ وَمَهْمَـا أَتَـى اللَّيْـلُ بَعْـدَ النَّهَـارْ
بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ
وَأَنَّكَ أَنْتَ العَظِيمُ الصَّمَدْ

عَرَفْتُـكَ بِالسُّـحُبِ الهَـاطِلَاتْ لِتُحيِـيَ كُـلَّ بِـلادٍ مَـوَاتْ
بِكُـلِّ نَبَـاتٍ عَجِيـبِ النَّبَـاتْ بِمُخْتَلِفَـاتٍ وَمُشْـتَبِهَاتْ
بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

عَرَفْتُـكَ حِـينَ سَـلَكْتُ القِفَـارْ وَسَـارَ بِنَـا فِـي السُّـهُولِ القِطَـارْ
عَرَفْتُـكَ حِـينَ رَكِبْـتُ البِحَـارْ وَحِـينَ جَـرَتْ بِـي جَـوارٍ كِبَـارْ
بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

عَرَفْتُـكَ حِـينَ رَكِبْـتُ الهَـوَاءْ وَطَوَّفْـتُ فِـي جَنَبَـاتِ الفَضَـاءْ
وَحِـينَ تَأَمّلْـتُ هَـذِي السَـماءْ وَكُـلَّ عَظِـيمٍ بِهَـا ذِي بَهَـاءْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ
وَأَنَّكَ أَنْتَ العَظْيمُ الصَّمَدْ

إِلَهِي

عَرَفْتُـكَ مِـنَ ذِي جَنَـاحٍ يَطِيـرْ عَرَفْتُـكَ مِـنْ ذِي قَـوَامٍ يَسِيـرْ
عَرَفْتُكَ مِـنَ سَـابِحٍ فِـي الغَـدِيرْ عَرَفْتُكَ مِنْ زَاحِـفٍ فِـي الهَجِيـرْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

عَرَفْتُـكَ لمَّـا نَظَـرْتُ الجِبَـالْ عَرَفْتُـكَ مِـنْ رَائِعَـاتِ الجَمَـالْ
عَرَفْتُـكَ حِـينَ شَـرِبْتُ الـزُّلَالْ عَرَفْتُـكَ إِذْ ظَلَّلَتْنِـي الظِـلَالْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

عَرَفْتُكَ مِنْ لَمسِ لِينِ الحَرِيرْ وَمِنْ لمَسِ ذِي قَسْوَةٍ فِي الصّخُورْ
عَرَفْتُـكَ مِـنْ نَفَثَـاتِ السَّـعِيرْ وَمِـنَ بَـارِدٍ قَاتِـلٍ زَمْهَرِيـرْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ
وَأَنَّكَ أَنْتَ العَظْيمُ الصَّمَدْ

إِلَهِي

عَرَفْتُـكَ مِـنَ نَبَضَـاتِ الجَنَـانْ وَمِـنْ مَنْطِقٍ عَجَبٍ فِـي اللّسَـانْ
عَرَفْتُـكَ مِـنْ حَرَكَـاتِ البَنَـانْ وَأَرْشَـدَنِي لِعُـلَاكَ اليَـدَانْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

عَرَفْتُـكَ مِـنَ أَكْبُـدٍ ظَامِئَـاتْ عَرَفْتُـكَ مِـنْ مِعَـدٍ جَائِعَـاتْ
عَرَفْتُـكَ مِـنْ حَرَكَـاتِ الحَيَـاةْ عَرَفْتُـكَ مِـنْ سَـكَنَاتِ المَمَـاتْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

عَرَفْتُـكَ مِنْ مُعجِزَاتِ السّوَرْ وَمَـا جَمَعَـتْ مِـنْ جَلِيـلِ العِبَـرْ

وَعَرَّفَنِـــي بِـــكَ طــهَ[1] الأغَـــرْ رَسُــولُكَ أحْمَــدُ خَيْــرُ البَشَــرْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

وَأَنَّكَ أَنْتَ العَظْيمُ الصَّمَدْ[2]

* * *

(١) طه: ليس من أسماء النبي، ولكنه ورد في القرآن كبقية الأحرف المقطعة في أوائل السور على سبيل الإعجاز.

(٢) ديوان: آمنت بالله (ص:٩-١٢).

٢١- أشكو إليك ذنوبًا

يحيى بن معاذ

أشكُو إليك ذنوبًا لستُ أنكِرُها ... وقد رجوتُك يا ذا المنِّ تَغْفرُها
من قبلِ سُؤلك لي في الحشرِ يا أمَلي ... يومَ الجزاءِ على الأهوالِ تذكرُها
أرجُوك تغِفُرُها في الحشرِ يا أمَلي ... إذْكنتَ سؤْلي كما في الأرضِ تستُرها

* * *

٢٢- مسلم يخاطبُ الكونَ

شعر عائض القرني

قف في الحياةِ تَرَى الجمالَ تَبَسُّما ... والطلُّ من ثغرِ الخمائلِ قد هَمَى
وشَدَتْ مطوّقةُ العروسِ ورجَّعَتْ ... وترعْرَعَ الفَنَنُ الجميلُ وقد نما
وسرى النسيمُ يهزُّ عطْفَ عبيره ... والماءُ في عطْفِ الجَدَاوِلِ تَمْتَمَا
وتفتّحَ الأزهارُ واعتنَقَ النَّدَى ... هدرَ الغديرُ وكان قبلُ ملثَّما
والنبتُ قد شقَّ الثَّرى فعيونُه ... تاقَتْ إلى ضوءٍ تألَّقَ في السَّمَا
والشمسُ أرَسَلتِ الأشعَّةَ في الفَضَا ... بَدَدًا وَقَبَّلَتِ الجليدَ فَهَمْهَمَا
وَسَرتْ طيورُ القاعِ تنشُدُ في الرُّبا ... بيتَ القَصيدِ سعادةً وترنُّما
والنحلُ قد تَرَك الخليةَ مولعًا ... برحيقِ زهرٍ ظلَّ يسكُبُ في اللَّمَّا
وفراشَةُ البستانِ ألقتْ نفسَها ... في سندسٍ فوقَ البطائحِ وسّما
وبكى الغمامُ من الفراقِ مشامتٌ ... في الأرضِ يضحَكُ ترحةً وتلوّما
وتطاولَتْ شممُ الجبالِ ونافرتْ ... قِمَم التلالِ فلم تُكُنْ أبدًا كما
والمؤمنُ اطلعَ الوجودَ مسلَّمًا ... أهلًا بمن حازَ الجمالَ مسلّما

فجثَتْ لطلعَتِه الجبالُ وأذعنتْ إذ كان منها في الحقيقةِ أعظَما
وقد اشْرَأَبتْ كلُّ كائنةٍ له فكأنه مَلِكٌ يسيرُ مُعَلِّما
ورأى الحياةَ بنظرةٍ قدسيةٍ وبها إلى عزّ المهيمنِ قد سمَا
كشفَ الحجابَ عن الغيوبِ فَأَشْرَقَتْ سبلُ الهدايةِ قبلَه فتقدَّما
عرفَ الحقيقةَ فاسْتَنَار بنورِها وتراهُ في عُمْقِ التفكُّرِ مُلَهمًا
في كلّ ماثلةٍ تمرُّ بعينِه عِبَرٌ تُعرِّفه الإلهَ الأعْظَما
حَبْلُ الرجاءِ غدا به متمسِّكًا أنعِمْ بحَبْلٍ قطٌّ لن يَتَصَرَّما
أَتَرَى الجمالَ بغيرِ منظارِ التُّقى حسنًا ولو مَلَكَتْ يداك الأنجُما
أتظنُّ أن الأُنسَ يَسْكُنُ بُرهةً قلبًا ولم يكُ في الحقيقةِ مُسْلِما؟!
لا والذي جمعَ الخلائقَ في مِنًى وبدا فأعطَى من أحَلَّ وأحْرَما
ما في ربوعِ الكونِ أجملُ منظرٍ من مؤمنٍ للسْعِد جدَّ ويمَّمَا
إن متَّ يا جَامِي الحياةِ فإنَّما هي نقلةٌ تلقَى حياةً أوسَما
في ظلِّ ربٍّ كنتَ قد وحَّدتَه تلقاه في الأخْرَى أبرَّ وأكرَما
بل كيفَ ترحَلُ والحياةُ تقدما ما للعوالمِ حَوْلَ قبرِك جُثَّما
فاسَعْد فقد ظَفَرَتْ يداك بصَفْقةٍ واهنأْ فإنك بعدُ لن تَتَنَدَّما(١)

٢٣- الجحود

خير الدين وانلي

يَغذوكَ لكن أنتَ تشكرُ غيرَهُ ويذودُ عنك فتمْدَحُ الأوثانا؟!
أَوَ هكَذا ردُّ الجميلِ لأهْلِهِ أَوَ هكذا تَسْتَقْبِلُ الإحْسَانا؟!
يا من جحدتَ لذي الصَّنيعِ صنيعَهُ أَوَ مَا تهابُ السُّخْطَ والنيرانا؟!

---

(١) عائض القرني، وإسلاماه (ص:١٨-٢١).

أتخاصمُ الجبَّارَ في عَلْيَائِه؟! ... يا من بَراكَ من الثرى إنسانا
من نُطفةٍ سوّاك ربي مبصرًا ... تتبيَّنُ الأشكالَ والأَلْوَانا
بل سخَّر السَّبعَ الطباقَ لخدمةٍ ... والأرضَ والأنهارَ والخلْجَانا
والفُلكَ تجري والرياحَ لواقحًا ... والماءَ يُحْيِي الزرعَ والأَفْنَانا
والرعدُ في كبدِ السَّماءِ مُسَبِّحًا ... والثلجَ يهطِلُ يرفِدُ الغُدْرَانا
والطيرُ يبسُطُ جنحَه كسفينةٍ ... فوقَ الرياحِ يسبِّحُ الرحْمَانا
في كلِّ شيءٍ للمُهيمنِ آيةٌ ... تدعُ الجَحُودَ بأمرِه حَيْرَانا
يا من جَحَدْتَ ألم تفكِّرْ لحظةً ... في ذا الوجودِ وتنظرِ الأكوانا
في قلبِكَ الخفَّاقِ أكبرُ آيةٍ ... إن لم تجدْ مِنْ حَوْلِك البُرهانا
السمعُ والأبصارُ خلقٌ مُعْجِزٌ ... يتحديانِ الجَحْدَ والنُّكْرَانا
والسيرُ منتصبًا دليلٌ واضحٌ ... أن المسيِّرَ ميَّز الإِنْسانا
والنطقُ آيةُ قدرةٍ جبارةٍ ... والمخُّ يحفظُ كلَّ ما قد كانا
واللمسُ للأشياءِ والشمُّ الذي ... لا يُخطيءِ الأرياحَ والرَّيحانا
والشَّعرُ يكسُو الجلدَ ثوبًا ناعِمًا ... متموِّجًا متجدِّدًا أَلْوَانا
كالجلدِ للحِرْباءِ يشبهُ لونُه ... ما حولَه فتظنُّه أغصَانا
والرأسُ يحْمِي المخَّ في تَجويفِه ... والصدرُ يَحْمِي القلبَ والشَّريانا
فِلِمَ الجُحُودُ وفَضْلُ ربِّك سابقٌ ... من قبلِ أن تَسْتَرضِعَ الأَلْبانا؟![1]

* * *

(١) ديوان النصر للإسلام (ص:١٢٣).

٢٤- يا منزل الآياتِ والفرقانِ

أبو محمد الأندلسي القحطاني

يَـــا مُنْـــزِلَ الآيَـــاتِ وَالفُرْقَـــانِ بَينِـــي وَبَيْنَـــكَ حرْمَـــةُ القُـــرْآنِ
اشْرَحْ بِـهِ صَـدْرِي لمعرِفَـةِ الهُـدَى وَاعْصِـمْ بِـهِ قَلبِـي مِـنَ الشَّـيطَانِ
واحطُـطْ بِـهِ وِزْرِي وَأخْلِـصْ نِيَّتِـي وَاشـدُدْ بِـهِ أَزْرِي وأَصْـلِحْ شَـانِي
واكْشِـفْ بِـهِ ضُـرِّي وحقِّـقْ تَـوبَتِي أرْبِـــحْ بِـــهِ بَيْعِـــي بِـــلَا خُسْـــرَانِ
طهِّـر بِـهِ قَلْبِـي وصَـفِّ سَـرِيرَتِي أجمِـلْ بِـهِ ذِكْـرِي وَأَعْـلِ مكَـانِي
وَاقْطَـعْ بِـهِ طَمَعِـي وَشـرِّفْ هِّمَتِـي كَثِّـــرْ بِـــهِ وَرَعِـــي وَأحِـــي جِنَـــانِي
أسـهِرْ بِـهِ لَيْلِـي وأظْـمِ جَـوَارِحي أسـبِلْ بِفَـيْضِ دُمُوعِهَـا أجفـاني
وَأمزِجْـهُ يَـا رَبِّـي بلحْمِـي مَـعْ دَمِـي وَاغْسِـلْ بِـهِ قَلْبِـي مِـنَ الأَضْـغَانِ
أَنْـتَ الَّـذِي صَـوَّرْتَنِي وَخَلقتَنِـي وَهَـــدَيْتني لِشَـــرَائِعِ الإيمَـــانِ
أَنْـتَ الَّـذِي عَلَّمْتَنِـي ورَحِمْتَنِـي وَجعلـتَ صَـدْرِيَ واعِـيَ القُـرْآنِ
أَنْـتَ الَّـذِي أَطْعَمْتَنِـي وَسـقَيْتَنِي مِـنْ غَيْـرِ كَسْـبِ يَـدٍ وَلَا دُكَّـانِ
وجَبَرْتَنِـي وَسَـتَرْتَنِي وَنَصَـرْتَنِي وَغَمَرْتَنِـي بِالفَضْـلِ والإحْسَـانِ
أَنْـتَ الَّـذِي آوَيْتَنِـي وَحَبَـوْتَنِي وَهَـدَيْتَنِي مِـنَ حِيـرَةِ الخُـذْلَانِ
وَزَرَعَـتَ لِـي بَـيْنَ القُلُـوبِ مَـوَدَّةً وَالعَطْـفَ مِنْـكَ بِرَحْمَـةٍ وَحَنَـانِ
وَنَشـرتَ لِـي فِـي العَـالِمِينَ مَحَاسِـنًا وَسَـتَرْتَ عَـنْ أبصَـارِهِمْ عِصْـيَانِي
وجعلـتَ ذِكْـرِيَ فـي البَرِيَّـةِ شَـائِعًا حَتَّـى جَعلْـتَ جَمِـيعَهُم إخـوَانِي
وَاللهِ لَـو عَلِمُـوا قَبِـيحَ سَـرِيرَتِي لَأبَـى السَّـلَامَ علـيَّ مَـنْ يَلْقَـانِي
ولَأعْرَضُـوا عَنِّـي ومَلُّـوا صُـحْبَتِي وَلَبُـؤْتُ بَعْـدَ كرامـةٍ بَهَـوانِ

لَكــنْ سَــتَرتَ مَعَــايِبِي ومثَــالِبِي وحَلُمْـتَ عَـنْ سَـقَطِي وعَـنْ طُغيَـانِي
فَلَـكَ المحَامِـدُ والمـدَائِحُ كُلُّهَـا بَخــوَاطِرِي وَجَــوَارِحِي وَلِسَــانِي
وَلقَــدْ مَنَنْــتَ عَلَــيَّ رَبِّ بَــأنْعُمٍ مَــا لِــي بشُــكْرِ أقلِّهــنَّ يَــدَانِ
فَوَحَــقِّ حِكْمَتِــكَ التِــي آتَيْتَنِــي حَتَّــى شَــددتَ بِنُورِهَــا بُرْهَــانِي
لــئنِ اجتَبَيْتَنِــي مِــنَ رِضَــاكَ مَعُونَــةٌ حتــى تُقــوِّيَ أيــدُهَا إِيمَــانِي
لأُسَــبِّحَنَّكَ بُكْــرةً وَعَشِــيَّةً ولتخــدمنَّكَ فــي الــدُّجَى أَرَكَــانِي
ولأذْكُرَنَّــكَ قَائِمًــا أَو قَاعِــدًا ولَأَشْــكُرَنَّكَ ســائِرَ الأَحيَــانِ
ولأكــتُمَنَّ عَــنْ البَرِيَّــةِ خِلَّتِــيَّ ولاشْــكُوَنَّ إليــك جَهْــدَ زمَــانِي
ولأقْصِـدنَّكَ فـي جَمِيـعِ حَـوَائِجِي مِــنْ دُونِ قصــدِ فُلانــةِ وفُــلانِ
ولأحسِــمَنَّ عَــنْ الأنَــامِ مَطَــامِعِي بحُسَــامِ يَــأسٍ لــم تَشُــبْهُ بَنَــانِي
ولأجعلَــنَّ رِضَــاك أكبــرَ هِمَّتــي ولاضــرِبَنَّ مِــن الهَــوَى شَــيْطَانِي
ولأكسُـوَنَّ عُيـوبِ نَفسِـي بـالتُّقَى ولأقبِضَــنَّ عَــنِ الفُجُــورِ عِنَــانِي
ولأمــنَعَنَّ الــنَّفْسَ عَــنْ شَــهَوَاتِهَا ولأجعَلَــنَّ الزُّهْــدَ مِــنْ أعْــوَانِي
ولأتْلُـوَنَّ حُـرُوفَ وَحْيِـكَ فِـي الـدُّجَى ولأحْــرِقَنَّ بنُــورِهِ شَــيْطَانِي
أنــت الــذي يــا ربّ قلــتَ حروفَــه ووصــفته بــالوعْظِ والتبيــانِ
ونَظَمْتَــه ببلاغــةٍ أزليــةٍ تكييفُهــا يخفَــى علــى الأذْهــانِ
وهــو المحــيطُ بكــلِّ شــيءٍ عِلْمُــه مــن غيــر إغفــالٍ ولا نِسْــيانِ
مــن ذا يكيِّــفُ ذاتَــه وصــفاتِه وهــو القــديمُ مكــوِّنُ الأكــوانِ
سبحانَه مِلْكًا على العرشِ استوى وَحَـوَى جميـعَ الملـكِ والسـطانِ(١)

(١) مختارات من نوية القحطاني، ط. مكتبة السوادي – جدة.

* * *

٢٥- سبحانك اللهم

مصطفى عكرمة

يـا رَبِّ قَـدْ أَبـدَعتَ مِـنْ عَـدَمٍ جَميـعَ الكائِنَـاتِ
وَجَعَلْــتَ لِلإِنســانِ آيــاتِ الرَّشــادِ البيِّنَــاتِ
وأَمَرتَــهُ أَلَّا يَحيــدَ الــدَّهرَ عَــنْ دَربِ الهُــداةِ
مَنَّيْتَــهُ... وأَعَنْتَــهُ... لِنَــوالِ كُــلِّ الأُمنيَــاتِ
الأَرضُ كَمْ قد أَعطَتِ الإنسانَ شَتَّى الأُعطِياتِ!
أنــتَ الَّــذِي أودَعْــتَ فيهـا كُـلَّ ألـوانِ الهِبـاتِ
أَنبَتَّنــا مِنْهـــا.. كمـــا أَنبَـــتَّ أَزواجَ النَّبـــاتِ
شَــتَّى نَــرَى أَلوانَــهُ رَغـمَ التَّشـابُهِ فــي الصِّــفاتِ
وتَسُــحُّ أبــوابُ السَّــمَواتِ العُلــى بالنُّعمَيــاتِ
قَــدَّرتَ رَبِّــي الخَلــقَ تَقـديرًا بِــهِ كُـلُّ العِظــاتِ
وَوَهَبــتَ يــا رَبَّـاهُ كُـلَّ الخَلـقِ أَسـبابَ الحَيــاةِ
هــذي السَّــماءُ بِــلا دَعـائمَ حَيَّـرت كُـلَّ البُنــاةِ
أَمسـكتَها... فـإِذا بِهـا مَثَـلُ الثَّبـاتِ علَـى الثَّبـاتِ
وَزَرَعــتَ فــي الأجــواءِ آلافَ النُّجــومِ النَّيِّــراتِ
تَهدي بِها في الدَّهرِ أصحابَ العُقولِ الراجِحاتِ
وَبَسطتَ فَوقَ الماءِ أرضًا لـم تَـزَل في الدّائِراتِ
الكُـلُّ فـي فَلَـكٍ يـدورُ كمـا أرَدتَ بِـلا انفِـلاتِ
لا المـاءُ يَطغـى، لا، ولا يُخْشَـى عَلَيهـا مـن أَذاةِ

سُـبحَانَكَ اللّهُـمَ تُخـرِجُ كُـلَّ حَـيٍّ مـن مَمَـاتِ
يـا مَـنْ إذا قَـدْ قُلـتَ: كُـنْ... كانـتْ جَميـعُ المُعجـزاتِ
أدعُـوكَ فـامنَحْ أُمَّتـي سُـبُل الهِدايـةِ والنَّجـاةِ[1]

* * *

(١) ديوان حتى ترضى (ص:٤٩-٥٠).

٢٦- سبحان من يعطي المنى

سُبْحَانَ من يُعْطِي المُنىَ بخواطرٍ في النَّفس لم ينطِقْ بهنَّ لِسَانُ
سُبْحَانَ من لاشيءَ يحجُب علمَه فالسرُّ أجمعُ عندَه إعلانُ
سُبْحَانَ مَنْ هُوَ لا يزالُ مُسبّحًا أبدًا وليس لغيرِهِ السُّبحانُ
سُبْحَانَ مَنْ تجْري قَضَاياه على ما شاءَ منها غائبٌ وعيانُ
سُبْحَانَ مَنْ هُو لا يزالُ ورزقُهُ للعالمينَ به عليه ضَمَانُ
سُبْحَانَ من في ذكرِه طرقُ الرِّضَى منه وفيه الرَّوحُ والريحانُ
ملكٌ عزيزٌ لا يقارَنُ عِزُّه يُعصَى ويُرجَى عنده الغفرانُ
ملكٌ له ظهرُ القضاءِ وبطنُه لم تُبلِ جدَّة ملكِه الأزمانُ
ملكٌ هو الملكُ الذي من حِلْمِه يُعصَى بحسنِ بلائِهِ ويُخانُ
يَبْلَى لكلِّ مسلّطٍ سلطانُه واللهُ لا يَبْلَى له سُلطانُ[1]

* * *

(١) الله أهل الثناء والمجد (ص: ١١٠).

٢٧- إخلاصُ العبودية

خير الدين وائلي

علَــى المَــولى تَوَكَّلْنَــا | وســبَّحْنا اســمَهُ الأعلَــى
وحَسـبُ المُسلِمِ المُـؤمِنْ | بنصــــرِ اللهِ أن يُـــوقِنْ
فــإنَّ العــونَ والنصْــرا | لمـــنْ يَــدعوه مُضــطَّرا
ومـن يسـأَلْ سوى الـربِّ | يُــدنِّس طــاهرَ القَلــبِ
ومِـــنْ يُشــرِكْ بمـــولاهُ | يكــنْ فــي النــارِ مَثـواهُ
وكــلُّ الـذنبِ قـد يُغفـرْ | سُـوَى الإشـراكِ بـالأكْبَرْ
ومـن يطلـبْ مـن القبـرِ | ينـلْ مـا نـالَ ذو الكفـرِ
فـأخْلِصْ يـا أخـي النيَّـةْ | وأنـــواعَ العبوديَّــــةْ
لـــربٍّ قـــادرٍ قـــاهرْ | حكـــيمٍ عـــالمٍ غـــافِرْ
ففـي الإخـلاصِ للمـولَى | بلــوغُ المِرفَــقِ الأعلــى
لـدَى الـرحمنِ فـي الجنَّـهْ | ولُقيــا الفضــلِ والمنَّــهْ
فعنـــــدَ اللهِ للعابِـــــدْ | نعـــيمٌ وافـــرٌ خالِـــدْ
فيــاذا الفضــلِ والجــودِ | وبـــاري كــلِّ موجـــودِ
أَنِلْنِـــي راحـــةَ البـــالِ | مـــعَ المختـــارِ والآلِ[1]

---

(١) ديوان النصر للإسلام (ص:١٢٧).

٢٨- إلهي أقلني عثرتي

عَسى من خَفِيِّ اللطفِ سُبحانَهُ لُطْفٌ
بِعَطْفَةِ بِرٍّ فالكَرِيمُ لَهُ عَطفُ
عَسى مِن لَطِيفِ الصُّنعِ نَظرَةُ رَحمَةٍ
إلى مَنْ جفَاهُ الأهلُ والصَّحبُ والإِلْفُ
عَسى فَرَجٌ يأتِي بِهِ اللهُ عاجِلًا
يُسَرُّ بِهِ المَلْهُوفُ إن غَمَّهُ اللَّهفُ
عَسى لِغَرِيبِ الدَّارِ تَدبِيرُ رَأفَةٍ
وبِرٌّ مِنَ البارِي إذا العَيشُ لَمْ يَصفُ
عَسى نَفحَةٌ فَرِدِيَّةٌ صَمَديَّةٌ
بِها تنقَضِي الحاجاتُ والشَّمْلُ يُلتفُّ
فإنِّيَ والشَّكوى إلى اللهِ كالَّذِي
رَمى نَفسَهُ في لُجَّةٍ مَوجُها يَطفُو
فَمِنْ مِحَنِ الأيَّامِ قَلبِي مُعَذَّبٌ
أَلَمَّ بِرَوحِي قَبلَ حَتفِ الفَنا حَتفُ
ومِنْ فُرقَةِ الأحبابِ قَلبِي مُقسَّمٌ
ثلاثٌ وأربَاعٌ ونِصفٌ ولا نَصفُ
وإني لأرضَى ما قَضَى اللهُ لي ولو
عَبَدْتُ على حَرْفٍ لأَزْرَى بيَ الحرفُ
ولم أَبنِ حُسنَ الظَّنِّ في سيِّدي عَلى

شـفا جُـرُفٍ هـارٍ فَيَنهـارُ بـي الجَـرفُ
ولكِــنْ دَعَــوتُ اللهَ يَكشِــفُ كُربَتِــي
فَمــا كُربَــةٌ إلَّا ومِنــهُ لَهــا كَشــفُ
فكَــمْ بُسِــطت كَــفٌّ بســوءٍ تُرِيــدُني
فَقــالَ لَهـا الكـافِي ألا غُلَّـتِ الكَـفُّ
وَكَـمْ هَـمَّ صَـرفُ الـدّهْرِ يَصـرِفُ نابَـهُ
عَلَـيَّ فَجاءَ المـوتُ وانصَـرَفَ الصَّـرفُ
ولــمْ أَعتَصِــمْ بــاللهِ إلَّا وَمَــدَّ لِــي
مَـنَ البِـرِّ ظِـلًّا فـي رضـاءٍ لَـهُ وَكْـفُ[1]
وإنــي لمُســتغَنٍ بِفَقــرِي وفــاقَتِي
إليـهِ ومُسـتقْوٍ وَإنْ كـانَ بِـي ضَـعفُ
وفـي الغَيـبِ لِلعَبـدِ الضَّـعيفِ لَطـائفٌ
بِهـا جَفَّـتِ الأقـلامُ وانطَـوَتِ الصُّـحفُ
بِقُــدرَةِ مَــنْ شَــدَّ الهـوا وبَنــى السَّــما
طَرائِـقَ فَـوقَ الأرضِ فَهْـي لَهـا سَـقفُ
ومَـنْ نَصَـبَ الكُرسـيَّ والعَـرشَ واسـتَوى
على العَرشِ، والأمـلاكُ مِـن حَولِـهِ حَفُّوا
ومَــنْ بَسَــطَ الأرضِــينَ فَهِــيَ بِلُطفِــهِ
لِحَــيِّ بَنِــي الــدُّنيا ومَيِّــتِهِمْ ظَــرفُ
وألقــى الجبــالَ الشُّــمَّ فِيهــا رَواسِــيًا

---

(١) وكْف: الوكف الجريان والتتابع.

فَلَيسَ لها مِنْ قَبلِ مَوعِدِها نَسفُ
وأَلْبَسَها من سُندُسِ النَّبتِ بَهجَةً
مِنَ النورِ ما صِنْفٌ يُشابِهُهُ صِنفُ
وسَخَّرَ من نَشْرِ السَّحابِ لواقِحًا
إذا انتشَرَت دَرَّت سَحائِبُها الوَطفُ[1]
وأَنشَأ من أَلفافِها كُلَّ حَبَّةٍ
به الأبُّ والريحانُ والحَبُّ والعَصْفُ
ويعلمُ مَسْعَى كلَّ سارٍ وساربٍ
وما أعلنوه من خِطابٍ وما أخْفُوا
ويَدرِي دَبِيبَ النَّملِ في اللَّيلِ إن سَعَت
وإن وَقَفَتْ ما أمكَنَ السَّعيُ والوقفُ
ووزنُ جِبالٍ كَمْ مَثاقِيلَ ذَرَّةٍ
وكَيْلُ بِحارٍ لا يُغَيِّضُها نَزفُ
وكَمْ في غَرِيبِ المُلكِ والمَلَكُوتِ مِنْ
عَجائِبَ لا يُحصِي لأيسَرِها وصفُ
فَسُبحانَ مَنْ إن هَمَّ وَهْمٌ يَقِيسُهُ
بِكُفءٍ وتكييفٍ يُلَجِّمُهُ الكَفُّ
إِلَهِي أقِلنِي عَثرَتِي وتَوَلَّنِي
بعفوٍ فإنَّ النائِباتِ لها عُنفُ
خَلَعتُ عِذَارِي ثُمَّ جِئتُكَ عائِذًا

(١) الوطف: الماء المنهمر.

بِعُـذرِي فـإن لـم تَعـفُ عَنِـي فَمَـنْ يَعفُـو

* * *

٢٩- رحمتك اللهم

الإمام الشافعي

قَلبِــي برَحَمتِــكَ اللَّهُــمَّ ذُو أنُــسِ ... في السِّرِّ والجَهرِ والإصبَاحِ والغَلَسِ
ومَـا تَقَلَّبـتُ مِـنْ نَـومِي وَفـي سِـنَتي ... إلَّا وذكـرُكَ بـين الـنَّفْسِ والـنَّفَسِ
لقَـدْ مَننـتَ علَـى قَلبـي بمعرِفَـةٍ ... بأنَّـــكَ اللهُ ذُو الآلاءِ والقُــــدسِ
وقَـد أتيـتُ ذُنُوبًـا أنـتَ تَعلمُهـا ... ولم تَكُنْ فاضحِي فِيهَا بِفعلِ مُسِي
فَـامنُنْ عَلَـيَّ بِـذكرِ الصَّـالحينَ ولا ... تجعَل عَلَيَّ إذًا في الدِّينِ من لَبَسِ
وكُـنْ مَعِـي طُـولَ دُنيـاي وآخِرتـي ... ويَومَ حَشرِي بِما أنزَلت في عَبَس[١]

* * *

---

(١) ديوان الشافعي (ص:٨٥).

٣٠- إلهنا ما أعدلك

أبو نواس

إلهنـــا مـــا أعـــدَلكْ ... مَلِيــكَ كــلِّ مــن مَلَــكْ
لبيــك قــد لبيــتُ لــكْ ... لبيــكَ إنَّ الحمــدَ لــكْ
والملــكُ لا شــريكَ لــكْ ... والليــلُ لمَّــا أن حَلَــكْ
والسَّــابِحَاتُ فــي الفَلــكْ ... علــى مجــارِ المنسَــلِكْ
مــا خــاب عبــدٌ أمّلَــكْ ... أنــت لــه حيــثُ سَــلَكْ
لــولاك يــا ربّ هَلَــكْ ... كــلُّ نبــيٍّ ومَلَــكْ
يــا مخطئًــا مــا أغْفَلَــكْ ... عجّــل وبــادِرْ أجَلَــكْ
واختِــمْ بخيــرٍ عَمَلَــكْ ... لبيــك إن الملــكَ لــكْ
والحمــدُ والنِّعمــةُ لــكْ ... والعــزُّ لا شــريكَ لــك[1]

* * *

(١) أناشيد فتية الحق (ص:٤٦).

٣١- لك المجدُ في كل الوجودِ

عبد الرحمن حبنكة

لكَ المجدُ في كلِّ الوجودِ لك الحمدُ إلهي. فأنتَ الخالقُ الصَّمَدُ الفردُ
إلهي وأنت الربُّ تخلُقَ مَا تشَا وأنتَ مُعينُ العبدِ ما التجأَ العبدُ
لديكَ إلهي رزقُنَا وحياتُنا ومنكَ إلهي السعدُ ما أقبلَ السَّعدُ
وكلُّ تصاريفِ الوجودِ قضاؤُها لديكَ ومَا تقضِيهِ حقَّ لهُ الحمدُ
ولا خير إلا في يديكَ قضاؤُهُ وكم ساءنَا خيرٌ إذا أَلِمَ الجِلْدُ
وكم مؤلمٍ للنَّفسِ نَكْرهُ مسَّهُ وفيهِ لنا خيرٌ وفيهِ لنا مجدُ
فأنتَ حَكيمٌ والحكِيمُ بفعْلهِ حميدٌ وعلمُ الناسِ صغَّرهُ الحَدُّ

* * *

٣٢- تسبيحات[1]

حازم القَرْطَاجَنِّي

سُــبحانَ مــن سَــبَّحَتْهُ أَلْسُــنُ الأمــمِ
تَسْـبيحَ حَمْـدٍ بِمَـا أَوْلَـى مِـنَ الـنِّعَمِ
سُــبحانَ مَــن ســبَّحَتْهُ أَلْسُــنٌ عَرفَــتْ
بــأَنَّ تســبيحَهُ مِــنَ أَفْضَــلِ العِصَــمِ
سُــبحانَ مَــنْ ســبَّحتْهُ ألســنٌ نطقَــتْ
من عـالَمٍ فـي حِجَـابِ الغيـبِ مُكْتَتَمِ
سُــبحانَ مــن ســبَّحَت حمـدًا ملائِكَـةٌ
لــهُ بِــلَا فتــرةٍ تَعْــرو وَلَا سَــأَمِ
سُبحانَ مَن سَبَّحَتْ سَبعٌ له سَبَحَتْ
مِـنَ الســمواتِ ذاتِ الأنجُـمِ العُـتُمِ
سُبحانَ مَن سبَّحَتْ شمسُ النهارِ لـهُ
والبـدرُ بـدرُ الدُّجَى والشُّهْبُ في الظُّلمِ
سُــبحانَ مــن ســبَّحَ الليــلُ البهـيمُ لـه
وســبَّحَ الصُّــبحُ يُبــدي ثَغْـرَ مُبْتَسَــمِ
سُبحَانَ من سبَّح الجِسْمُ الجمادُ له
بمنطـقٍ مــن لســانِ الحــالِ مُــنفهِمِ
سُبحَانَ مَن سبَّح الحيُّ الفَصِيحُ لـهُ

(١) تسبيح ومناجاة وثناء (ص:٩٩-١٠١).

بمنطـقٍ مِـنْ صَـريحِ اللَّفـظِ مُلْتَـئِمِ
سُـبحانَ مَـنْ فجَّـر الأنهـارَ أسـفَلَها
وَأَنْشأَ السُّحْبَ منها في ذُرَى القِمَمِ
سُـبحَانَ عـالِمِ مـا فـي العـالمينَ معًـا
مـن كـلِّ مـا دَقَّ أو ظَـلَّ ذا ضِـخَمِ
سُـبحَانَ مَـنْ كُـلُّ حينٍ في الوجودِ لـهُ
إعـدامُ موجـودٍ أو إيجـادُ منعَـدَمِ
سُـبحَانَ مَـن خَلَـقَ الإنسـانَ مـن عَلَـقٍ
وردَّه بعـدَ أمشـاجٍ إلـى رِمَـمِ
سُبحَانَ من شاءَ سُكنى الروحِ في جسدٍ
بـاقٍ إلـى أمـدٍ لا بـدَّ مُختَـرمِ
سـبحانَ مَـنْ كُـلُّ شـيءٍ عنـدَهُ لِمَـدًى
مثلُ الشبابِ الذي يُفْضِي إلى الهرَمِ
سُـبحانَ مـن جعـلَ الـدنيا وصـورتَها
مثـلَ الخيـالِ سَـرَى والعيشَ كـالحُلُمِ
سُـبحَانَ مـن جَعَـل الـدنيا مُحببـةً
ملتَّـذةً مـعَ مـا فيهـا مِـنَ الأَلَـمِ
سُـبحَانَ مـن حَبَّـبَ الأخـرى لطائفـةٍ
سَـمَتْ إلـى أشـرفِ الـدَّارينِ بـالهِمَمِ
سُـبحَانَ مـن ينشُـرُ المـوتَى ويبعَـثُهم
للفصْـلِ مـا بـين ظَـلَّام ومُظَّلَـمِ
سُبحَانَ مَنْ بينَهم بالعدلِ يحكُم في

يـومٍ بـه لـيسَ غيـرُ اللهِ مـن حَكَـمِ
سُـبحَانَ مـن جـلّ فـي سـلطانِه وعـلا
عـن أن يُـرى معـه حُكْـمٌ لمحْـتَكِمِ
سُـبحَانَ مـن شـاء تـدبيرَ الأمـورِ علـى
مـا خـطَّ تقريـرُه فـي اللـوحِ بـالقلَمِ
سُـبحَان مـن ألهَـمَ العبْـدَ السـعيدَ لمـا
أضـحَى الشَّـقِيُّ إليـه غيـرَ مُلْـتَهَمِ
سُـبحَانَ مـن ضَـلَّل الأشـقَى بِمَعْصِـيةٍ
فضَـلَّ عـن طـرُقِ التوفيـقِ وهْـو عَـمِ
سُبحَانَ من إن يشأْ يجْزِ المسيءَ وإن
يَشَـأْ عفـا عـن كبيـرِ الإثـم واللَّمـمِ
سُـبحَانَ مـن منـه نرجُـو عَفْـوَ مقْتـدِرٍ
ونسـتعيذُ بـه مـن بطْـشِ مُنْـتَقِمِ
سُبحَانَ من يُعدِمُ الموجـودَ حـين يَشَـا
سبحان مـن أوجَـدَ الأشـياءَ مـن عَـدَمِ
سُـبحَانَ مـن لـم يُحـطْ خلـقٌ بـه ولـه
إحاطـةٌ بجميـعِ الخلْـقِ كلِّهِـمِ
سُـبحَانَ مـن بـدليلِ الـوحْيِ زادَ هُـدًى
مـن اهتـدَى بـدليلِ العقـل والفِهَـم
سُـبحَانَ مـن شـاء إمـدادَ العقـولِ بمـا
أوحَى إلـى رُسْـلِه فـي الأعصُـرِ القِـدَم

سُبحَانَ من تَمَّم الحسنَ بخاتَمِهم

محمدٍ خيرِ مبعوثٍ ومختَتَمِ

* * *

٣٣- بكلِّ الشوقِ

محمد التهامي

بكُـلِّ الشَّـوقِ فـي قَلْبـي طرقـتُ البـابَ يـا ربِّـي
وفـي شَـفَتي ضَـرَاعاتٌ لقلـبٍ ذابَ فـي جَنْبِـي
دُعَـاءٌ فـي تألُّقِـهِ ضِـيَاءٌ غيـرُ ذي لَهَـبِ
يَسِـيلُ الطُّهـرُ فـي دمعي ليغسِـلَ صِـدقُهُ ذَنبـي
وحَسْـبي أنَّـك الرَّحمـ ـنُ فـي رضـوانِهِ حسبي
تُجيـب ضـراعةَ المُحتـا جِ عِنـدَ الموقـفِ الصَّعْبِ
وتَهْـدِي خُطْـوَةَ الحيْـرا نِ إن ضَـلَّتْ على الـدَّربِ
طلبـتُ رضـاكَ يـا رحمـا نُ واسـترحَمْتُ في طَلَبي
قصـدتُكَ يـا حِمَـى رُوحي ويـا غَـوثِي مـن الكُـرَبِ
ويـا حِصْـني مِـنَ الأيَّـا مِ والأيَّـامُ تَعْصِـفُ بـي
ويـا عَـوني عَلَـى الإنسـا نِ والإنسـانُ يغْـدِرُ بـي
ويَلْـبَسُ ثـوبَ إنسـانٍ ليُخْفِـيَ صـورةَ الـذِّئبِ
سـألتُ اللهَ أن ترتـا حَ دُنيانـا مِـنَ اللَّهَـبِ
وأن يرتـاحَ صِـدقُ النَّـا سِ مِـنْ دوَّامـةِ الكَـذِبِ
وأن يخلُـو رحـابُ الأرْ ضِ مـن حَمَّالـةِ الحَطـبِ
وأن يرضَـى رضـاءً يُنـ ـقِذُ الـدُّنيا مـن الغضَـبِ
سـألتُ اللهَ أن يَهْـدِي إلينـا نعمَـةَ الحُـبِّ
وأن يَسـقي ظِمَـاءَ الـرُّو حِ مـن تيَّـارِهِ العَـذْبِ

وأن يسـري رحيـقُ الحُـ ـبِ من قلبٍ إلى قلبِ
فَنَسْـعَدُ كُلما ضـمَّت خُطانا لمسـةُ القُـربِ
سـألتُ اللهَ والمسـئُو لُ فوقَ الشَّكِّ والرِّيَبِ
هـو المُعطي بلا منٍّ عطـاءً غيـرَ مُقتَضَبِ
دعـوتُ وحُلمـيَ المـأمُو لُ يبـدو اليومَ عن كَثَبِ
تعـالى اللهُ مـن دانٍ إلى الدَّاعي ومُقتربِ[1]

* * *

(١) من ديوان يا إلهي، لمحمد التهامي (ص:٧-٨)، وانظر: رائق الشهد (ص:٤٥١-٤٥٢).

٣٤- ربٌّ لا يقهر

خير الدين وانلي

آمنـــتُ بـــربٍّ لا يُقهَـــرْ ... سُـــبوحٍ قُـــدوسٍ أكبـــرْ
بالجبـــتِ كفـــرتُ وبالطـــاغو ... تِ فدعْوَى الشّركِ هي المنكرْ
لا ربَّ لهـذا الكونِ سوى الـ ... ـــخلّاقِ القيّـــومِ الأقْـــدَرْ
الخلـــقُ جميعًـــا قبَضـــتُهُ ... في الحشرِ ويا هولَ المحْشَرْ
أبـــوابُ الخُلـــدِ مفتَّحـــةٌ ... والنـــارُ بمـــن يَهْـــوِي تُســـعَرْ
وملائكـــةُ النيـــرانِ علـــى الـ ... أبـــوابِ تنفِّـــذُ مـــا تُـــؤمَرْ
وأمـــامَ الجنَّـــةِ ترحيـــبٌ ... مـــن رضـــوانَ الملَـــكِ الأشْـــهَرْ
والرسْـــلُ بفـــردوسٍ أَعْلَـــى ... والصِّـــدِّيقونَ ومـــن شَـــمَّرْ
الخلـــدُ طريـــقٌ مفـــروشٌ ... بالشـــوكِ طويـــلٌ مسْـــتَوْعَر
والنـــارُ بلـــذّاتِ حُفَّـــتْ ... وبِمَكْـــروهٍ حُـــفَّ الكَـــوْثَر
لا يغفـــرُ ربّـــي إشـــراكًا ... والأدنَـــى مـــن ذَنْـــبٍ يُغْفَـــرْ
وشـــفاعةُ أحمـــدَ للعاصـــي ... مـــن أهـــلِ الملَّـــةِ لا تُنكَـــرْ
وكـــذاكَ شـــفاعةُ قـــرآنٍ ... وشـــفاعةُ طِفـــلٍ مُستَصْـــغَرْ
للهِ سَـــجَدْتُ ولـــم أســـجُدْ ... يومًـــا للطـــاغوتِ الأكفَـــرْ
للهِ نَـــذَرْتُ ولـــم أنـــذُر ... للقبـــرِ ومـــن فيـــهِ يُقبـــرْ
بـــاللهِ حَلَفْـــتُ ولـــم أحْلِـــفْ ... بســـواهُ فـــاللهُ الأكبـــرْ
للهِ عَمِلـــتُ ومـــا راءيـــتُ ... فـــذاكَ هـــو الشـــركُ الأصْـــغَرْ
فـــي اللهِ أُجاهِـــدُ لا أبغِـــي ... أجـــرًا أو أبغِـــيَ أن أُذكَـــرْ

والعـونَ مـن المـولى أرجُـو نعـمَ المرجُـوُّ المستنصَـرْ
أدعُـو الـرحمنَ ولا أدعُـو ميتًـا أو جنِّيًـا أحمَـرْ
وأخـافُ الجبّـارَ الأعلـى لا أخشَـى جبـارًا أصـغَرْ
وأُحـبُّ حبيبًـا لا يفْنَـى لا ينسـى الحِـبَّ ولا يَبْهَـرْ
للهِ ذبحـتُ ولـم أذبَـحْ لسـواهُ الهَـدْيَ ولـم أَنحَـرْ
وعلـى القيّـومِ توكلـتُ عَـلَّامِ الغيـبِ ومـا يَظهَـرْ
ربّـي الـرزاقُ هـو المعبـودُ هـو المقصـودُ هـو الأظهَـرْ
الكـونُ جميعًـا قبضَـتُه جـلَّ الفعَّـالُ المُسـتقدَرْ[1]

* * *

(١) ديوان النصر للإسلام (ص:١٢٩-١٣٠).

٣٥- للهِ الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ[١]

إلـى اللهِ كـلُّ الأمـرِ فـي الخلـقِ كلّـه
وليس إلـى المخلـوقِ شـيءٌ مـن الأمـرِ
إذا أنـا لـم أقبَـلْ مـن الـدَّهرِ كـلَّ مـا
تكَرهْـتُ منـه طـالَ عتبـي علـى الـدهْرِ
تَعَـوَّدتُ مـسَّ الضُّـرِّ حتـى أَلِفْتُـهُ
وأحْـوجَنِي طـولُ العـزاءِ إلـى الصَّـبْرِ
وصـيَّرني يأسـي مـن النـاسِ راجيًـا
لِسُـرْعةِ لُطـفِ اللهِ مـن حيـثُ لا أدْرِي

* * *

(١) الله أهل الثناء والمجد (ص: ٦٧٠).

٣٦- إلهي وجاهي

لـك الحمـدُ طوعًـا... لـك الحمـدُ فرضًـا
وثيقًـــا عميقًـــا... ســـماءً وأرضًـــا
لـك الحمـدُ صَـمْتًا... لـك الحمـدُ ذِكْـرًا
لـــك الحمـــدُ خَفْقًـا حثيثًـا... ونبضًـا
لـــك الحمـــدُ مـــلءَ خلايـــا جَنَـــاني
وكـــلّ كِيـــاني... رُنـــوًّا وغَمْضًـــا
إلهـــي وجـــاهي إليـــك اتِّجَـــاهي
وطيـــدًا مديـــدًا... لترضَـــى فأرضَـــى
فأنـــتَ قِـــوَامي... وأنـــت انسِـــجَامي
مـــع الكـــونِ والأمـــرُ لـــولاكَ فوضـــى(١)

* * *

(١) من ديوان قلب ورب لعمر بهاء الدين الأميري (ص:١٩٧-١٩٨).

٣٧- سبحانك يا الله

لكَ الحمدُ يا مُستوجِبَ الحمدِ دائمًا
على كلِّ حالٍ حمدَ فانٍ لدائمِ
وسبحانكَ اللهُمَّ تسبيحَ شاكرٍ
لمعروفِكَ المعروفِ يا ذا المراحِمِ
فكم لكَ من سترٍ على كُلِّ خاطِئٍ
وكم لكَ من برٍّ على كلِّ ظالمِ
وجُودُكَ موجودٌ وفضلُكَ فائضٌ
وأنتَ الذي تُرجَى لكشفِ المظالمِ
وبابُكَ مفتوحٌ لكُلِّ مُؤمِّل
وبِرُّك ممنوحٌ لكلِّ مُصَارِمِ
فيا فالِقَ الإصباحِ والحَبِّ والنَّوى
ويا قاسمَ الأرزاقِ بين العوالِمِ
ويا كافلَ الحيتانِ في لُجِّ بحْرِها
ويا مُؤنسًا في الأفقِ وحشَ البهائِمِ
ويا مُحصي الأوراقِ والنبتِ والحصَى
ورملِ الفَلا عَدًّا وقطرِ الغَمَائمِ
إليكَ توسَّلنا بكَ اغْفِر ذُنُوبَنَا
وخفِّفْ عَنِ العَاصينَ ثِقْلَ المظَالمِ
وحبِّبْ إلينا الحقَّ واعِصْم قُلُوبَنَا

مـن الزِّيـغِ والأهـواءِ يـا خيـرَ عاصـمِ
ودمِّـــر أعادِينـــا بسُـــلطانِكَ الـــذي
أذلَّ وأفنَـــى كُـــلَّ عـــاتٍ وغاشـــمِ
ومُـــنَّ علينـــا يـــومَ ينكَشِـــفُ الغطـــا
بســـترِ خَطَايَانـــا ومَحْـــوِ الجَـــرَائمِ
وصـــلِّ علـــى خيـــرِ البرايـــا نبيِّنـــا
مُحمَّـــدٍ المبعُـــوثِ صـــفوةِ آدمِ

* * *

٣٨- ربِّ رحماك!

لـكَ محيـايَ خالصًـا.. ومـماتي يـا إلهـي.. ويـا عظـيمَ الصِّـفاتِ
لـكَ سَـعْيي.. وفيـكَ غايـةُ حُبِّـي ونجَـاوَى ضـرَاعتي.. وصـلاتِي
وسُـجُودي.. معـرَاجُ رُوحـي وعَقلـي وانعِتـاقي.. ولـذَّتي.. وحَيـاتِي
وكـأنّي فـي بحـرِ نـورِكَ طيـفٌ هـائمُ الشَّـوقِ.. واكِـفُ[1] العبَـراتِ
وأرى الكـونَ.. الفضـاءَ.. كِتَابًـا سُـطِّرَتْ فيـه أروعُ الآيـاتِ
كـلُّ شـيءٍ مرآتُـهُ عنـكَ تحْكِـي وتُرينـا الإبـداعَ.. والمعجـزَاتِ
ولسـانُ الوجـودِ يلهَـجُ بالحمـدِ اعـ ـترافًا مِنـهُ بفـيضِ الهِبـاتِ
ربِّ رُحمـاكَ!.. كـلُّ نبضَـةِ عِـرقٍ مـن فُـؤادي تجـيشُ بالـدَّعواتِ
قصُـرَتْ هِمَّتـي.. وهِـيضَ جَنـاحِي أيـنَ مِنّـي النُّهـوضُ بالواجبـاتِ
أيـن بـذلي مـن أجلِـكَ النَّفسَ وَالمَـا لَ.. ومَعنَـى تَجَـرُّدي.. وثَبَـاتِي
طَالمَـا قـد ظلَمـتُ نَفْسِـي.. فعَفوًا وأعِنِّـي ربِّـي علَـى الطَّاعـاتِ
ورجَـائي.. وحُسـنُ ظَنِّـي.. وصِـدْقي هُـو يـومَ الحسَـابِ حبـلُ نجَـاتي[2]

* * *

(١) واكف: منهمر.
(٢) ديوان (جراح وكلمات)، انظر: رائق الشهد (ص: ٧٠-٧١).

٣٩- أطيار

مصطفى عكرمة

هُنـا فـي الـرَّوضِ أطيـارٌ بحَمْـدِكَ سـبَّحت رَبِّـي
أَرىَ أَشْـكَالَها اختَلَفـتْ ولكـن كُلُّهـا تَصْـبِي
تنـاغَمَ صـوتُها.. وحَكَـى لنـا فـي رِقَّـةِ الصَّـبِّ
بألحـانٍ تبايُنُهـا بأفصَـحِ مَنطـقٍ يُنْبِـي
بأنَـكَ أنـتَ مُبـدِعُها ومُبـدعُ لحْنِهـا العَـذبِ
وأنـتَ هـديتَها طَبعًـا يُحَيِّـر كُـلَّ ذي لُـبِّ
وأنـتَ منحتَهـا عَزمًـا علـى التَّحليـقِ يـا رَبِّـي
تَسَـاوَى عِنـدَ أصـغَرِها قَصِـيُّ البُعـدِ بـالقُربِ
أقامَـت فـي الـذُّرَى وكـرًا لتَـأمنَ كُـلَّ ذي رُعْـبِ
تطيـرُ لَـهُ علـى أمـنٍ وتَهْـدِي البِشْـرَ للزَّغْـبِ[1]
وتُخـرجُ مـن حَوَاصِـلِها وتُطعِمُهـا مـن الحَـبِّ
وترعاهـا لِكـي تَقْـوَى وتمـرَحَ في المَـدَى الرَّحْـبِ
وتهتِـفُ باسـمِكَ الأعلَـى مُسـبِّحةً أيـا رَبِّـي
فكـم مـن آيـةٍ فيهـا غَفَـا عـن وَعْيِهـا صَـحْبي!
وإدراكُ الـذِي تُـوحِي هِ كـانَ.. ولـم يَـزَل دَأبـي
فمَـنْ إلّاكَ أرشَـدَها لتَحيـا العُمـرَ فـي حُـبِّ!
ومـن إلَّاكَ سَـوَّاها تُحيِّـرُ كـلَّ ذِي لُـبِّ!

---

(١) الزغب: صغار الطير التي لا ريش لها.

إلهـــي إنَّ بعـــضَ الطَّيْـــ ـــرِ فــي تسـبيحِها.. قَلبــي
وحَسْـــبي اليَـــومَ إيمـــانِي بقُــدرةِ خــالِقي حَسْــبي[1]

* * *

(١) حتى ترضى (ص:٤٢-٤٤).

٤٠- يكفيك ربٌّ لم تَزَل في حفظِه

ابن قيم الجوزية

يكفيكَ من وَسِع الخلائِقَ رَحمةً ... وكفايَةً ذُو الفضلِ والإحسانِ
يكفيكَ من لم تَخْلُ من إحسانِهِ ... في طَرْفَةٍ كتقلُّبِ الأجفانِ
يكفيكَ ربٌّ لم تَزلْ ألطَافُهُ ... تَأتِي إليكَ برحمَةٍ وحَنانِ
يكفيكَ رَبٌّ لم تَزلْ في سِترِهِ ... ويَراكَ حينَ تَجِيءُ بالعَصيانِ
يكفيكَ ربٌّ لم تَزلْ في حِفظِهِ ... وَوِقَايةٍ منهُ مَدَى الأزمَانِ
يكفيكَ ربٌّ لم تَزلْ في فَضلِهِ ... مُتقَلِّبًا في السِّرِ والإعْلانِ
يدعُوهُ أهلُ الأرضِ مَعْ أهلِ السَّما ... ءِ فكلَّ يومٍ ربُّنا في شَانِ
وهُو الكفيلُ بكُلِّ ما يَدعُونَهُ ... لا يَعتَري جدوَاهُ من نُقصانِ[1]

* * *

(١) الكافية الشافية

٤١- تسبحُ كلُّ الكائناتِ بحمدهِ

تَبـارِكَ مَـنْ شُـكْرُ الـوَرَى عنـهُ يقصُـرُ
لكـونِ أيـادي جُـودِهِ لـيسَ تُحْصَـرُ
وشَـاكرُها يحتـاجُ شُـكرًا لشُـكرِهَا
كـذلكَ شُـكرُ الشُّـكرِ يحتـاجُ يُشـكرُ
ففـي كـلِّ شُـكرٍ نعمَـةٌ بعـدَ نعمـةٍ
بغيـرِ تنـاءٍ دُونهَـا الشُّـكرُ يصْـغُرُ
فمـن رَامَ يقضِـي حـقَّ واجـبِ شُـكرِهَا
تحَمَّـلَ ضـمنَ الشُّـكرِ مـا هُـو أكبـرُ
تُسـبِّحُهُ الحيتـانُ فـي المـاءِ وفـي الفَـلَا
وحُـوشٌ وطَيـرٌ فـي الهَـوَاءِ مُسـخَّرُ
وفـي الفُلـكِ والأمـلاكِ كُـلٌّ مُسـبِّحٌ
نهَـارًا ولـيلًا دائمًـا لـيسَ يفتُـرُ
تُسـبِّحُ كـلُّ الكائنـاتِ بحَمـدِهِ
سَـمَاءٌ وأرضٌ والجبَـالُ وأبحُـرُ
جميعًـا ومـن فِـيهنَّ والكُـلُّ خاشِـعٌ
لهيبَتِـهِ العُظمَـى وَلَا يتكَبَّـرُ
لـهُ كُـلُّ ذرَّاتِ الوجُـودِ شَـواهدٌ
علـى أنـهُ البَـاري الإلَـهُ المُصـوِّرُ
دَحَـا الأرضَ والسَّـبعَ السَّـماواتِ شَـادَهَا
وأتقنَهَـا للعـالمينَ ليَنظُـرُوا

وأبــدَعَ حُســنَ الصُّــنعِ فــي ملكُوتِهَــا
وفــي مَلَكــوتِ الأرضِ كــي يَتَفكَّــرُوا
وأوتَـــدَهَا بالرَّاسِـــيَاتِ فلَـــم تَمِـــدْ
وشَـــقَّقَ أنهـــارًا بِهَـــا تتفَجَّـــرُ
وأخـــرجَ مرعَاهـــا وبـــثَّ دوابَّهَـــا
وللكُـــلِّ يـــأتِي منـــهُ رِزقٌ مُقـــدَّرُ
مـن الحَـبِّ ثـمَّ الأبِّ والقضْـبِ والكَـلَا
ونخْـــلٍ وأعْنَـــابٍ فَواكِـــهُ تُثمِـــرُ
فأضـحَت بِحُسـنِ الزَّهـرِ تَزْهُـو رِيَاضُـها
وفــي حُلَــلٍ نســجُ الرَّبيــعِ تَبَختَــرُ
وزَانَ سَـــمَاءً بالمصَـــابيحِ أصـــبحَتْ
وأمستْ تُبَاهِي الحُسْنَ تزهُـو وتَزهَـرُ
ترَاهَــا إذا جَــنَّ الــدُّجَى قــد تقلَّــدَت
قلائِـــــدَ دُرِّيٍّ لِـــــدُرٍّ تُحَقِّـــــرُ
فيَــا نَــاظِرًا زهــرَ البَسَــاتِين دُونَهَــا
أظُنُّـكَ أعمَـى لـيسَ للحُسـنِ تُبصِـرُ(١)

* * *

٤٢ – الله سندنا

خير الدين وانلي

مـــا غيـــرُ اللهِ لنـــا سَـــندُ فعليـــهِ دومًـــا نعتَمِـــدُ

(١) رائق الشهد (ص: ٨٥-٨٦).

لـــم نشـــركْ يومًـــا بالبـــاري ... فهـــو الأحـــدُ الفـــردُ الصَّـــمدُ
مـــن للمضْـــطرِّ إذا نَـــادَى ... كـــي يكْشِـــفَ عنـــهُ مـــا يجـــدُ؟
مـــن للمحْـــزونِ وللمكـــرو ... بِ وللمَلْهـــوفِ المعتَمَـــدُ؟
مـــن غيـــرُ اللهِ يُؤَيِّـــدُنا ... بالنصـــرِ ومـــن منـــهُ المـــدَدُ؟
فعلـــى الـــرحمنِ توكلْنـــا ... وإليـــهِ نَجِـــدُّ ونجتَهِـــدُ
ولـــه أســـلَمْنا عـــن طـــوعٍ ... وبـــهِ نعتـــزُّ ونعتَضِـــدُ
وإليـــهِ أنبْنـــا فـــي ذلٍّ ... مـــن هَـــوْلِ جهـــنمَ نرتَعِـــدُ
نـــدعُوه نرجُـــو جنَّتَـــهُ ... فالخلـــدُ منـــالٌ مبتَعَـــدُ
لكـــنَّ الرحمـــةَ واســـعةٌ ... يُؤتَاهـــا العبـــدُ المجتَهِـــدُ[1]

* * *

(١) ديوان النصر للإسلام (ص: ١٣١).

٤٣- أمّن ينجيكم في ظلمات البر والبحر

عبد الرحمن حبنكة

رَكِبــــتُ البِحــــارَ وأهوالَهَــــا وحَمَّلــتُ فــي الفُلْــكِ أحمَالهَــا
وخُضْـــتُ العُبَـــابَ وأمواجَـــهُ وقـــد زُلزِلَـــتْ فيـــهِ زلزالَهَـــا
وهاجَـــتْ عواصِـــفُهُ فـــي الضَّـــبا بِ وجـــرَّتْ ليالِيـــهِ أذيالهَـــا
وخفَّـــت علَـــى موجِـــهِ الجَاريـــا تُ وقطَّعـــتِ الـــنَّفسُ آمالَهَـــا
ولـــم يبـــقَ مـــن سَـــبَبٍ يُرتَجَـــى وأوقَفَـــتِ النَّـــاسُ أعمَالَهَـــا
ونـــادَى المُنـــادِي: إلهِـــي أغِـــثْ فإنَّـــكَ وحـــدَكَ تُرجَـــى لهَـــا
فـــأرخَى المُهـــيمِنُ حَبْـــلَ النَّجَـــا ةِ ونَـــالَ السَّـــلامَةَ مـــن نَالَهَـــا
وأرْسَـــتْ علَـــى الشَّـــاطيءِ المُرتَجَـــى وألقَـــتْ علَـــى البَـــرِّ أثقَالَهَـــا
وأثنـــت علَـــى اللهِ نَفـــسُ الشَّـــكُورِ ولـــم يُنسِـــها الأمـــنُ أحوَالَهَـــا
وكـــم أنفُـــسٍ جَحَـــدت رَبَّهـــا ومـــرَّتْ تُجَـــرِّرُ أذيَالَهـــا
وســـاوِسُ شـــيطَانِهَا اســـتحْوَذَتْ علَيهَـــا مـــن الـــوَهمِ فاجتالَهـــا
فيَـــا ويلَهَـــا أنفُسًـــا بـــالجُحُو دِ تُقَابِـــلُ أنعُـــمَ مـــن عَالَهـــا
وتتبَـــعُ أوهَامَهَـــا البَـــاطِلا تِ وتَعبُـــدُ بالـــذُّلِّ مُغتالَهـــا

***

٤٤- زهرةُ الروض أجيبي

شَـدَّني الحُسـنُ وأغـرَى إذ رَأت عينَـايَ زهـرَه
تنشُـرُ العِطـرَ وتُضـفِي مـن شَـذَا العِطـرِ المسَـرَّه
بهجَـةُ العـينِ ولُطفًـا رَفَّ إحساسًـا وفِكـرَه
يأسِـرُ الـرَّائينَ طَوْعًـا يـنفُحُ الأرجَـاءَ سِـحرَه
زهـرَةَ الـرَّوضِ أجيبِـي مـن تُـرَى أهـدَاكِ نَضْـرَه
مـن تُـرَى أنشـاكِ أُنسًـا لمُحِـبٍّ زَادَ صَـبْرَه
مـن تُـرَى أهـدَاكِ ألـوَا نًـا لَهَـا فـي السِّـحرِ قُـدرَه
تَجْـذِبُ الـرَّائين طُـرًّا تَفْـتِنُ الألبَـابَ بُكـرَه
مـن أُنـاسٍ وطُيُـورٍ رَاقَهَـا الحُسـنُ بزَهْـرَه
أو هَـوَامٍ تنقُـلُ الطَّلْـعَ فتزهُـو مِنـهُ دُرَّه
مـن تُـرَى أهـدَاكِ عِطـرًا تنشُـدُ الأحيَـاءُ سِـحرَه
مـن تُـرَى سَـوَّاكِ شـكلًا يُرهِـفُ الحِـسَّ بنَظـرَه
مـن تُـرَى أجـرَى حيـاةً فيـكِ إذ مـا كُنـتِ بِـذْرَه
مـن تُـرَى أنبَـتَ مـن مَـيْ تٍ حيـاةً ومَسَـرَّه
من تُـرَى أسرَى بـكِ المَا ءَ فكَانـت مِنـهُ خُضـرَه
زهـرَةَ الـرَّوضِ تُـرَى مـن فيـكِ قـد أودَعَ خَيـرَه
مـن تُـرَى أهـدَاكِ سِـحْرًا زاهيًـا يُحسِـنُ أسـرَه
فأَمَالـت زهرَتـي رَأ سًـا وأَومَـت لـي بنَظـرَه
خـالِقي اللهُ تعَـالى فِـيَّ قـد أودَعَ سِـرَّه

خـــــالِقِي اللهُ تجلَّـــــى مُبـــدعًا فـــي كُـــلِّ ذَرَّه[1]

* * *

(١) رائق الشهد (ص:٣٣٤-٣٣٥).

٤٥- توبة وإقبال

ربّ قــد أقبلــتُ فــي ظــلِّ رحابِــكْ
خاشــعَ الطــرفِ لــدى نــورِ شِــهَابكْ
خاضـــعَ الـــنفْس ذلـــيلًا صـــاغرًا
وفـــؤادي ســـاجدٌ يَجْثُـــو ببابِـــكْ
كـــم بكـــى يـــا ربّ فـــي سَـــجْدَتِه
إذ يهــابُ الهــولَ فــي يــومِ حِسَــابِكْ
يرقُـــبُ الغفـــرانَ فـــي يـــومِ الظَّمَـــا
وهــو يرجُــو الــوردَ مــن فَــيْضِ شَــرَابِكْ
كلمـــا وَسْـــوَسَ شـــيطانُ الهَـــوَى
قلــتُ يــا شــيطانُ سُــحْقًا لِسَــرَابِكْ
أو دَعَـــاني خـــاطرٌ يعْصِـــفُ بـــي
قلـــتُ يـــا شـــاعِرُ رفْقًـــا بِشَـــبابِكْ
كيـــف تَشْـــرِي ضَـــلَّةً بعـــدُ هـــدًى
وتُمَنِّـــي الـــنفسَ ظلمًـــا بِخَرَابِـــكْ
أنـــت مـــا زلـــتَ فَتًـــى لا تَرْعَـــوِي
ضَـــلَّتِ الحكمـــةُ فـــي غَـــضِّ إِهَابِـــكْ
عُــــدْ إلــــى اللهِ وَرَتِّــــلْ آيَــــهُ
فلعــــلَّ الله يرضَــــى بمَتَابِــــكْ
ربِّ لـــن يَهْـــدِيَنِي فـــي حَيْرَتِـــي

غيـــرُ نـــورٍ وَســـنَاءٍ مـــن كتابِـــكْ[1]

* * *

٤٦- رحماك يا ربَّ العبادِ

رحْمَــاك يــا ربَّ العبــادِ رجَــائي ... ورِضَــاك قَصْــدِي فاســتجِبْ لِــدُعَائي
وحَمِــاك أَبْغِــي يــا إلهــي راجيًــا ... منــك الرِّضــا فَجُــدْ بــوَلائي
ناديــتُ باسْــمِك يــا إلهــي ضــارِعًا ... إن لــم تُجِبْني فمــن يُجيــبُ بُكــائي
أنــتَ الكــريمُ فــلا تَــدَعْني تائِهًــا ... فلقَــدْ عَييــتُ مــن البِعَــادِ النَّــائي
مــا لــي سِــوَى أعتــابِ جُــودِكَ مَوْئِــلٌ ... فلــئِن رُدِدتُ فمــن سِــوَاكَ رَجَــائِي
ولقــد رجوتُــك يــا إلهــي ضَــارِعًا ... متــذللًا فــلا تَــرُدَّ رجَــائِي[2]

* * *

---

(١) يوسف العظم (السلام الهزيل) (ص:١٤-١٦).

(٢) أناشيد فتية الحق (ص:٣٧).

٤٧- توكلتُ على اللهِ

توكلتُ في رِزقِي علَى اللهِ خالقِي
وأيقنتُ أن اللهَ لا شَكَّ رازِقي
وما يَكُ من رزِقِي فليسَ يفوتُني
ولو كانَ في قَاعِ البِحارِ الغوامِقِ
سيأتي بهِ اللهُ العظيمُ بِفَضْلِهِ
ولو لم يكنْ مِني اللسانُ بنَاطِقِ
ففي أيِّ شيءٍ تذهَبُ النفسُ حسرَةً
وقد قسَّمَ الرَّحمنُ رِزقَ الخلائِقِ[1]

* * *

(١) ديوان الشافعي (ص:٩٩).

٤٨- حبيبُ القلوب

هبِ الرسلُ لم تأتِ من عندِه ولا أخْبرتْ عن جمالِ الحبيبِ
أليس من الواجبِ المسْتَحَقِّ محبتُه في اللِّقَا والمغيبِ؟
فمن لم يكنْ عقلُه آمرًا بذا ما له في الحِجَى من نَصِيبِ
وإن العقولَ لتدعُو إلى محَبةِ فاطرِها من قريبِ
أليستْ على ذاك مجبولةً ومفطورةً لا بكسْبٍ غريبِ؟
أليس الجمالُ حبيبَ القلوبِ لذاتِ الجمالِ، وذاتِ القلوبِ؟
أليس جميلًا يحبُّ الجمالَ؟ تعالى إلهُ الورَى عن نَسِيبِ
أما بعدَ ذلك إحْسَانُه بداعٍ إليه الفُؤاد المنيبِ؟
فمن ذا يُشَابِهُ أوصَافَه؟ تعالى إلهُ الورَى عن ضَرِيبِ[1]
ومن ذا يكافِئُ إحسانَه فيألَهُه قلبُ عبدٍ منيبِ؟
وهذا دليلٌ على أنَّه إلى كلِّ ذي الخَلْقِ أولى حبيبِ
فيا منكرًا ذاك واللهِ أنت عينُ الخصيمِ وعينُ الحريبِ[2]
ويا من يُحِبُّ سواه كمثـ ـلِ محبتِه أنت عبدُ الصَّلِيبِ
ويا من يوحِّدُ محبوبَه ويُرضيه في مَشْهدٍ، أو مغيبِ
حَظَيْتَ وخَابوا فلا تَبْتئسْ بكيدِ العدوِّ وهجرِ القريبِ[3]

٤٩- آياتٌ من الدُّررِ

محمد عبد الله القولي

تباركَ اللهُ زانَ الأرضَ بالدُّررِ واستنطَقَ الحُسنَ في زَهرٍ وفي شَجَرِ

---

(١) ضريب: يقال: فلانٌ ضريب فلان: إذا كان شبيهًا له.

(٢) الحريب: المحارب والمسلوب.

(٣) الله أهل الثناء والمجد (ص:٣٦٣-٣٦٤).

وهَزْهَـزَ الأرضَ مـن نـومٍ ليُوقِظَهَـا ... ورشَّ فـي وجهِهَـا الوسـنَانِ بـالمطَرِ
وأرسـلَ الشَّـمسَ تُـذكيهَا بقُبلتِهَـا ... فاستعذَبَتْ دفئَهَا المحفوفَ بالخدَرِ
وحـرَّكَ الـرِّيحَ مسَّـت شَـعْرَهَا بيـدٍ ... كأنهَّـا الطَّيـفُ يغشَـاهَا بـلا كَـدَرِ
وأرسـلَ النَّهـرَ تُطفِـي فيـهِ حُرقَتَهـا ... وتسـتَقي رَغَـدًا ينسَـابُ بـالنَّهرِ
وأبهـجَ الطَّيـرَ فـاهتزَّت مَعَازفُهَـا ... تُدغـدِغُ السَّـمعَ فـي لحـنٍ بـلا وتَـرِ
وغـرَّد البُلبُـلُ الصَّـدَّاحُ يُطربُهَـا ... فينتشِي الحسُّ ما في الكأسِ من سكَرِ
ففتَّحَـتْ عينَهَـا والنَّـومُ يجـذِبُهَا ... ومسَّـحَتْ ذَيـلَ طيـفٍ عَـادَ للسَّـفرِ
وسـبَّحتْ ربَّهَـا الوهَّـابَ واتَّكـأتْ ... وأعتـدَتْ مجْلِسًـا كـم طَـابَ للبَشـرِ
وفكَّـرتْ أيَّ ثـوبٍ تنتَقِـي لَهُمُـو ... تحيَّـر القلـبُ مـن أثوابِهَـا الكُثُـرِ
تنهَّـدَتْ نشَـرَتْ أزهَـى ملابِسَـهَا ... وقلَّبَـت تَصْـطَفِي الفتَّـانَ للنَّظـرِ
وسـارَعتْ لحِلَاهـا تنتَقِـي قمَـرَا ... عِقْـدًا تـألَّقَ فـي نَجْماتِـهِ الزُهُـرِ
تقلدَّتـهُ وفـي حبَّاتِـهِ بَهَـرٌ ... قـد هـيَّجَ اللؤلـؤَ الوضَّـاءَ كـالقمَرِ
تبسَّـمتْ وارتـدَتْ ثوبًـا يُزيِّنُهـا ... وصـفَّقَتْ للجَـواري إقتفِـي أثَـرِي
تبـاركَ اللهُ أعطَـى الحُسـنَ مُقتَـدِرًا ... فاختَالتِ الأرضُ في وَشيٍ من الزَّهَرِ
وجَرجَـرتْ ثوبَهَـا المعطُورَ مَنْسَـجُهُ ... وأفـرَدَت ذَيلَـهُ المرشُـوشَ بالصُّـورِ
وأشـرقَتْ بعَطـاءِ اللهِ تلبَسُـهُ ... وتزدَهِـي بجمَـالٍ سـارَ فـي زُمَـرِ(١)
ترنـو إلـى المَـاءِ تلقَـى فيـهِ صُـورتَهَا ... وتَنْتَشِـي فرَحًـا مـن آيِهَـا الغُـرَرِ
شتَّى من النَّبتِ هـذِي الأرضُ قَـد وَلَـدَتْ ... وأودَعَتهـا الـدُّنا للعـيشِ والنَّظـرِ
ففـي الرُّبـا شَـجَرٌ أفنانُـهُ ضَـحِكَتْ ... ويبسُـمُ الزَّهـرُ مَطْوِيًّـا علـى ثَمَـرِ
وفـي البحـارِ نبـاتٌ راقَ سَـاكنَهَا ... تحيَـا عليـهِ ويحمِيهـا مـن الخطَـرِ

---

(١) زمر: جماعات.

والنَّهرُ قِيعَانُـهُ بالنَّبـتِ قـد فُرِشَـتْ ... تبـارك اللهُ بـثَّ الخَيـرَ فـي النَّهَـرِ
والمـاءُ مُدْهِشَـةٌ فـي الأرضِ صـنعَتُهُ ... والنَّبتُ مُختَلِفٌ في الذَّوْقِ والصُّورِ
تبـاركَ اللهُ أَعطَـى الأرضَ فتنَتَهـا ... واستنطقَ الشِّعرَ آيـاتٍ مـن الـدُّرَرِ(١)

* * *

(١) رائق الشهد (ص: ٣٣٢-٣٣٤).

٥٠- الإبداعُ

خير الدين وانلي

تفــــوحُ روائـــحُ الرَّيحـــانِ لا أزْكَـــــى ولا أطْيَـــــبْ
ويشْـدُو الطيـرُ فـي البسـتانِ لا أنْـــــدَى ولا أطْـــــرَبْ
ويزهــو الزهــرُ فــي الرّمــانِ لا أبْهَــــى ولا أعْجَــــبْ
فَجَلَّـــتْ قُـــدرةُ الـــرحمنِ لا أَقْـــوَى ولا أغْـــرَبْ
يُنـــادي البلبـــلُ الشَّـــادي رفيقتَـــــه ويُغرِيهـــــا
وتثغـو[1] الشـاةُ فـي الـوَادِي فـــلا تُنسَـــى بوادِيهـــا
ومـــاءُ البركـــةِ الهـــادي يعـــانِقُ رمْـــلَ شَـــاطِيها
وألحـــانٌ مـــن الحَـــادِي إلـــى الغَيْمـــاتِ يُهـــديها
يـــدُ الإبـــداعِ فـــي الكـــونِ بكـــلِّ خليقـــةٍ تظهَـــرْ
مـــن الأصـــواتِ واللـــونِ إلـــى الأعـــراضِ فـــالجْوهَرْ
فَسِـرْ فـي الأرضِ فـي هَـوْنِ ولا تَسْـــتَعْلِ أو تفخَـــرْ
فأنـــتَ أحـــقُّ بـــالعَوْنِ وأنــت الأضْـعَفُ الأصْـغَرْ
كتـــابُ اللهِ مَفْتـــوحٌ لمـــن يَسْتَوْضِـــحُ السِّـــرَّا
ونصـــــرُ اللهِ ممنـــــوحٌ لـــراجِ عنـــدْ النَّصْـــرَا
ورزقُ اللهِ مَطْـــــــــروحٌ لمـــن قـــد قـــدَّمَ الشُّـــكْرَا
وفعـــلُ الخيـــرِ مَسْـــموحٌ بـــهِ فاســـتكثرِ الأجْـــرَ
عـــن الأرواحِ لا تَسْـــأَلْ فســـرُّ الـــروحِ مجهـــولُ

---

(١) تثغو: تصيح.

ولا تُهْمِـــلْ ولا تَكْسَـــلْ فراعـــي الضـــأنِ مَسْـــؤولُ
وســلْ عــن كــلِّ مــا تجهَــلْ فهـــذا العِلـــمُ مبـــذولُ
ويَلْقَــى المــرءُ مــا يَعْمَــلْ وفَضْـــلُ اللهِ مـــأمولُ
تأَمّــلْ صَــنْعَةَ الخــالِقْ وكـــلُّ الخلـــقِ آيـــاتُ
فهـــذا كَوْكَـــبٌ ســـامِقْ وهـــذي الأرضُ ذرَّاتُ
وهـــذا شـــامخٌ شـــاهِقْ وذاكَ الســـهلُ جَنَّـــاتُ
ومـــوجٌ زاخـــرٌ دافِـــقْ وأحيـــاءٌ وأمـــواتُ
وكـــلُّ الكـــونِ إحْكَـــامْ مِـنَ الأسْـمَى إلـى الأصـغَرْ
وديـــنُ اللهِ إســـلامْ علـــى أدْيـــانِهم يظهَـــرْ
وشـــرعُ اللهِ أحكـــامْ جَلِيَّـــاتٌ لمـــن أبصَـــرْ
ووحـــيُ اللهِ إلهـــامْ فجـــلَّ الخـــالِق الأكْبَـــرْ[1]

* * *

(١) ديوان النصر للإسلام (ص: ١٤٠-١٤١).

٥١- عجائب أصناف النبات

عبد الرحمن حبنَّكة

عجائـبُ لا تنتَهِـي فـي النَّبـاتْ تــدلُّ علــى الخــالقِ المقتــدِرْ
عجائــبُ فــي أصــلِ تكوينِــهِ عجائــبُ فــي نَجْمِـهِ والشَّــجَرْ
عجائـبُ لا تنقَضِـي في الجُـذُورْ وفـي السُّـوقِ ثـمَّ بفَـيْضِ الثَّمـرْ
عجائــــبُ تبـــدُو بأوراقِــــهِ ومــا جَمَعَــتْ مــن ثُغــورٍ كُثُــرُ
نســيجٌ بــهِ يُــدْهِشُ النَّــاظرينْ وتحتــارُ فيمَــا حَــوَاهُ الفِكَــرْ
ومختَلِفَـــاتٌ بــــهِ لا تُعـــدُّ فتحلُــو صُــنُوفٌ وأُخـرى تَمُـرّ
وكـــلٌّ لـــهُ مَيْـــزةٌ فـــي الحَيَـا ةِ يعــرِفُ قيمتَهَـا مــن خَبَــر

***

٥٢- سبحانك ربي

أُسـبِّحُ ربـي مثـلَ الطيـور وأهتـفُ باسـمِ إلهـي كبيـرْ
أرى كبريـاءً بلـونِ السَّـماءْ ووَمْـضِ النجـومِ وبُعْـدِ المسـيرْ
وفـي شَـفَقٍ مُشْـفِقٍ كـالجراحْ يُـذَكِّرُ مـن أبصَـروا بالسَّـعير
وحـين يسـاقُ السَّـحَابُ الجـوادْ ليُحْيِـيَ فـي الأرضِ مَـوْتَى القبـورْ
وفي الشـمْسِ لُفَّـتْ بخِـدْرِ الحيـاءْ تُنـادِي الأحبَّـةَ عنـد البُكُـورْ
وفـي النخـلِ دانٍ بِقنوانِـهِ وفـي النَّحْـلِ يجمَـعُ حُلْـوَ العبيـرْ
بصـوتٍ تَرَقْـرَقَ بـين الحَصَـا بِكَـفِّ الحبيـبِ البشـيرِ النَّـذِير
بغِبْطَـةِ بشـرٍ بليـلٍ حَـزِين بَبَسْـمةِ طفـلٍ حبيـبٍ صَـغير
أبيـعُ وربّـي منـي اشْـتَرَى أبيـع الحيـاةَ ولا أستَشِـير
وأُشـهِدُ خَلْقَـكَ أَنَـي عبـدٌ أَحَـبَّ المليـكَ العزيـزَ الغفـور
وأُسـلِمَ عنـد لِقَـاك الرِّحَـا لَ وأُلْقِـي لـديْك عَنَـاءَ المسِـير[1]

* * *

(١) أناشيد دعوة الحق (ص:١٣٦).

٥٣- قف بالخضوع

البرعي

قــف بالخضُــوعِ ونــادِ يــا اللّٰهُ ... إنَّ الكــريمَ يُجيــبُ مــن نــاداهُ
واطلُـب بطاعَتِـهِ رِضـاهُ فلـم يـزَلْ ... بــالجودِ يُرضِــي طــالبينَ رِضَــاهُ
واســأَلْهُ مغفــرةً وفضْــلًا إنَّــهُ ... مبســوطَتَانِ لسَــائليهِ يــداهُ
واقصِـدْهُ منقطِعًـا إليـه فكـلُّ مـن ... يرجُــوهُ مُنقطِعًــا إليــه كفــاهُ
شَـمِلَتْ لطائِفُـهُ الخلائِـقَ كلَّهَـا ... مــا للخَلَائــقِ كافــلٌ إلَّا هُــو
فعزيزُهــا وذليلُهــا وغنيُّهــا ... وفقيرُهــا لا يرتَجُــون سِــوَاهُ
مَلِـكٌ تـدينُ لـهُ المُلـوكُ ويَلْتَجِـي ... يــومَ القيامــةِ فقــرُهُم بغِنــاهُ
هــو أوَّلٌ هــو آخــرٌ هــو ظــاهرٌ ... هــو بــاطنٌ لــيسَ العيُــونُ تــراهُ
حجَبَتْـهُ أسـرارُ الَجـلالِ فدونَـهُ ... تَقِــفُ الظُّنــونُ وتَخْــرُسُ الأفْــواهُ
صَــمَدٌ بــلا كــفْءٍ ولا كيفيَّــةٍ ... أبــدًا فمــا النُّظَــراءُ والأشْــبَاهُ؟!
شَـهِدَتْ غرائـبُ صُـنعِهِ بوجُـودِهِ ... لــولاهُ مــا شَــهِدَت بــهِ لــولاهُ
وإليـهِ أذعَنـتِ العُقـولُ فآمنَـتْ ... بالغيــبِ تــؤثِرُ حُبَّهــا إيَّــاهُ
سُبحانَ مـن عَنَـتِ الوُجُـوهُ لوجْهِـهِ ... ولــهُ سُــجُودٌ أوجــهٌ وجبــاهُ
طوعًــا وكرهًــا خاضِــعينَ لعِــزِّهِ ... ولــهُ عليهــا الطَّــوْعُ والإكْــرَاهُ
سَــلْ عنــهُ ذرَّاتِ الوجُــودِ فإنهـا ... تــدعُوهُ معبُــودًا لهــا ربَّــاهُ
أبـدي بمُحْكَـمِ صَـنيعِهِ مـن نُطفـةٍ ... بَشَــرًا ســويًّا جــلَّ مَــنْ سَــوَّاهُ
وبنـى السَّـمواتِ العُـلا والعَـرشَ وال ... كُرســيَّ ثــمَّ عــلا عليــه عُــلاهُ
ودَحـا بسـاطَ الأرضِ فرشًـا مُثبتًـا ... بالرَّاسِــيَاتِ وبالنَّبــاتِ حَــلاهُ

تجرِي الرِّياحُ على اختلافِ هبُوبِها عـــن إذنِـــهِ والفُلـــكُ والأمـــواهُ
ربٌّ رحـــيمٌ مُشْـــفِقٌ متعطِّـــفٌ لا ينتَهِـــي بالَحصْـــرِ مـــا أعطـــاهُ
كـم نعمـةٍ أولـى وكـم مـن كُربَـةٍ أجلَـى وكـم مـن مُبتلًـى عافـاهُ؟!
وإذا بُليـــتَ بغُربـــةٍ أو كُربـــةٍ فـــادعُ الإلـــهَ ونـــادِ يـــا اللهُ
لا مُحسـنُ الظـنِّ الجميـلِ بـهِ يَـرى سُـــوءًا ولا راجِيـــهِ خـــابَ رجـــاهُ
ولحِلْمِـــهِ سُـــبحانهُ يُعصَـــى فلـــم يَعْجَـلْ علـى عبـدٍ عَصَـى مـولاهُ
يأتيـــهِ مُعتَـــذِرًا فيقبـــلُ عُـــذْرَهُ كرمًـــا ويغفـــرُ عمـــدَهُ وخَطَـــاهُ
يا ذا الجلالِ وذا الجمالِ وذا البَقَا يـــا مُنعِمًـــا عـــمَّ الأنـــامَ نَـــدَاهُ

* * *

٥٤- روعة الخلق

خير الدين وانلي

بـديعٌ كـلُّ مـا فـي الكَـوْ ... نِ خلـقُ المبْـدعِ القـادرْ
جميـلٌ كـلُّ ما فـي الكوْ ... نِ للمُسْـتَمْتِعِ الشَّـاعِرْ
تأَمَّـلْ هـل تَـرَى عيبًـا ... بصُـنعِ المـتقِنِ الفـاطِرْ
تعـالى اللهُ ربُّ العَـرْشِ ... جـلَّ البـاطنُ الظَّـاهِرْ
تأَمَّـلْ زَهْـرةَ التفَّـاحِ ... ذاتَ السِّـحْرِ والعِطْـرِ
وتـابِعْ شَـدْوَ شَـحْرورٍ ... يُنـاجي بَسْـمَةَ الفجـرِ
وراقِـبْ نَمْلَـةً تسـعَى ... ونَحْـلًا غـاصَ فـي الزهْـرِ
ونهـرًا فِضَّـةً يجـرِي ... علـى حَصْـباءَ كالـدُّرِّ
تأمَّـل طـائرًا يَسْـعَى ... علـى أفراخِـهِ الزُّغْـبِ
وبطًّـا سَـابحًا يَجْـرِي ... مـع التيـارِ فـي حَـرْبِ
وشـاةً طِفْلَهـا تَـدْعُو ... ثُغَـاءً مفـرحَ القَلْـبِ
ومُهْـرًا قـافزًا يَلهُـو ... على بُسُطٍ من العُشْبِ[1]

* * *

(١) ديوان النصر للإسلام (ص:١٤٢).

٥٥- سبحان الله

يوسف العظم

لا تمتَـــرُوا فـــي ذاتِـــهِ فـــالكَونُ مـــن آياتِـــهِ
إن ضـــجَّ فـــي حَركاتِـــهِ أو نـــامَ فـــي ســـكَناتَهِ
والصُّـــبحُ فـــي إشـــراقِهِ واللَّيـــلُ فـــي ظُلُماتِـــهِ
والشَّمسُ في كبِدِ السَّما والـــنَّجمُ فـــي رَعَشَـــاتِهِ
والجـــوُّ فـــي إعصـــارِهِ إن هَـــبَّ أو نَسَـــماتِهِ
والرَّعـــدُ دوَّى قاصِـــفًا والبـــرقُ فـــي ومَضَـــاتِهِ
واللَّيـــثُ فـــي فَلَواتِـــهِ يختَـــالُ فـــي خُطُواتِـــهِ
والطَّيـرُ حلَّـقَ في الفضَـا أو نـــامَ فـــي وَكَناتِـــهِ
والـوردُ والعِطـرُ الشَّـذِيُّ يفُـــوحُ مـــن روضَـــاتِهِ
دَانـت لـهُ الأزهـارُ والـ أشـــوَاكُ بعـــضُ حُماتِـــهِ
لا تَمتَـــروا فـــي ذاتِـــهِ أو تهـــزَءُوا بدُعاتِـــهِ
سُـبحانهُ قـد حقَّـقَ الـ إعجَـــازَ فـــي كَلِماتِـــهِ
لا تمتـــرُوا فـــي ذَاتِـــهِ فـــالرِّزقُ مـــن آياتِـــهِ
سُـــبحانهُ مـــن خـــالقٍ بـــــرٍّ بمخْلُوقَاتِــــهِ
غَمَـــرَ الوجُـــودَ بفضـــلِهِ وأفـــاضَ مـــن خَيْراتِـــهِ
مـــن نَبعِـــهِ الثَّـــرِّ الغَزيـــرِ يجُـــودُ مـــن بَركاتِـــهِ
نـاءَت بـهِ السُّـحُبُ الثِّقـا لُ فسَـالَ فـي رَبواتِـهِ
والحقْـلُ حـانَ حصـادُهُ نَقْتَـــاتُ مـــن غَلَّاتِـــهِ

والنَّهـرُ فـي السَّـهل الفَسِيـ ـحِ يَـرِقُّ عـذبُ فُراتِـهِ
والغَــابُ ظــلٌّ وارفٌ والــرَّوضُ فــي ثَمَراتِــهِ
والمـاءُ صـافٍ فـي الغَديـ ـرِ يشِـفُّ فـي مِرَآتِـهِ
لا تقنطُـوا مـن رحمَـةِ الـ ـرَّحمنِ أو مَرضــاتِهِ
فـالحِلمُ والغُفـرانُ والـ ـرضوانُ بعـضُ صِـفاتِهِ
لا تمتَـرُوا فـي ذاتِـهِ فـالرُّوحُ مـن آياتِـهِ
والصَّـدرُ فـي أنفاسِـهِ والقلـبُ فـي خَفَقاتِـهِ
والثُّغـرُ فـي تسـبيحِهِ والثَّغـرُ فـي بسَـماتِهِ
والصَّـومُ فـي رمَضَـانِهِ والحـجُّ فـي ميقَاتِـهِ
والمُـؤمنُ البَـرُّ الكَريـ ـمُ مُصـدِّقًا بزَكاتِـهِ
والصَّـالحُ العَـفُّ التَّقـيُّ يهـيمُ فـي صَـلواتِهِ
يرجُـو الرِّضـى مـن ربِّـهِ ليُقـيمَ فـي جَنَّاتِـهِ
والفـاجِرُ الغِـرُّ الجهُـو لُ يَتِيـهُ فـي نزَوَاتِـهِ
لا يَسْـتَقِيمُ ولا يسيـ ـرُ علـى طَريـقِ هُداتِـهِ
والمـرءُ فـي أفراحِـهِ والمـرءُ فـي مأسَـاتِهِ
يمضِـي علَـى دَرْبِ الحيَـا ةِ وينتَهِـي بمَمَاتِـهِ
لا تَمتَـروا فـي ذَاتِـهِ فـالموتُ بعـضُ عظَاتِـهِ
لا تَمتَـروا فـي ذاتِـهِ فـالوَحْيُ مـن آياتِـهِ
والحـقُّ مـن إلهَامِـهِ والنُّـورُ مـن مِشْـكاتِهِ
والعَقـلُ فـي إبداعِـهِ والفِكـرُ فـي سَـبَحاتِهِ

والعلـمُ فـي العَصـرِ الحديـ ـــثِ يضِـــجُّ فــي آلاتِـــهِ
يرتَـــادُ آفـــاقَ الفضَـــا ءِ ويمتطِـــــي طيَّاتِـــــهِ
والبَحْـــرُ يهـــدِرُ صـــاخبًا والفُلـــكُ فـــي جنبَاتِـــهِ
والـــذَّرَّةُ الصُّـــغْرى مَصِيـــ ـــرُ الكـــونِ فـــي ذرَّاتِـــهِ
فخرَابُـــــهُ ودَمَـــــارُهُ إن ســـادَ حِقْـــدُ طُغاتِـــهِ
وعَمَــــارُهُ وَصَــــلَاحُهُ إن ســـادَ عقـــلُ تُقاتِـــهِ
كـم مِجْهَـرٍ قَرُبـت لنـا ال أبعـــادُ فـــي عَدَســـاتِهِ
أو هــاتِفٍ حَمَـل الحديـ ـــثَ مُـــردِّدًا همســـاتِهِ
لا تمتَـــروا فـــي ذَاتِـــهِ فالكُـــلُّ مـــن آياتِـــهِ[1]

* * *

(١) قصيدة سبحان الله من ديوان في رحاب الأقصى ليوسف العظم، (٥٣١. ٢٤١)، المكتب الإسلامي. وانظر: رائق الشهد (ص:٣٢٥-٣٢٧).

٥٦- إلا بِبَابِكَ

مصطفى عكرمة

إِلَّا ببابِك ما أطلتُ وقوفي ... يا من تُلبّي حاجَة الملهوفِ
ذلُّ الوُقوفِ ببابِ عِزِّكَ عِزَّةٌ ... يا ربِّ فاقَبْل ذِلَّتي ووقُوفي
عمَّرتُ بالأحْلامِ قَلْبي.. يا لهُ ... من خَافقٍ بِضَلالِهِ مشغوفِ!
صرفَتْهُ أهواءُ الحياةِ عن الهُدَى ... ولكم لها في النَّاسِ من تَصْريفِ!
هي عونُ إبليسٍ وعدَّةُ جُندهِ ... ولكم يُساقُ المرءُ بالتَّسويفِ!
غالتْ وأغْرَى وصفُها فاسْتَرْسَلَتْ ... والوصفُ كم يُغريكَ بالموصوفِ!
كم ذا وقفتُ ولم أنلْ من وعْدِها ... إلَّا بريقَ الوعدِ والتَّرجيفِ
ومضيتُ لا العِبَرُ الكبارُ تهُزُّني ... يومًا.. وإن بلَغَتْ أُلوفَ أُلوفِ
والصَّحْبُ قد عكَفوا على لذّاتِهم ... ولكم على اللذاتِ طالَ عُكوفي!
ألِفوا الحياةَ كما اشتهَت أهواؤهُم ... بئسَت حياةُ اللَّهْوِ من مألوفِ
رباهُ إنّي ما ارتَضَيْتُ سبيلَهُم ... ولكم عزفتُ وطالَ عنهُ عُزوفي!
لكنَّها الأهواءُ والهفي لما ... عانيتُ في الأهواءِ من تَلْهيفِ
رباهُ إن قَطَفوا لَذَائِذَهُم هُنا ... رباهُ فاجْعَل في الجِنانِ قُطُوفي
هي حقبةٌ عاشَ الفؤادُ بها الأَسَى ... ما بينَ حَالَيْ خائفٍ ومُخيفِ
واليومَ تابَ وجاءَ تحدُوهُ المُنى ... من غيرِ إبطاءٍ ولا تزييفِ
غُفرانَكَ اللهُم إنِّي تائبٌ ... يدعُو بقلْبٍ خاشعٍ وضعيفِ
يا ربِّ رُدَّ المُسلمينَ وردَّهُ ... للدِّينِ يا من أنتَ خيرُ لطيفِ

وانصُـر بحقِّـكَ أُمَّـتي والطُـف بهـا   يـا مـن تُلبّـي حاجَـةَ المَلهـوفِ[1]

* * *

(١) حتى ترضى (ص:٣٢-٣٤).

٥٧- بك أستجير

إبراهيم بديوي

بـك أسـتجيرُ فمـن يجيـرُ سِـوَاكا ... فـأجِرْ ضـعيفًا يَحْتَمِـي بِحَمَاكـا
إِنَّـي ضـعيفٌ أسـتعينُ علـى قِـوى ... ذَنْبـي ومَعْصِـيَتي بفـيضِ قِوَاكـا
أذنبـتُ يـا ربـي وآذتْنـي ذنـوبٌ ... مَـا لَهـا مـن غـافرٍ إلَّا كَـا
دنْيَـايَ غَرَّتنـي وعفـوُك غَرَّنـي ... وا حَيْرَتـي فـي هـذه أو ذاكَـا
يـا مـدرِكَ الأبصـارِ والأبصـارُ لا ... تَـدْري لـه ولكُنهِـهِ إدرَاكـا
إن لـم تكـنْ عَيْنِـي تَـرَاك فـإنني ... فـي كـلِّ شـيءٍ أسـتبينُ عُلاكـا
يـا منبـتَ الأزهـارِ عـاطرةَ الشَّـذَا ... هـذا الشَّـذَا الفـوَّاحُ نفـحُ شَـذَاكا
ربَّاهُ ها أنا ذا خَلُصْتُ من الهَوى ... واسـتقبلَ القلـبُ الخلـيُّ هَوَاكـا
وتركْـتُ أُنْسِـي بالحيـاةِ ولهوِهـا ... ولقيـتُ كـلَّ الأنـسِ فـي نَجْواكـا
ونسـيتُ حُبِّـي واعتزلـتُ أحِبَّتـي ... ونسـيتُ نَفْسـي خـوفَ أن أنسَـاكا
أنـا كنـتُ يـا ربـي أسيرَ غِشـاوةٍ ... رانَـتْ علـى قَلْبِـي فَضَـلَّ سَـنَاكا
واليـومَ يـا ربِّـي مَسَـحْتُ غِشَـاوتي ... وبـدأتُ بالقلْـبِ البصـيرِ أَرَاكـا
يـا غَـافِرَ الـذنبِ العظـيمِ وقـابلًا ... للتّـوبِ قلـبٌ تائـبٌ ناجَاكـا
يـا ربِّ جئتُـك ثاويًـا أبْكِـي علـى ... مـا قَدَّمَتْـه يَـدَايَ لا أَتَبـاكى
أخشَـى مـن العَـرْضِ الرهيـبِ عليـك يـا ... ربـي وأخْشَـى منـك إذ ألقَاكـا
يـا ربّ عـدتُ إلـى رِحَابِـك تائبًـا ... مُسْتَسْـلمًا مسْتَمْسِـكًا بعُراكـا
مـا لـي ومـا للأغنيـاءِ وأنـت يـا ... رَبِّـي الغنـيُّ ولا يُحَـدُّ غِنَاكـا
مـا لـي ومـا للأقويـاءِ وأنـت يـا ... ربـي عظـيمُ الشَّـأنِ مـا أقْوَاكـا

إني أويْتُ لكل مأوًى في الحياةِ … فمـا رأيـتُ أعـزَّ مِـنْ مَأْواكـا

وتلمسَتْ نفسي السبيلَ إلى النَّجَاةِ … فلـم تجـدْ منجًـى سِـوَ ى مَنْجَاكـا

وبحثـتُ عـن سِـرِّ السـعادةِ جاهـدًا … فوجـدتُ هـذا السـرَّ فـي تَقْوَاكـا

فليـرضَ عنِّـي النـاسُ أو فليسْـخَطوا … أنـا لـم أعُـدْ أسْـعَى لغيـرِ رِضَـاكا

أدعـوك يـا ربـي لتغْفِـرَ حَـوْبَتي … وتُعَينَنـي وتمـدَّني بهُـدَاكا

فاقْبَـلْ دعـائي واسْـتَجِبْ لرجَـاوَتي … مـا خـابَ يومًـا مـن دَعَـا ورجَاكـا

يـا ربّ هـذا العصـرُ ألحـدَ عنـدما … سـخَّرتَ يـا ربِّـي لـه دُنياكـا

مـا كـاد يُطْلِـقُ للعُـلا صـاروخَه … حتـى أشـاحَ بوجِهـه وقَلَاكـا

أَوَ مَـا دَرَى الإنسـانُ أن جميـعَ مـا … وصَـلَتْ إليـه يَـدَاه مـن نُعْمَاكـا

يـا أيُّهـا الإنسـانُ مهـلًا واتَّئِـدْ … واشـكُر لربِّـك فضـلَ مـا أوْلَاكـا

أفـإنْ هَـدَاك بعِلْمِـه لعَجِيبـةٍ … تَـزْوَرُّ عنـه ويَنْثَنِـي عِطْفَاكـا

قـلْ للطبيـبِ تخطَّفَتْـه يـدُ الـرَّدَى … يـا شَـافِيَ الأمْـراضِ مـن أردَاكـا؟

قـلْ للمـريضِ نَجَـا وعُـوفي بعـدَما … عَجَـزَتْ فنـونُ الطِـبِّ، مـن عَافَاكـا؟

قـل للصـحيحِ يمـوتُ لا مـن علـةٍ … مـن بالمنايـا يـا صـحيحُ دَهَاكـا؟

قـلْ للجنـينِ يعـيشُ معـزولًا بـلا … راعٍ ومرعًـى مـا الـذي يَرْعَاكـا؟

قـل للوليـدِ بكَـى وأجهَـشَ بالبُكَـا … عنـد الـولادةِ مـا الـذي أبكَاكـا؟

وإذا تَـرَى الثُّعبـانَ ينفُـثُ سُـمَّهُ … فاسـألْه مَـن ذا بالسُّـمومِ حَشَـاكا؟

واسـألْه كيـف تعـيشُ يـا ثعبـانُ أو … تَحْيَـا وهـذا السُّـمُّ يمـلأُ فَاكـا؟

واسـأل بطـونَ النحـلِ كيـفَ تَقَـاطَرَتْ … شَـهْدًا وقـل للشَّـهْدِ مـن حَلَّاكـا؟

بـل سَـائِلْ اللبـنَ المصَـفَّى كـان بيـ … ـن دمٍ وفَـرْثٍ مـا الـذي صَـفَّاكا؟

وإذا رأيــتَ الحــيَّ يخــرجُ مِــن ثَنَايـا مَيِّــتٍ فاسْـأَلْه مـن أحْيَاكـا؟
قـلْ للهَـوَاءِ تحسُّـه الأيـدي ويخـ ـفى عـن عيـونِ النـاسِ مـن أخْفَاكـا؟
وإذا رأيــتَ البـدَر يَسْـري ناشـرًا أنــوارَه فاســأَلْه مــن أسْــرَاكا؟
وإذا رأيـتَ النخْـلَ مشـقوقَ النَّـوَى فَاسْـأَله مَـن يـا نخـلُ شـقَّ نَوَاكـا؟
وإذا رأيــتَ النــارَ شــبَّ لهيبُهــا فَاسْـأَل لهيـبَ النـارِ مـن أورَاكـا؟
وإذا تـرى الجبـلَ الأشَـمَّ مناطِحًـا قِمَـمَ السَّـحَاب فَسَلْه من أرسَـاكا؟
وإذا تَرى صَخْرًا تفجَّر بالمياهِ فَسَلْه مِــن بالمــاءِ شَــقَّ صَــفَاكا؟
وإذا رأيتَ النهـرَ بالعـذبِ الـزُّلالِ جَـرَى فسَــلْه مَــن الــذي أجْرَاكــا؟
وإذا رأيتَ البحرَ بالملحِ الأُجَاجِ طَغَى فسَــلْه مــن الــذي أطْغَاكــا؟
وإذا رأيــتَ الليــلَ يغْشَــى داجِيًــا فاسْـأَلْه مَـن يـا ليـلُ حَـاكَ دُجَاكـا؟
وإذا رأيــت الصُّـبْحَ يُسْـفِرُ ضَـاحِيًا فاسأله مَـن يـا صبحُ صـاغَ ضُحَاكا؟
هـذي العجائِبُ طالما أَخَذَتْ بها عينــاكَ وانفتَحَــتْ بهــا أُذنَاكــا
واللهُ فــي كــلِّ العَجَائِــبِ مبــدعٌ إن لــم تكُــنْ لِتــراهُ فهــو يَرَاكــا
يــا أيُّهــا الإنســانُ مهـلًا مالـذي بــاللهِ جَــلّ جَلَالُــه أغْرَاكــا
فاســجُدْ لمــوْلاك القــديرِ فإنَّمــا لا بــدَّ يومًــا تَنْتَهــي دنياكــا
وتكــونُ فــي يــومِ القيامــةِ مــاثلًا تُجْـزَى بمـا قَـدْ قدَّمَتْـه يَـدَاكا[1]

* * *

(١) الله أهل الثناء والمجد (ص:٥٤٥-٥٥٠).

٥٨- يسبحُك الخلقُ في كلِّ آن

الدكتورة عاتكة الخزرجية[١]

يسبحُك الخلقُ في كلِّ آنٍ ويَعْنو لهيبَتِك القَانِتون
ويَسْأَلُك الرحمَةَ الأتقِيَاء ويأوي إلى ظِلِّك المذنبون
وتُحنى الجباهُ لعزِّ الإلهِ ويخضَعُ للأكبرِ الكابرون!
تباركتَ سُبِّحْتَ يا ذا الجلال ويا من إليه غدًا يَنْسِلُون
ويا مجريَ الفُلْكَ فوقَ البحارِ ومن باطنِ الصَّخْر ثجَّ العُيُون
ويا مُجري الشمسَ في أُفْقِها وكلٌّ على فَلَكٍ يَسْبَحُون
تباركتَ كيف سَلَخْتَ النهارَ من الليل كيف مَسَخْتَ القُرون؟
وكيف بَرَيتَهُمُ من رُغَام وكلٌّ إلى أجلٍ سائرون؟
وَسَوَّيْتَ بينهُمُ بالحِمامِ ورَوَّضْتَ فيهم جماحَ الحَرون[٢]
تباركت كيف قَسَمْتَ الجُدود[٣] وكيف يُقال بها العَاثرون
وسعتَ بحِلْمِك طيشَ الجَهُول وغيَّ الكفورِ ولُؤْمَ الخؤُون
ولم توصِدِ البابَ دونَ الجَمُودِ ولا دونَ ما أمَّل التَّائبون
حكمتَ فأقسطْتَ في العالمين وبالعَدْلِ فليحْكُم الحَاكِمون
فنارُك يَصْلَى بها الكافرون وجناتُ عَدْنٍ بها المؤمنون
تباركتَ يا ربِّ هذا الوُجُود ومن باسمِه سبَّح العَالمون

---

(١) تسبيح ومناجاة وثناء - حسن موسى الشريف (ص:١٣٢-١٣٤).

(٢) الحرون: المكابر والمعاند.

(٣) الجدود: الحظوظ.

ويـا موقِـدَ النـارِ مـن أخضـرٍ ومُعْطـي مِـنَ الأرضِ مـا يشْـتَهون
ويـا مخـرجَ الحـيِّ مـن ميـتٍ ومـن قـال للشـيءِ كـنْ كـيْ يكُـون
تباركْـتَ يـا فـاطرَ الكائنـاتِ ومـن هُـمْ إليـه غـدًا يَنْسِـلون
فزعـتُ لبابِـك أرجـو حِمـىً لضَـعْفي فأنـتَ حِمـايَ المصُـون
عبـادُك يـا ربِّ ضَـلّوا السـبيلَ وحَـارَ الـدليلُ فمـا يهتَـدون
تَشَـامَخَ فـي أرضِـك الأدنيـاءُ فأيـانَ عـن غَـيِّهم ينتهُـون
وجَـارتْ بأحكامِهـا الأقويـاءُ فَسِـيمَ الضـعيفُ عـذابًا وهُـون
ولـم يُعـطِ مـن مالِـكَ الأغنيـاءُ وراحـوا علـى شُـحِّهم يَحْرِصُـون
ولـم يبـقَ فـي النـاسِ معنَـى الحيـاءِ فأمسُـوا بآثـامِهم يفخَـرون
وضـجَّتْ مـواخِيرُهم بالحيـاةِ وباتَـتْ محـاريبُهم فـي سُـكون!
عِبَـادُك يـا ربّ ضَـلّوا السـبيلَ فـأين الـدليلُ؟ عَسَـى يهتـدون
أخـافُ علـيهم وأرجُـو لهـم فغفـرًا لهـم إنهـم لا يعُـون!
وأنـت اللطيـفُ الـرؤوفُ الـرحيمُ وأنـت الرفيـقُ الشـفيقُ الحنـون

* * *

٥٩- يا مجيب السائلين

عبد الرحمن حبنكة

ربّ إنـي قـدْ سـألتُك		يـا مُجيـبَ السَّـائلينْ
لـم يَخِـب دَاعِـكَ ربِّي		وهـو يـدعُو بيقِـينْ
إنَّنـي أدْعُـوكَ يـا اللهُ		مَـعْ إخـلاصِ دِيـنْ

* * *

ربِّ إنـي قـد سـألتُكْ		إذ تُحِـبُّ السَّـائلينْ
بـدُعائي قـد عبَـدتُكْ		إذ تُحِـبُّ العابِـدينْ
أنـتَ أولَـى بِـيَ مِنِّـي		فـأعِنّي يـا مُعـينْ
أنـتَ بـي أعلَـمُ مِنِّـي		أنـتَ خيـرُ الأكـرمينْ
فاصْـطَنِعْنِي لـكَ يـا ربِّـي اصـطِنَاعَ الأقـربينْ
واتَّخِـذْني لـكَ ضـمنَ الصّـالِحين الطـاهِرينْ
وبفضـلٍ منـكَ فـارفَعْنِي لأوجِ المُحسِـنينْ
أنـت رَبِّي في تصَاريفِكَ		خَيـرُ الأحْكَمِـينْ
ورجَـائي باسـتجَابَاتِكَ لـي حـقُّ اليقـينْ
لستُ أخشى ردَّ سُؤلي		ولـكَ الوَعـدُ المتـينْ
أنـا يـا ربِّـي بألطافِـكَ فـي حِصْـنٍ حَصِـينْ
فـاقضِ لـي الخيـرَ وأكرِمنـي بسُـلطانٍ مكـينْ
تنصُـرُ الحـقَّ بـهِ		والخيـرَ بـينَ العـالَمينْ
وبـهِ تنصُـرُ قُـرآ		نَـكَ ذا النُّـورِ المُبـينْ

تنصـرُ الـدِّينَ الـذي جَـا ءَ بِـــهِ الـــدّاعي الأمِـــينْ
أحمـــدُ المُختـــارُ خيـــرُ الخلـــقِ خيـــرُ المُرسَـــلينْ
وبـــهِ تنصُـــرُ فـــي الـــدُّ نيـــا جُمُـــوعَ المـــؤمنينْ
وبِـــهِ تهـــزِمُ يـــا ربِّـــي حُشُـــودَ الكَـــافِرينْ
ربِّ واجعلنِـــي إمامًـــا للهُـــداةِ المتَّقـــينْ

* * *

ربِّـي إنِّـي قـد سـألتُكَ يـا مُجِيـبَ السَّـائلينْ
بـدُعائي قـد عبَـدتُكْ إذ تُحِـبُّ العابِـدينْ(١)

* * *

(١) ديوان ترنيمات إسلامية (ص:٥٨-٥٩).

٦٠- كتاب الكون

خير الدين وانلي

كم في كتابِ الكونِ من عِبرٍ ... لأولي النُّهى والبحْثِ والنَّظرِ
في الأرضِ في الآفاقِ قاطبةً ... في النفسِ في الأصواتِ في الصُّورِ
في ذرةٍ عَمْياءَ هائجةٍ ... في الشمسِ ذاتِ الوهْجِ والشَّررِ
في النَّجْمِ في الأفلاكِ سابحةً ... في الشُّهْبِ ذاتِ الخَطْفِ للبصَرِ
في الزهرةِ الأخاذِ رونقُها ... في الطيرِ صدّاحًا على الشَّجَرِ
في البحرِ والأمواجُ صاخبةٌ ... تعلو تَرومُ تَنَاولَ القمَرِ
في الراسِياتِ الشمِّ عمَّمَها ... ثلجُ الشتاءَ يسيلُ في النَّهرِ
في السَّفْحِ والأعشابُ مائسةٌ[1] ... ترنو إلى الوديانِ في خَفَرِ

* * *

ماذا أقولُ لغافلٍ لاهٍ ... عن كلِّ ما في الكونِ من عِبَرِ
أيظنُّ خلقَ الكونِ عن عَبَثٍ ... كلَّا فخلقُ الكونِ عن قَدَرِ
ما فيهِ من وَهَنٍ ولا خَللٍ ... ما فيه من واهٍ ومُنفطِرِ
الشمسُ في الأفلاكِ جاريةٌ ... كالأرضِ ذات الماءِ والمَدَرِ[2]
لا الليلُ يسبقُ لا النهارُ ولا ... تُفني البحارُ رواسِيَ الجُزُرِ
النبتَةُ الخَضْراءُ ضاربةٌ ... أطْنَابَها في الصَّخْرِ والحَجَرِ
والزهرةُ البيضاءُ فائحةٌ ... والجذْرُ بين الطينِ والكَدَرِ

---

(١) مائسة: مائلة متبخترة.

(٢) المدَر: الطين.

والغيمـــــةُ الســـــوداءُ مُثْقَلَــــةٌ   تجْـــرِي بأطنـــابٍ مـــن المطـــرِ
والهـــــرةُ السَّـــــمراءُ حانيـــــةٌ   فـوق الصِّـغارِ العُمْـي عـن خَطَـرِ
الكـــــونُ متَّسِـــــقٌ ومنـــــتظِمٌ   كــم فيــهِ مــن ذِكْــرَى لمُعتَبــرِ
ســـبحانَ مـــن بـــاللُّطْفِ قـــدَّرَهُ   أعظِـــمْ بقيــــومٍ ومُقتَـــــدِرِ[1]

* * *

(١) ديوان النصر للإسلام (ص:١٣٤).

٦١- إلهي أنت تعلم كيف حالي

أغيـبُ وذُو اللَّطـائفِ لا يغيـبُ وأرجُـوهُ رجَـاءً لا يخيـبُ
وأسـألهُ السَّـلامةَ مـن زمـانٍ بُليـتُ بـهِ نوائبُـه تُشـيبُ
وأُنـزلُ حَـاجتي فـي كـلِّ حـالٍ إلـى مـن تَطمـئِنُّ بـهِ القلُـوبُ
ولا أرجُـو سـواهُ إذا دَهَـاني زمـانُ الجَـوْرِ والجـارُ المُريـبُ
فكـم للهِ مـن تـدبيرِ أمـرٍ طوتـهُ عـن المُشـاهدَةِ الغيُـوبُ
وكم في الغيـبِ من تيسير عُسرٍ ومـن تفـريجِ نائبـةٍ تنُـوبُ
ومـن كـرمٍ ومـن لطـفٍ خفـيٍّ ومـن فـرجٍ تـزُولُ بـهِ الكُـروبُ
ومـا لـي غيـرُ بـابِ اللهِ بـابٌ ولا مـولى سـواهُ ولا حبيـبُ
كـريمٌ مُـنعمٌ بـرٌّ لطيـفٌ جميـلُ السّـترِ للـدَّاعي مُجيـبُ
حلـيمٌ لا يُعاجِـلُ بالخَطَايـا رحـيمٌ غيـثُ رحمتِـهِ يَصُـوبُ
فيـا ملـكَ المُلـوكِ أقِـلْ عِثَـاري فـإني عنـكَ أَنْـأَتْني الـذُنوبُ
وأمرضَـنِي الهَـوى لهـوانِ حظِّـي ولكـن لـيسَ غيـرَكَ لـي طبيـبُ
وعَانَـدَني الزمـانُ وعِيـلَ صَـبري[1] وضـاقَ بعبـدِكَ البلـدُ الرَّحيـبُ
فـآمن رَوْعَتـي واكْبِـتْ حسُـودًا يُعـاملُني الصَّـدَاقةَ وهـو ذيـبُ
وآنِسْـني بـأولادِي وأهْلـي فقـد يَسْـتَوْحِشُ الرجـلُ الغريـبُ
ولـي شَـجَنٌ بأطفـالٍ صِـغَارٍ أكـادُ إذا ذكـرتُهُم أذوبُ
ولكنـي نَبَـذْتُ زِمَـامَ أمْـرِي لمـن تـدبيرُهُ فينـا عَجيـبُ

(١) عيل صبري: غُلِب.

هــو الــرحمنُ حَــوْلي واعْتِصَــامي بـــهِ وإليـــهِ مُبــــتَهِلًا أُنيــــبُ
إلهــي أنــتَ تعلــمُ كيــفَ حــالي فهــل يــا ســيِّدي فــرجٌ قــريُ

* * *

٦٢- حبيبي أنت رحمن

يحيى بن معاذ

أنـــا إن تُبـــتُ منَّـــاني وإن أذنبـــتُ رجَّـــاني
وإن أدبَـــرْتُ نـــادَاني وإن أقبلْـــتُ أدنَـــاني
وإن أحْبَبْـــتُ والانـــي وإن أخْلَصْـــتُ نَاجَـــاني
وإنْ قَصَّـــرتُ عافَـــاني وإن أَحْسَـــنْتُ جـــازَاني
حبيبـــي أنـــتَ رَحْمَـــاني أَلَا اصـرِفْ عنـي أحْزَانـي
إليـك الشَّـوقُ مـن قَلْبـي عَلَـــى ســـرِّي وإعْلَانـــي
فيـــا أكـــرَمَ مـــن يُرجَـــى وأنـــتَ قـــديمُ إحســـانِ
ومـــا كُنـــتَ علـــى هـــذا - إلـهَ النَّـاسِ - تنسَـاني
لَـدَى الـدُّنيا وفـي العُقبَـى على ما كـانَ من شَـاني[1]

* * *

(١) الحلية، (١٠/٦٢).

٦٣- ربِّ سبحانك

محمود حسن إسماعيل

ربِّ سُـــبحانكَ فـــي أعلَـــى عُـــلاك
كلَّمـــا نـــدعوكَ.. تُعطينـــا يـــدَاك
خَـــيَّمَ اللَّيـــلُ، فنادَيـــتُ.. إلَهـــي
فـــــإذَا الكـــــونُ ضـــــياءْ
وجـــرَى الـــدمعُ فناديـــتُ.. إلهـــي
فـــــإذا الـــــدُّنيا صَـــــفاءْ
والرِّضـــا يغمُـــرُ قَلْبـــي وشِـــفَاهي
وتُنـــــاجِيني السَّـــــماءْ
ربِّ ســـبحانكَ فـــي أعلـــى عُـــلاك
كلَّمَـــا نـــدعُوكَ تُعطينـــا يـــدَاك
كلَّمَـــا تُشـــرِقُ شـــمسٌ أو تغيـــبْ
يمـــــلأُ القلـــــبَ ضِـــــيَاك
وإذا ضَـــاقَتْ مـــن اليـــأسِ القُلُـــوب
يغمُـــــرُ الـــــرُّوحَ هُـــــدَاك
وإذا ملَّـــتْ مـــن العَفـــوِ الـــذُّنوب
صَـــــافَحَ الـــــنَّفسَ رِضَـــــاك
ربِّ سُـــبحانكَ فـــي أعْلَـــى عُـــلاك

كُلَّمـــا نـــدعُوك.. تعُطينـــا يـــدَاك[١]

* * *

٦٤- يا أرحم الرحماء

محمد الحامد

يــا أرحــم الرُّحمــاءِ مــا لــي حيلــةٌ ... إلا الرُّجـــوعُ إليـــكَ يـــا ربَّـــاهُ
أنــا قــد أســأتُ، وأنــتَ ربٌّ غــافرٌ ... غوثَـــاهُ ممَّـــا قـــد عَـــرَا غَوْثَـــاهُ
يــا سـيِّدي يــا مــن إليــهِ شِـكَايتي ... أوَّاهُ ممَّـــــــا نـــــــابني أوَّاهُ
أدرِكْ بلُطْفِــك نادمًــا ذا حســرةٍ ... مُسْـــتَغْفرًا ممـــا جَنَتْـــهُ يَـــدَاهُ
مــا للضَّــعيفِ إذا ألمَّــت كُربــةٌ ... إلا الـــــــدُّعاء: اللهُ يـــــــاالله
يــا ربِّ نفِّــس عــن عُبيــدِكَ كُربــةً ... وأرِحْــهُ ممــا قــد عنَــا ودَهَــاهُ[٢]

* * *

٦٥- تأملات إيمانية

عبد الرحمن حبنكة

لســتُ أدْري مــا حَيَــاتِي ... لا. ولا مــــا هُـــــو آتِ
أنـــا مـــن أيـــنَ؟ وممَّـــن ... قبســتْ نفسِــي صِــفَاتي؟
أنـــا لا أملـــكُ نفسِـــي ... فـــي انتقـــالٍ أو ثَبَـــاتِ
إن ربَّـــــا هـــــو أعطَـــــاني وجُـــــودي وحَيَـــــاتي

(١) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل (١٧٨٣/٤-١٧٨٤).
(٢) مجلة حضارة الإسلام، العدد ٣، (ص:٨٣)، من السنة العاشرة، من جمادي الأولى سنة ١٣٨٩هـ، وانظر: رائق الشهد (ص:٢٢٢-٢٢٣).

مثلمـــا أعطَـــى جميـــعَ الكائنـــاتِ الحادِثَـــاتِ
وهَـــداني أن أرَى زَادِي لمـــا بعـــدَ الممـــاتِ
خيـــرُ زادٍ لـــي تَقْـــوَاي وفِعْـــلُ الصَّـــالحاتِ
واعْتِرَافـــي بالـــذي أبـــدَعَنِي فـــي الكائنـــاتِ

قَـــد عَرَفْـــتُ اللهَ ربـــي حينمـــا أدركْـــتُ ذاتـــي
أفَـــلَا أمـــلأُ فِكْـــرِي وفَمِـــي بالصَّـــلواتِ
ووجُـــودي وصِـــفَاتِي منـــهُ بعـــضُ النَّفحـــاتِ
إن شُـــكري يـــا إلهـــي لـــك يُعلـــي دَرَجَـــاتي
فلـــكَ الشُّـــكرُ علـــى مـــا جُدتَ لي من أُعْطِياتِ[1]

* * *

(١) ديوان ترنيمات إسلامية (ص:١٢٩).

٦٦- تبارك الله

خير الدين وانلي

تباركَ اللهُ كم في الكونِ من عَجَبٍ؟!
في البرِّ والبحرِ والأفلاكِ والشهُبِ
طيرٌ يُهاجرُ من أقصى الشمالِ إلى
أقصى الجنوبِ ولا يهتمُّ بالسَّغَبِ[1]
ويقطعُ السَّمكُ الشِّلالَ مُتجهًا
إلى ا لمنابعِ كي يفنَى من التعَبِ
وينشرُ النملُ حبًّا كي يُجفِّفَه
ويصنعُ النحلُ شكلًا مُنتهى العجَبِ
ويحملُ(الكنغرُ) الأبناءَ يحفظُها
في جيبهِ سائرًا وَثْبًا على الذَّنَبِ
ويرفَعُ القردُ أولادًا على كَتِفٍ
ويزقمُ[2] الطيرُ أفراخًا ذَوِي زَغَبِ[3]
ويَجْأرُ الحوتُ في الأعماقِ مبتهجًا
ويُنْقِذُ الصوتُ خَفَّاشًا من العَطَبِ
ويَسْبَحُ البطُّ في أعقابِ مَوْلدِهِ
بلا مرانٍ وماءُ النهرِ في صَخَبِ
وَيْلقَمُ الشديَ والعينانِ مُغْمَضَةٌ

(١) السغب: الجوع.

(٢) يزقم: يلقم.

(٣) الزغب: الريش الصغير.

هِرٌّ وليدٌ وما في الثَّديِ من حَلَبِ

ويقفزُ المهرُ خلفَ الأمِّ مرتَجِفًا
ولم يزلْ عَظْمُه أوهَى من القَصَبِ

ويتبعُ الكلبُ ريحًا غابَ صاحبُها
ويسمعُ الهرُّ همسَ الفأرِ في الخِرَبِ

ويُبصرُ الصَّقرُ من عَلْيائِهِ جُرُذًا
ويُمْسِكُ القنفذُ الأفْعَى من الذَّنَبِ

وينقرُ الطيرُ دودًا غابَ في غَصْنٍ
تحتَ اللِّحَاءِ وما في الغُصْنِ من ثُقَبِ

ويُمسِكُ البجَعُ الأسماكَ سابحةً
ويُرسِلُ الأخطبوطُ الرجْلَ عن جُنْبِ

وينفخُ الثعلبُ الأحشاءَ مرتميًا
حتى تُهاجِمَهُ الغِربانُ عن كَثَبِ

ويلْسَعُ العَنْكبوتُ الجُعلَ في عُنقٍ
حتى يخدِّرَه تخديرَ مُرتَقِبِ

ويُمسِكُ الضَّبُّ غُصْنًا حين تدركَهُ
أفعَى ليمنَعَ بلعَ الرأسِ كالذَّنَبِ

تبارك اللهُ لا تُحصَى خلائِقُه
وكلُّ آلائِهِ تدعو إلى العَجَبِ[1]

---

(١) ديوان النصر للإسلام (ص:١٣٦).

* * *

٦٧- ما شئت كان

الشافعي

مـا شـئتَ كـانَ، وإن لـم أَشَـأْ ... وما شِئْتُ إن لم تشأَ لم يكُنْ
خلقتَ العبادَ لما قد عَلِمتَ ... ففي العلمِ يجري الفَتَى والمُسِنْ
فمنهُم شقيٌّ، ومنهم سعيدٌ ... ومنهُم قبيحٌ، ومنهم حَسَنْ
على ذا مننتَ، وهذا خذلتَ، ... وذاكَ أعنتَ، وذا لم تُعنْ[1]

* * *

(١) ديوان الشافعي (ص:١١٨).

٦٨- يا كافل الرزق

مصطفى عكرمة

قــدَّرتَ أرزاقَ كــلِّ الخلــقِ مــن عَــدمٍ
وزدتَ فـي الـرِّزقِ يـا ذا الجـودِ والكـرمِ
أبــوابُ جــودِكَ مــا تنفــكُّ مشــرعَةً
حتــى طَفَوْنــا علــى بَحْــرٍ مــن الــنِّعمِ
هــذي الملايــينُ ممـا قـد خَلَقْـتَ تَـرى
مــن حَوْلهــا الــرِّزقَ موفُــورًا علــى أَمَــمِ
فالنَّمــلُ، والطَّيْــرُ.. والأســماكُ أجمعُهــا
من عاش في النُّورِ، أو من عاشَ في الظُّلمِ
والآدميــونَ نــالوا فــوقَ مــا ســألوا
عَبــرَ الزَّمَـانِ.. كـأنَّ الكُـلَّ فـي حُلُـمِ
وكــلُّ ذي مُهجــةٍ فــي الأرضِ زاحفــةٍ
أو غيــرِ زاحفــةٍ تَسْــعَى علــى قَــدَمِ
تَسْــعَى.. وللسَــعي أوقــاتٌ محــدَّدةٌ
ورزقُهــا غيــرُ محــدودٍ ومُنقَســمِ
لــم ينفَــدِ الــرِّزقُ يومًــا رَغْــمَ كَثرَتِهــا
وربَّمـا قـد قَضَـتْ يومًـا مـن الـتُّخَمِ
آلافُ آلافِ أعــوامٍ ومــا بَرِحَــت
كــلُّ الخلائِــقِ تَلْقَــى غايــةَ الكــرمِ
لا عقلُهــا كافِــلٌ أرزاقَهــا أبــدًا
ولا قُواهــا تُنجِّيهــا مــن الأَلــمِ

يـــا ربِّ أنـــتَ الـــذِي أعطيتَهـــا كَرمًـــا
وأنـــتَ مـــن قـــدَّر الأرزاقَ مـــن قِـــدَمِ
وأنـــت يـــا ربِّ هاديهـــا.. وكافِلُهـــا
وأنـــت كافِـــلُ رزقِ الكُـــلِّ مـــن عَـــدَمِ
وأنـــتَ تعلـــمُ عنهـــا فـــوقَ مـــا عَلِمَـــتْ
عـن نَفْسِـها.. وهـي كالـذَّراتِ فـي الـرَّحِمِ
وأنـــتَ وحـــدَكَ مـــن يُرجَـــى.. ومـــن يـــدُهُ
تُعطـــي.. فتُغنِـــي وتكفِـــي ســـائِرَ الأُمَـــمِ
فـــامنُن علـــيَّ بـــرزقٍ وافـــرٍ أبـــدًا
واجعَلْـــهُ ربِّـــي حَـــلالًا ســـائغًا بِفَمِـــي
ورُدَّ يـــا ربِّ للإســـلام عزَّتـــهُ..
وابعـــث بنـــا مـــن يُصـــحِّينا مـــن الـــرِّمَمِ
حتـــى تعـــودَ إلـــى مـــا كـــان أُمَّتُنـــا
بنَهْجِـكَ الحـقِّ تَهْـدِي أقـوَمَ القِـيَمِ[1]

(١) حتى ترضى (ص: ٦٢-٦٤).

٦٩- إليك جميع الأمر

ابن الوزير الصنعاني(١)

إليــكَ جميــعُ الأمــرِ يُرْجَــعُ كلُّــهُ ... ومنــكَ الأمَــاني تُرتَجَــى والبشــائرُ
وبعــضُ أياديــكَ العــوالمُ والــذِي ... بهَــا والبحــارُ والثقــالُ المــوَاطِرُ
ومنـكَ العطَـا والمنـعُ والأمـرُ كلُّـهُ ... إليـكَ ومَـا فـي الكـونِ غيـرُكَ قـادرُ
فمـنْ شـاءَ فليمنـعْ سـواكَ فـلا أذًى ... إذَا يَـبِسَ الضَّحْضَـاحُ فـالبحرُ زاخـرُ
وعفْــوُكَ يــا ربَّ الخلائــقِ واســعٌ ... تضــيعُ الخطَايــا عنــدهُ والكبــائرُ
فلو يعلـمُ الخلـقُ الـذي أنـتَ أهلُـهُ ... من العفوِ لم يقنُطْ منَ العفوِ فاجرُ
ورحمتُـكَ العظمَـى كتبـتَ بسَـبقِهَا ... كتابًـا كريمًـا فهـوَ عنـدَكَ حاضـرُ
وأنت تحبُّ الحمدَ والمدْحَ والثَّنا ... ووصفُ محبِّ الحمدِ والمدحِ ظاهِرُ
فوعـدُكَ أولَـى مـن وعيـدِكَ بالوَفـا ... لـذاكَ وحـظُّ الفضْـلِ للعـدلِ قـاهرُ
وقد جاءتِ البُّشرى وصَحَّتْ بأننَا ... لَنَــا ظنُّنــا فــالظنُّ أنَّــك غــافرُ
ولـي حـينَ يشـتدُّ الوعِيـدُ ذخيـرَةٌ ... سـريرةُ حـبٍّ يـومَ تُبلَـى السَّـرائرُ
تجَلى هُمومي في فُؤادِي قرَارَها ... وأرجُـو بقاهَـا يـومَ تَفْنَـى الـذَّخائرُ
وديعــتُكم أن تحفظُوهَــا فإنهَــا ... صَـنيعتُكُم والجـودُ بـالحفظِ آمِـرُ

* * *

---

(١) رائق الشهد (ص:١٦٢-١٦٤).

٧٠- الكون البديع

خير الدين وانلي

اقــرأْ ســطورًا مــن كتــا ... بِ الكونِ منْ دنيا الجمالْ
فالحســنُ فيــهِ كــامنٌ ... والحسـنُ مـرآةُ الخيـالْ
فـي الزهـرةِ الخالصـةِ الطُّهـ ... ـرِ وفـي المـاءِ الـزلالْ
فـي الغُصـنِ يرنُـو للمـرو ... جِ نديـةً مثـلَ الـلآلْ
فـي السَّلْسَـلِ العـذبِ النميـ ... ـرِ تحفُّـه خُضْـرُ الـتلالْ
في الموجِ يغشى الأفقَ تعـ ... ـلوه نُسَـيْماتُ الشَّـمالْ
عـرِّجْ علـى النبـعِ الوقـو ... رِ وسـلهُ يُنبئْـكَ العُجـابْ
واسـألْ زُرافـاتِ الطيـو ... رِ عن الفضَاءِ عنِ السَّحابْ
واسـتَلْهِمِ الـنجمَ النشيـ ... ـدَ الشَّـجِيَّاتِ العِـذابْ
كـمْ مـنَ جمـالٍ فـي رحـا ... بِ الكـونِ والكـونُ كتـابْ
سـبحانكَ اللهـمَّ يـا ... ربَّ المحاسِـنِ والجَمـالْ
أنـت الجميـلُ خَلَقْـتَ هـ ... ـذا الكـونَ فـي أبهَـى مِثَـال
لا يسـتطيعُ العقـلُ إحصـا ... ءَ المحامِـدِ والكمـالْ
لا تُـدْرِكُ الأفهـامُ سـرَّ ... الخلـقِ أو كُنْـهَ الـزَّوال[1]

(١) ديوان النصر للإسلام (ص:١٣٧).

٧١- يا ربنا لك الصلاة

محمود حسن إسماعيل

يــا ربَّنــا لــكَ الصَّــلاهْ
والحمـدُ مـن كـلِّ الحيَـاهْ

مـن زهـرةٍ علـى الغصُـونْ لَهفَانـــةٍ إلـــى نـــدَاكْ
مـنْ دَمْعَـةٍ علَـى الجفُـونْ ظمآنـــةٍ إلـــى رضَـــاكْ
مــنْ تائــبٍ إلــى حِمــا كَ هلَّلـــــتْ خُطَـــــاهْ

يــا ربَّنــا لــكَ الصَّــلاهْ
والحمـدُ مـن كـلِّ الحيَـاهْ

يـــا راحمًـــا للتَّـــائبينْ للعَفْــوِ لا نرجُــو سِــوَاكْ
يـــا مَـــوئلًا للحَـــائرينْ طُـوبى لمَـن يلقَـى هُـدَاكْ
يـا غـوثَ كـلِّ العـالمين حمـدًا لمـا تُعطِـي يـداكْ

بكُــلِّ مــا تحيَـا الحيــاةُ نعبُـدُك
وكـلُّ مـا فـوقَ الثَّـرَى يُوحِّـدُك
وكلُّنـــا نـــدعُوكَ يـــا ربَّـــاهْ
يـــا ربَّنـــا لـــكَ الصَّـــلاةْ
والحمــدُ مــنْ كُــلِّ الحيــاةْ![1]

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ج(١٧٧٩/٤-١٧٨١)، انظر: رائق الشهد (ص: ٢١٣-٢١٤).

٧٢- يا ربِّ إني مذنبٌ أواهُ

عبد الرحمن حبنكة

ناديــتُ يــا مــولايَ يــا اللهُ ... يــا ربِّ إنِّــي مُــذنبٌ أواهُ
أرجُـو عطايـاكَ الحسـانَ وإنَّ لـي ... قلبًـا دعـاكَ فـلا تَـرُدَّ نـدَاهُ
مـا فـي العـوالمِ مـن يلبـي داعيًـا ... إلاكَ يــا مــولايَ يــا اللهُ
داءُ الفـؤادِ غـرورُهُ بلـذاذةٍ ... مـن عاجـلِ الـدنيَا وأنـتَ دوَاهُ
فامسـحْ برحمتـكَ التـي تجلُـو بهَـا ... قلبـي فيُشـرِقُ فـي السُّـلُوكِ سَـنَاهُ
فـأكونُ عبـدكَ مثلمَـا ترضَـى لنَـا ... وأجـدُّ فـي إحسـانِ مـا تَرْضَـاهُ
وأكـونُ بـالتوفيقِ منـكَ مُحصَّـنًا ... وينـالُ قلبـي مـن رِضـاكَ مُنـاهُ
وأعـيشُ فـي سَـعْدِ الحيـاةِ وطيبِهـا ... وأصـيرُ حيـثُ يصـيرُ مـن ترعـاهُ
ويضُـمُّني الفـردوسُ فـي أكنافـهِ ... مـع مـن وهبـتَ مـن الخِيَـارِ عُـلاهُ
مـولاي أنـتَ، ولا يهـونُ بـدهرِهِ ... مـن كنـتَ يـا ربَّ الـورَى مـولاهُ(١)

* * *

(١) ترنيمات إسلامية (ص:١٤٦).

٧٣- يا سروري

رابعة العدوية

يـــا سُـــروري ومُنْيَتِـــي وعِمـــادي
وأَنِيســـــي وعُـــــدَّتي ومُـــــرَادي
أنـــتَ روحُ الفُـــؤادِ أنـــتَ رجـــائي
أنـــتَ لـــي مُؤنســـي وشـــوقُكَ زادي
كـــم بـــدَتْ منَّـــةٌ وكـــمْ لـــكَ عنـــدِي
مـــن عَطَـــاءٍ ونعْمـــةٍ وأيَـــادِي
حُبُّـــكَ الآنَ بُغيتـــي ونَعيمـــي
وجَـــلَاءٌ لعـــينْ قلبـــي الصَّـــادي
لـــيسَ لـــي عنـــكَ مـــا حييـــتُ بـــراحٌ
أنـــتَ منِّـــي مُمكَّـــنٌ فـــي الفـــؤادِ
إن تكـــن راضـــيًا علـــيَّ فـــإني
يـــا مُنـــى القلـــبِ قـــد بـــدا إسْـــعَادي

* * *

٧٤- سبحان الله

أبو العتاهية

سبحانَ من يُعطي المُنَى بخواطرٍ ... في النفسِ لمْ ينطقْ بِهنَّ لسانُ
سبحانَ من لا شيءَ يحجُبُ علمَهُ ... فالسرُّ أجمعُ عندهُ إعلانُ
سبحانَ من هوَ لا يزالُ مسبَّحًا ... أبدًا وليسَ لغيرِهِ السُّبحانُ
سبحانَ من تجرِي قضاياهُ علَى ... ما شاءَ منهَا غائبٌ وعيَانُ
سبحانَ من هو لا يزالُ ورزقُهُ ... للعالمينَ بهِ عليهِ ضَمانُ
سبحان من في ذِكرِهِ طُرُقُ الرضَى ... منهُ وفيهِ الرَّوحُ والرَّيحانُ
ملكٌ عزيزٌ لا يُفارِقُ عزَّهُ ... يُعصَى ويُرجَى عندهُ الغفرانُ
ملكٌ لهُ ظهرُ القضاءِ وبطنُهُ ... لم تُبلِ جِدَّةَ مُلكِهِ الأزمَانُ
مَلِكٌ هو الملكُ الذي من حِلْمِهِ ... يُعصَى بحُسنِ بلائِهِ ويخانُ
يَبْلَى لكُلِّ مسلَّطٍ سُلطانُهُ ... واللهُ لا يبلَى لهُ سُلطانُ
كم يَسْتَصِمُّ الغافلونَ وقد دُعُوا ... وغدَا وراحَ عليهِمِ الحدِثانُ[1]

* * *

(١) رائق الشهد (ص:٨٧).

٧٥- أنا الفقير

ابن الوزير الصنعاني

إليــكَ وجَّهــتُ يــا مــولاي آمــالي
فاســمَعْ دُعـائي وارحَـمْ ضَـعْفَ أحـوالي
أرجُـوك مـولاي لا نفسـي ولا وَلَـدي
ولا صَـــديقي ولا أهْلـــي ولا مَـــالي
لَمـا عرفتُـكَ لـم أنظُـرْ إلـى أحـدٍ
فـــلا الرعيـــةَ أرجُوهـــا ولا والـــوالي
فـلا تَكِلْنـي إلـى مـن لـيس يكْلَـؤُني
وكـن كَفيلـي فأنـت الكافـلُ الكـالي(١)
ولتَسْـقِني كـأسَ حُـبٍّ مـن وِدَادِكَ يـا
مـولايَ فهـو شـرابٌ سَلْسَـلٌ حـالي
فـلا وحقِّـكَ مـا للقلـبِ مـن شَـغَفٍ
إلا بحبِّــكَ فاشْــرَحْ لــي بــه بَــالي
أنــا الفقيــرُ إلــى مــولايَ يَرْحمُنــي
إذا تقضَّــى بهــولِ المــوتِ إمهــالِي
أنــا الفقيــرُ إلــى مــولايَ يَرْحمُنــي
فـي بطـنِ لحـدٍ وَحِـيشٍ مُظلـمٍ خـالِي
هُنــاكَ لحمِــي لِــدُودِ القبــرِ فاكِهــةٌ

---

(١) الكالي: الحافظ.

والعظـمُ منِّـي رمِـيمٌ فـي الثَّـرى بـالي

أنـا الفقيـرُ إلـى مـولايَ يرْحَمُنـي

يـومَ القيامـةِ مـن عُنـفٍ وأهـوالِ

وأن أكـونَ بعيـدًا مـن تعطُّفِـهِ

مقطِّعًـا عنـهُ فـي الآبـادِ آمـالِي

أنـا الفقيـرُ إلـى مـولايَ يحشُـرني

فـي زُمـرةِ المصـطفىَ المختـارِ والآلِ

صـلَّى الإلـهُ علـى أرواحِهِـم أبـدًا

ضَـعْفًا علـى قـدرِ زخَّـارٍ وهطَّـالِ

* * *

٧٦- دليل الحائرين[١]

يــا مــنْ إليــهِ جميــعُ الخلــقِ يبتهلُــوا
وكــــلُّ حــــيٍّ علــــى رُحمــــاهُ يتَّكِــــلُ
يـا مـن نـأَى فـرأَى مـا فـي القلُـوبِ ومَـا
تحــتَ الثَّــرى وحجــابُ الليــلِ مُنْسَــدِلُ
يـا مـن دنـا فنـأى عـن أن يُحـيطَ بـهِ ال
أفكــــارُ طُــــرًّا أو الأوهــــامُ والعلَــــلُ
أنــتَ المنــادَى بــهِ فــي كــلِّ حادثــةٍ
وأنــتَ ملْجَــأُ مــن ضــاقتْ بــهِ السُّــبُلُ
أنــتَ الغيــاثُ لمــنْ سُــدَّت مَذَاهبُــهُ
أنــتَ الــدليلُ لمــنْ ضــاقتْ بــه الحيــلُ
إنَّـــا قَصَـــدْناكَ والآمـــالُ واقعَـــةٌ
عليـــكَ والكـــلُّ ملهُـــوفٌ ومبتَهِـــلُ
فــإن غفــرتَ فعــنْ طَــوْلٍ وعــن كَــرمٍ
وإن سَــطَوْتَ فأنــتَ الحــاكِمُ العَــدِلُ

* * *

(١) بستان الواعظين (ص:١٥٣-١٥٤).

٧٧- نحن العبيد وأنت الملك(١)

يا منْ يُغيثُ الورى من بعدِ ما قَنَطوا ... ارحَمْ عبادًا أكُفَّ الفقرِ قد بَسَطُوا
عودتهُم بسطَ أرزاقٍ بلا سَبَبٍ ... سوى جميلِ رجاءٍ نَحْوَهُ انبسَطوا
وعُدْتَ بالفضلِ في وردٍ وفي صَدْرٍ ... بالجودِ إن أقسَطوا والحلمِ إن قَسَطُوا
عوارفُ ارتبطَتْ شُمُّ الأنوافِ بها ... وكلُّ صعبٍ بقيدِ الجودِ يرتبطُ
يا من تعرَّفَ بالمعروفِ فاعترفَتْ ... بجَمِّ إنعامِهِ الأطرافُ والوسَطُ
وعالمًا بخفيَّاتِ الأُمورِ فلا ... وهمٌ يجوزُ عليه لا ولا غَلَطُ
عبدٌ فقيرٌ ببابِ الجودِ مُنكَسِرٌ ... من شأنهِ أن يوافي حينَ ينضَغِطُ
مهمَا أتَى ليمدَّ الكفَّ أخجَلهُ ... قبائحٌ وخطايَا أمرُها فَرَطُ
يا واسعًا ضاقَ خطوُ الخلقِ عن نِعَمٍ ... منهُ إذا خَطَبُوا في شُكرِها خبطُوا
وناشرًا بيدِ الإجْمالِ رحمتَهُ ... فليسَ يلحَقُ منهُ مسرفًا قَنَطُ
ارحمْ عبادًا بضنكِ العيشِ ما لهَمُوا ... غيرُ الدُجنَّةِ لحُفٌ والثَّرى بُسُطُ
لكنَّهم من ذُرَى علياكَ في نَمَطٍ ... سامٍ رفيعِ الذُرَى ما فوقَه نَمَطُ
ومن يكنْ بالذي يهواهُ مجتمعًا ... فما يُبالي أقامَ الحيُّ أم شَحَطُوا
نحنُ العبيدُ وأنتَ الملكُ ليسَ سوَى ... وكلُّ شيءٍ يُرَجَّى بعدَ ذا شَطَطُ

* * *

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان (١/٤٨).

٧٨- صرفت إلى ربِّ الأنام مطالبي[١]

صـرَفتُ إلـى ربِّ الأنـامِ مطَـالبي ووجهـتُ وجهِـي نحْـوَهُ ومـآربي
إلى الملكِ الأعلى الذي ليسَ فوقَهُ مليـكٌ يُرجَّـى سيبهُ فـي المتاعـبِ
إلى الصَّمَدِ البَـرِّ الذي فاضَ جودُهُ وعـمَّ الـورَى طُـرًّا بجـزلِ المواهِـبِ
مُقيلـي إذا زلَّـت بـي النعـلُ عـاثرًا وأسـمحُ غفَّـارٍ وأكـرمُ واهـبِ
فمـا زالَ يُـوليني الجميـلَ تلطُّفًـا ويـدفعُ عَنِّـي مـن صُـدورِ النَّوائـبِ
ويرزُقُنـي طفـلًا وكهْـلًا وقبلَهَـا جنينًـا ويَحْمينـي وبـيَّ المكاسِـبِ
إذا أغلـقَ الأمـلاكُ دونـي قُصـورَهُمْ ونهنَـهَ[٢] عـن غِشْـيانهمْ زجرُ حاجِـبِ
فَزِعـتُ إلـى بـابِ المُهـيمنِ طارقًـا مُـدلًّا أُنـادي باسـمِهِ غيـرَ هائـبِ
فلـم أُلـفِ حُجَّابًا ولـم أخـشَ مِنْعَـةً ولـو كـانَ سُؤلي فـوقَ هـامِ الكواكِـبِ
كـريمٌ يُلبِّـي عبـدَهُ كلمَـا دَعَـا نهارًا وليلًا في الدُّجَى والغياهِـبِ[٣]
سأسـألهُ مـا شـئتُ إنَّ يمينَـهُ تسـحُّ دِفَاقًـا بـاللُّهَى[٤] والرَّغائـبِ[٥]
فحسبي ربِّي فـي الهزاهـزِ[٦] ملجَـأً وحـرزًا إذا خيفَـتْ سـهامُ النوائـبِ

---

(١) إرشاد العباد للاستعداد ليوم المعاد (ص:١٢١-١٢٢).

(٢) نهنه: كفّ وزجر.

(٣) الغياهب: الظلمة الشديدة.

(٤) اللهى: العطايا.

(٥) الرغائب: العطاء الكثير.

(٦) الهزاهز: الفتن.

٧٩- عفوك اللهم[١]

يا من يُجيبُ دُعا المضْطرِّ في الظُلَمِ ... يا كاشف الضُّرِّ والبلْوَى مع السَّقَمِ
قد نامَ وفدكَ حولَ البيتِ وانتبهُوا ... وأنت عينُكَ يا قيومُ لم تَنَمِ
هب لي بجودِكَ فضلَ العفوِ عن جُرمي ... يا من إليه أشارَ الخلقُ في الحرَمِ
إن كانَ عَفْوُكَ لا يُدركُهُ ذو سَرَفٍ ... فمن يجودُ على العاصِينَ بالكَرَمِ

* * *

٨٠- يا عظيم النعم[٢]

محمود سامي البارودي

لكَ الحمدُ، إنَّ الخيرَ منكَ، وإنني ... لصنعكَ يا ربَّ السَّماواتِ شاكرُ
فأنتَ الذي أوليتَني كلَّ نعمةٍ ... وهذَّبتني حتَّى اصطفَتني العشَائرُ
فقرِّبْ ليَ الخيرَ الذي أنَا راغِبٌ ... وباعِدني الشرَّ الذي أنا حاذِرُ
فليسَ لمنْ تُقصيهِ في النَّاسِ نافعٌ ... وليسَ لمنء تُدنيهِ في النَّاسِ ضائرُ
ولا لامرئٍ ألهمتَهُ الرُّشدَ خاذِلٌ ... ولا لامرئٍ أَوْرَدْتَهُ الغَيَّ ناصِرُ
فإن أدركتْ نفسي المرامَ ولم أقُمْ ... مقامَ ضليعٍ بالذي أنت آمرُ
فلا لاح لي في ذِرْوةِ المجدِ كوكبٌ ... ولا طارَ لي في قُنَّةِ العزّ طائرُ

* * *

---

(١) كتاب التوابين (ص:١٤٩).
(٢) ديوان البارودي (٢/٤٩٣) الموسوعة الشاملة.

٨١- إليك أفرُّ من زللي

المقري

إليــكَ أفــرُّ مــن زللِــي فــرارَ الخــائفِ الخجِــلِ
فخُــذْ بيـدَيْ غريـقٍ فـي بحــارِ القَــوْلِ والعمــلِ
وهــبْ لـي منـكَ عارفَـةً تُعَــرّفُ مــا تنكَّــرَ لِــي
وتهــدِينِي إلــى رَشَــدي وتمنعُنــي مــن الزَّلــلِ
وتحمِلُنــي علــى سَــنَنٍ يــؤمِّنُني مــن الوجَــلِ
فأنـتَ دليـلُ مـن عَمِيَـتْ عليــهِ مســالِكُ السُّــبُلِ
علـى جـدوَاكَ معتَمَـدي فأنقِــذني مــن الــدَّخلِ
وألحِقنـــي بجنَّـــاتٍ لــدَى درجاتِهَــا الأُوَلِ
فأنــتَ مــلاذُ مُعتَصِــمٍ وأنــتَ عمــادُ مُتَّكــلِ(١)

* * *

(١) نفح الطيب، (٤٨/١) الموسوعة الشاملة، وقد حذفنا ما في القصيدة من توسل غير مشروع.

٨٢- رأيتُ اللهَ[(١)]

عائض بن عبد الله القرني

إلــهَ الكــونِ يُسْــعِدُني رِضَــاكا ... ومــا لــي خــالقٌ أبــدًا سِــواكَا
تــراك إذا رأيــتُ الكَــوْنَ عَيْنِــي ... وأنــتَ اللهُ أعظــمُ أن نَرَاكَــا
إذا مــا الفجْــرُ فــي الآفــاقِ حَاكَــا ... وإذ بالطَــلِّ مُنْسَــكِبٌ تَبَــاكَى
وإذا بالمــاءِ فــي الأوهَــادِ يَسْــرِي ... يُتَمْــتِمُ عــن مَعَــانٍ لســتُ أدري
عســاهُ يقــولُ للــرحمَنِ شُــكرًا ... فأنــتَ اللهُ قــد أجريــتَ نَهْــري
وتنشــقُّ الزُّهــورُ بكــلِّ لــونِ ... تقــولُ لنــا أيَــا قَــوْمِي دعُــوني
أســبحُ للــذي بالمــاءِ أسَــرى ... إلــيَّ وكُنــتُ فــي هَــوْلِ المنُــونِ
وهــبَّ الطَّيــرُ لــلأرْزَاقِ صُــبحًا ... تُســبِّحُ وهــيَ فــي الآفــاقِ سَــبْحَا
ولــولا ربُّهــا سَــقَطَتْ خِفافًــا ... وأهــوَى نحوَهــا الصَّــيادُ ذبحَــا
إلهــي فــي جميــعِ الكَــوْنِ شــاهدْ ... بأنــكَ موجــدٌ للخَلْــقِ واحــدْ
ومــن جَحَــدَ الحقيقــةَ كــذَّبوه ... كــذبتَ لقــد خَسِــرتَ أيــا مُعانــدْ
فمُــدَّ الطَّــرفَ فــي لَــوْحِ السَّــماءِ ... وســائِلْ وردَهُ بعــدَ انتِهــاءِ
أحَطْــتَ بكُنهِــه أم لــمَ تُحِطْــهُ ... فأنــتَ اليــومَ فــي دورِ الغَبَــاءِ
تَــرَى قمــرًا فَقِــفْ حتَّــى تُفكّــرْ ... تــرى الــرحمنَ ممَّــا رُمــتَ أكبــرْ
فَمِــنْ أيــنَ الشُّــعاعُ فلســتُ أَدْرِي ... وكيــفَ البــدرُ فــي الخضْــرا تكــوَّر
وطَــلَّ الفَجْــرُ فــي الــدُّنيا بشَــمسٍ ... أبِكْــرٌ هــذه أم بنــتُ أمــسِ
فينقَشِــعُ الظَّــلامُ ولــم يُطقْهــا ... يَكِــرُّ بجُنْــدِهِ فــي حــينِ نُمْسِــي

---

(١) ديوان لحن الخلود (ص:٤٤-٤٥).

رأيتُــكَ خــالِقي فــي كــلِّ معنًــى كلامُــكَ بــين أظهرِنــا ســمِعْنا
ولَــوْلا أنــتَ مــا كُنَّــا وكانــتْ نفــوسٌ فــي أكنَّتِنــا اجتَمَعْنــا
لقــد فجَّــرْتَ ينبــوعَ المعــانِي فـراعَ الكُفـرُ مـن سِـحْرِ المثـاني
كتبـتَ لـكَ البقـاءَ فـدُمتَ حيًّـا قــديرًا مالِكًــا والكُــلُّ فَــانِي
أأُذري الـدَّمعَ أم تَكْفِـي شُـجُوني لغيـرِ هـواكَ مـا سَـالتْ عُيـوني
فمـن نرجُـو سِـوَاكَ ومـن سَـيَرْحَمْ وقـد أَسْـلَفْتُ ذنبًـا حـالَ دُونـي
نظـرتُ إليـكَ مـن جُـنحِ الغُيـوبِ وقـد كثُـرَتْ علـى قَلبـي ذُنـوبي
وقـد سـارتْ خُطَـايَ علَـى طريـقٍ إلــى ربِّ السَّــنا أبــدًا هُروبــي
إليــكَ عَقَــدْتُ بــالوُثقَى حِبَــالي ومـن فَـيْضِ الهُـدَى شَـرَفي ومـالي
بنــورِ عُـلاكَ أمضــي فــي طَرِيقـي أضـاءتْ مـن سَـنى النُّـورِ اللَّيـالي

* * *

الفهرس

الموضوع

الصفحة

* * *

قصائد في تعظيم الله

* * *